فيل أوت

وراء الأخبار ليلاً ونهاراً

ترجمة

أحمد قاسم جوده

تقديم

د. خالد محمد غازي

الكتاب: وراء الأخبار ليلًا ونهارًا

الكاتب: فيل أوت

ترجمة: أحمد قاسم جوده

تقديم: د. خالد محمد غازي

الطبعة: ٢٠٢٢

الطبعة الأولى ١٩٦٥



الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)

٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة - جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www. bookapa.com **E-mail: info@bookapa.com**

دار الكتب المصرية

فهرسة أثناء النشر

أوت ، فيل

وراء الأخبار ليلًا ونهارًا / فيل أوت, أحمد قاسم جوده، تقديم: د. خالد محمد غازي

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٩٥ ص، ١٨*٢١ سم.

الترقيم الدولى: ٥ – ٣٩٩ – ٩٩١ – ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع : ٢٦٥٠٤ / ٢٠٢١

وراء الأخبار ليلاً ونهارًا





تقديم

تمثل الأخبار جانباً مُهما في عالم الإعلام في عالمنا المعاصر, وتبقى على الدوام السبيل الفاعل في مُتابعة الأحداث وتطوراتها في خضم ذلك الكم الهائل منها الذي تتجاذبه وسائل الاتصال بمختلف أشكالها. كما يُمثل (الخبر) عُنصراً أساسياً في العملية الإعلامية, سواء في مجال الصحافة أو الإذاعة أو قنوات التلفزة وشبكات البث الفضائي.

وقد شهدت صناعة الأخبار وأساليب إعدادها وإخراجها تطوراً كبيراً في العقود الأخيرة, وقد امتد هذا التطور ليشمل لغة الخبر وطريقة صياغته وتحريره وقوالبه والشكل الذي يصل به إلى المُتلقي؛ ولذلك فقد أولى الباحثون – ومازالوا – هذا الموضوع أهمية خاصة انسجاماً مع تلك التطورات الكبيرة التي تشهدها الصحافة في نظرتنا إليها كعلم وفن وصناعة.

إن التطور الهائل الذي شهدته الصحافة نتيجة للتطورات التكنولوجية الحديثة أو ما يسمى ثورة المعلومات وما رافق ذلك من تحول وتغير في الذوق العام, وتنوع الجمهور, وتعدد الوسائل الإخبارية, امتد ليشمل العملية الكتابية ذاتها, وليجعل مفهوم (الخبر) موضع جدل ونقاش تناولته مدارس مُختلفة.

فالخبر الصحفي ما هو إلا ومضة سريعة لحدث يتبعه وصف دقيق لما حصل في الوقت الراهن ، وله أهميته من قبل شريحة كبيرة من الناس، وقد تطورت مصادر الأخبار بشكل كبير ؛ حيث أصبحت له أساليبه، ووسائله، وطرائقه المُتعددة التي تصل إلى الجمهور.

تحتاج عملية كتابة الخبر الصحفي إلى جمع معلومات دقيقة، ثم إعدادها، وتوزيعها، وما يُميز هذه المرحلة ثورة الاتصالات والمعلوماتية، التي جعلت الخبر ينتشر بسرعة

البرق ، وتختلف أنواع الأخبار؛ حيث توجد أخبار سياسية، واقتصادية، ورياضية، واجتماعية، وإنسانية، وغيرها الكثير.

وشكل الخبر الصحفي يتكوّن من ثلاثة أجزاء رئيسية وهي: المقدمة، ويعتمد أي مُحرر صحفي في مقدمته على الإجابة عن مجموعة من الأسئلة، وتُعتبر هذه الأسئلة المكوّن الأساسي لأية مقدمة، وهذه الأسئلة هي: (ماذا، ولماذا، ومتى، وأين، وكيف، ومن)، وعادة ما يستخدم المحرر في بداية المقدمة فعلاً ماضياً.

أما التفاصيل ، فتعرف بـ "العرض" وهي عبارة عن مجموعة من المعلومات المكتوبة بشكل مفصل.

أما الخاتمة، فيجب أن يُختتم أي خبر صحفي بمجموعة من الكلمات التي يُريد من خلالها أن يوصل رسالة للقارئ.

وأنواع الخبر الصحفي متعددة ، وتختلف بناءً على العديد من المعايير وهي: التقسيم الجغرافي، وينقسم الخبر الصحفي بناءً عليه إلى: الأخبار الصحفية الداخلية، وهي الأخبار التي تكون ضمن نطاق الدولة أو المدينة التي يتواجد فيها الصحفي.

ويقصد بالأخبار الخارجية، أنها الأخبار التي تكون خارج نطاق دولة أو مدينة الكاتب الصحفي.. وينقسم بناءً على هذا المعيار إلى العديد من الأنواع وهي: الأخبار الاقتصادية، الأخبار السياسية، الأخبار الرياضية، الأخبار الفنية.

والتقسيم الزماني: وينقسم إلى عدة أنواع وهي: الأخبار الصحفية المتوقعة، وهي الأخبار التي يكون للكاتب الصحفي علم مُسبق بها.

والمقصود بالأخبار غير المتوقعة: وهي الأخبار الصحفية التي لا يكون للكاتب علم مُسبق بحدوثها.

أما مصطلح التقسيم حسب الجاهزية والصنع: وهو الخبر الصحفي الذي يصل للكاتب مُجهزاً وقابلاً للنشر، دون بذل أي مجهود في كتابته.

كذلك يقصد بالخبر المجرد والخبر المفسر: وهو الخبر الذي يتم كتابته كما هو، دون الحاجة إلى وضع تفسير وشرح له، أما الخبر المُفسر فهو الذي يحتاج إلى شرح وتفسير من قبل الكاتب الصحفي.

والخبر الصحفي الجيد هو الخبر المثير وقد يخرج عن المألوف ؛ فعندما يعض كلب رجلاً فهذا ليس بخبر, ولكن عندما يعض الرجل الكلب فهذا هو الخبر... وكل ما ينطوي على حيف أو ظلم أو ما يُثير مزاج القارئ فهو خبر صحفي، وفي الماضي كانت تُمارس علينا سياسات التجهيل برغم كل ما يُدركه المرء عن عالمه وبيئته وبلده وشعبه، وليس علينا الآن أن نُمارس على أنفسنا سياسة تصديق كل الخداعات الإعلامية، وتبقى أهم مُميزات الخبطة الصحفية, الأفكار الخاصة العريقة التي لها أسرار, وبهجة دالة على الرضا, وحزن غريب لمساوئ الأحداث الواقعية, وحكايات عملية وشخصية واجتماعية لا تنتهي.

إن الخبر الصحفي هو شيء مهم في حياتنا، والجري وراء الخبر أمر بالغ الأهمية في الحياة الصحفية والإعلامية؛ ومن أجل تلك الأهمية جاء دور ذلك الكتاب القيم الذي بين يدينا؛ وهو يُلقي الضوء على عدد مهم من الأمور ومنها الأخبار الصحفية والسعي وراءها.

***

هذا الكتاب يشرح الدور الذي تقوم به وكالات الأنباء من حيث تجميع الأخبار وتنسيقها وإعادة توزيعها على الصحف والإذاعات العالمية، أو هو قصة "الخبر" منذ ولادته، إلى أن يصير ذائعاً على كل لسان. إنه يحكي قفزة التطور في الانتقال بالخبر من وسيلته البدائية، كالحمام الزاجل، إلى وسائله الحديثة السلكية واللاسلكية. كذلك يعطينا الكتاب فكرة مثيرة عن نشاط المراسلين النازحين إلى بقاع الأرض لتنطس الأخبار، وعن طريقة إرسال أخبارهم إلى مراكز الوكالات أنحاء الدنيا، كما يوضح أهمية الصورة كخبر، ويروي تحايل المراسلين، واندفاع هم في مغامرات مجنونة لتقصي الأخبار

والسبق إليها.

إن الكتاب عرض طريف لمهمة الصحفي خلال أربع وعشرين ساعة، تبدأ من حيث تنتهي، وتنتهي من حيث تبدأ، وقد يأتي عليه حين يجند في مهمته، فلا يتقاعس عن الخروج صحفيا مراسلا إلى ميدان القتال.

ومؤلف الكتاب ف فيل أوت: ولد بولاية إلينوي سنة ١٩١٤ وحصل على شهادة البكالوريوس من جامعة ديبو بانديانا. بدأ حياته الصحفية سنة ١٩٣٥ كمخبر صحفي لمجلة "لاجرانج" بإلينوي ومن سنة ١٩٣٨ إلى سنة ١٩٤٨ عمل بوكالة "اليونيتدبريس" للأنباء كمراسل صحفي في شيكاغو وإلينوي ونيويورك وأيسلاندا وشمال إفريقيا ولندن. كما عمل خلال الحرب العالمية الثانية رئيسا لمكتب "اليونيتدبريس" بلندن. ومن سنة ١٩٤٨ إلى سنة ١٩٥٧ عمل بشركة "التايمز ميرور" ومن سنة ١٩٥٧ التحق بجريدة "الأسوشييت ديزرت" بكاليفورنيا حيث عمل بها. ألف عدة كتب عن الصحافة وكتاباً عن الصحراء.

وإذا كان مؤلف الكتاب قد أمضى نحو ثلاثين عاما في التمرس بشئون الصحافة والتأليف لها، فإن مترجم الكتاب قد أمضى مثل هذه الحقبة في الميدان ذاته، صحفيا ومؤلفا. ولهذا كانت روح التأليف والترجمة منبعثة من منبع مشترك منسجم؛ فالكتاب في أصله الإنجليزي محرر بلغة صحفية سلسة، عبر عنها المترجم بلغة تماثلها من حيث البساطة والسلاسة.

أما مترجم أحمد قاسم جودة: حصل على ليسانس الآداب قسم اللغة الإنجليزية سنة ١٩٣٣. اشتغل بالصحافة منذ تخرجه مترجما ثم سكرتيرا ثم رئيسا للتحرير في صحف يومية أو أسبوعية، كما اشترك في إصدار وكالة أنباء مصر، وفي وضع مشروع وكالة أنباء الشرق الأوسط، وظل عضوا بمجلس إدارتها عدة سنوات. زار وكالات الأنباء العالمية خلال رحلاته المتعددة للخارج وفي مقدمتها وكالتا اليونيتدبريس والأسوشيتدبريس بنيويورك ووكالة أنباء الصين الجديدة في بكين، ووكالة الأنباء الفرنسية

في باريس ووكالة رويتر بلندن. مثل مصر والشرق الأوسط في أول مؤتمر للتدريب الصحفي عقدته اليونسكو في باريس سنة ١٩٥٦، ثم اختير خبيرا لليونسكو في الإعلام لدى حكومة الجزائر سنة ١٩٦٤. ألف وترجم عدة كتب في الأدب والنقد والصحافة بينها: "نوابغ الشباب" و"ساعات مع الأحرار" و"عمالة الأدب" بالاشتراك مع الأستاذ دريني خشبة، كما ترجم كتاب "الدنيا وطنه والحرية رايته" عن حياة توم بين، وكتاب "سيمون بوليفار" و"دراسات في الأدب الأمريكي" بالاشتراك مع مجموعة من الأدباء، و"منتصف مارس" .. وقد توفي رحمه الله في فبراير سنة ١٩٦٥ فقد داهمه القضاء فجأة في دولة الكويت

وقد قدم المترجم للكتاب بمقدمة طريفة تضمنت اضاءات عن أهم دور الأنباء في العالم كله بصفة عامة، وعن دور أنباء الشرق الأوسط – أول وكالة للأنباء في الشرق الأوسط – بصفة خاصة فأضفت هذه المقدمة النفيسة مزيداً من الفائدة والمعرفة على ما تضمنه الكتاب من بيانات طريفة عن موضوعه.

ولاشك أن هذا الكتاب وثيقة صحفية تاريخية مهمة لعمل وكالات الأنباء والأدوار المتعددة للصحفيين والمراسلين في نشر الخبر وصياغته ومتابعته .

د. خالد مُحَمَّد غازي



مقدمة المترجم

هذا الكتاب، الذي أعد من حسن حظي أن أقدمه إلى قراء اللغة العربية، ولاسيما العاملين منهم في الحقل الصحفي ومعاهد الصحافة وأقسامها بالجامعات العربية، يتناول في ظاهره تاريخ وكالات الأنباء الصحفية الأمريكية الكبرى، وهي: "الأسوشيتدبريس"، و"اليونيتدبريس"، و"انترناشيونال نيوز سيرفيس"، التي أصبحت اثنتين لا ثلاثا، بعد اندماج الأخيرتين في وكالة واحدة تعرف منذ سنوات باسم "يونيتدبريس إنترناشيونال"، ولكن الكتاب في حقيقته يترك القارئ في نهايته كما لو كان قد فرغ لتوه من قراءة ملحمة نثرية مثيرة عن الصحافة والصحفيين.

ستقرأ في هذه الملحمة قصة الصراع الصحفي للوصول إلى الخبر، ثم إرساله عبر آلاف الكيلومترات، ثم نشره في الصحف أو إذاعته بالراديو والتليفزيون، لتقرأه أو تسمعه أو تراه على الشاشة البيضاء في لحظات، دون أن يخطر لك مبلغ الجهد، ومبلغ الضنى، ومبلغ المال الذي بذل لكي تعيش أنت مع الدنيا بأركانها الأربعة، دقيقة بعد دقيقة، على مدار الساعات الأربع والعشرين في كل يوم... ستقرأ في هذه الصفحات قصة التطور الهائل في وسائل نقل الأخبار، من الحمام الزاجل إلى عصر الصواريخ وسفن الفضاء..

ستدخل مع المؤلف محراب الصحافة لتنحني خاشعا أمام شهدائها المكافحين الذين فقدوا أرواحهم، ولتلقي نظرة إكبار وعطف على ضحاياها وجرحاها الذين وقفوا أمام الموت وجها لوجه، وتصدوا لثورات الطبيعة الجارفة، ومشوا في ركاب الثورات الإنسانية الخالدة، مراسلين حربيين، أو مندوبين متجولين، أو مبعوثين صحفيين، لا يشغل بالهم ولا يؤرق مضاجعهم – وما أكثر خشونتها في عالم

الصحافة – سوى أن يؤدوا واجبهم، بدقة وأمانة وسرعة، مهما يكن الثمن، ومهما تكن الصعاب.

إن فيليب أولت – أو كما ينطقون اسمه بالأمريكية (فيل) – بياء غير ممدودة – يركز نظراته في هذا الكتاب على جانب الخبر في دنيا الصحافة عامة، وفي وكالات الأنباء على وجه التحديد. وهو في هذا يطرق ناحية بلغ فيها التطور الصحفي حدا لا شك أنه لم يخطر للمخيرين الرواد على بال. وهو تطور لم يقتصر على الوسائل الآلية والإلكترونية التي طرأت على عالم الوكالات الصحفية منذ نشأت أولاها – وهي الأسوشيتدبريس– في منتصف القرن الماضي، وإنما شمل هذا التطور مفهوم الخبر ذاته، ومفهوم السرعة في نقله إلى كل مكان على وجه الأرض، ومفهوم المهمة التي تضطلع بها وكالات الأنباء نفسها.

ويمكن القول بإيجاز أن وكالات الأنباء كلها – أمريكية وغير أمريكية – قد ولدت في الثلث الثاني من القرن التاسع عشر. وكانت أولاها (وكالة هافاس) التي أسست في باريس سنة ١٨٣٥، أي منذ مائة وثلاثين سنة على وجه التحديد. وكان مؤسسها هو شارل هافاس الذي افتتح سنة ١٨٢٥ مكتبا يبيع الأخبار والمقالات المترجمة من مختلف اللغات إلى الذين يرغبون في شرائها. وبعد عشر سنوات بدأت مؤسسته تستخدم البرقيات السلكية، وبعد خمس سنوات أخرى – أي سنة ١٨٤٠– بدأت تستخدم الحمام الزاجل في نقل الأخبار إلى مشتركيها. ومن ذلك العام أصبحت خدماتها تمتد إلى لندن وبروكسل وبرلين وروما ومدريد وفيينا.

وعندما اجتاحت جيوش النازية أرض فرنسا اشترت الحكومة الفرنسية ممتلكات الوكالة (وكانت قد تحولت إلى شركة مساهمة) ومعداتها لتجعل منها مكتبا للدعاية تحت اسم المكتب الوطني للأنباء OFI في فيشي، في حين استولت

سلطات الاحتلال الألمانية على مقر الوكالة الرئيسي في باريس وجعلته فرعا لوكالة الأنباء النازية تحت اسم AFIF. وفي الوقت نفسه أنشأت حكومة فرنسا الحرة (حكومة ديجول المؤقتة في المنفى) وكالة فرنسا المستقلة AFI في لندن سنة ١٩٤٠. أضيف إلى هذا كله تشكيل رابع سري باسم "وكالة الأنباء والوثائق" AID في أرض فرنسا نفسها. وأخيراً اندمجت هذه الوكالات كلها بعد تحرير فرنسا، وأصبحت تعرف باسمها الحالي "وكالة الأنباء الفرنسية" AFP، واتخذت مقرها الرئيسي في المبنى الذي كانت تشغله وكالة هافاس، وأصبح معظم محرريها وموظفيها من وكالة هافاس السابقين.

وتعد وكالة الأنباء الفرنسية من الوجهة القانونية مؤسسة عامة ذات كيان مستقل، ولكن الحكومة هي التي تعين مديرها العام، وتخصص لها منحة سنوية ضمن بنود ميزانية الدولة، وذلك بمقتضى مرسوم صدر في ٣ من سبتمبر سنة ١٩٤٤.

وتوجد في أوروبا وكالتان عالميتان أخريان هما: وكالة رويتر البريطانية، ووكالة تاس السوفيتية. وتقول منظمة اليونسكو في كتابها عن "وكالات الأنباء: كيانها ونظام عملها"، إن هناك ست وكالات للأنباء يمكن أن تسمى وكالات عالمية وهي: وكالة رويتر البريطانية، ووكالة الأنباء الفرنسية، والأسوشيتدبريس، ووكالة الأنباء الدولية، ووكالة تاس، واليونيتدبريس. ويلاحظ في هذا الصدد أن وكالة الأنباء الدولية قد اندمجت في اليونيتدبريس التي أصبحت تسمى اليونيتدبريس الدولية، وأن وكالة أنباء الصين الجديدة (صينهوا) لم تدخل في عداد إحصائية اليونسكو للوكالات "العالمية". وتقول المنظمة الدولية إن تعبير "الوكالة العالمية" يستخدم للدلالة على الوكالة التي لها شبكة من المراسلين لجمع الأخبار في عدد كبير من الدول، ومركز رئيسي لتحرير هذه الأخبار العالمية، وكذلك الأخبار

المحلية، وإرسالها بأسرع وقت ممكن (أ) إلى مكاتب الوكالة في الخارج لتوزيعها على الصحف ومحطات الإذاعة المحلية، و(ب) إلى وكالات الأنباء الوطنية المتعاقدة معها (ج) إلى الصحف ومحطات الإذاعة الخارجية المشتركة فيها مباشرة.

وفي هذا المقام تبرز اليونسكو في المرجع المشار إليه آنفاً ثلاث نقط خلاصتها:

(١) أن وكالات الأنباء العالمية، التي ظهرت إلى عالم الوجود بين عامي ١٨٣٥ و١٩١٨، أسست في بلاد ذات صحافة متطورة تطورا عظيما، إذ أن قراء الصحف العديدين في تلك البلاد كانوا يريدون أخبارا من شتى أنحاء العالم؛ فأنشئت لتحقيق هذه الرغبة وكالات الأنباء، ثم توسعت هذه الوكالات في نشاطها الذي امتد إلى بلاد أخرى لأغراض تجارية وسياسية.

(٢) أن الوكالات العالمية تؤدي في الوقت نفسه دور الوكالات الوطنية المحلية، بمعنى أنها تعد نشرات وافية للأخبار المحلية التي تقوم بجمعها وتوزيعها على الصحف والإذاعات في البلاد التي يوجد فيها مقرها الرئيسي، باستثناء وكالة رويتر البريطانية التي لا تقوم بجمع الأخبار المحلية وتوزيعها، ولكنها توزع في الخارج أخبارا عن بريطانيا تجمعها وكالة وطنية ملحية تسمى "اتحاد الصحافة Press Association". وهي وكالة تملك في الواقع نصيبا كبيرا من أسهم شركة رويتر وتملك الصحف البيرطانية كلتا الوكالتين. والفارق الحاسم بين وكالة الأنباء العالمية والوكالة المحلية يتمثل في ضخامة الخدمات الصحفية التي تقدمها الأولى والمدى البعيد الذي يمتد إليه توزيعها، وعدد عملائها، وما تملكه من تسهيلات في وسائل الإرسال والاتصال. وينحصر نشاط الوكالات الوطنية، أو يكاد، في نطاق البلد الذي تصدر فيه، وإن كان بعضها يوزع نشرات منظمة محدودة في الخارج، تستهدف عادة خدمة

المواطنين المقيمين في البلاد الأجنبية، ولا سبيل إلى مقارنتها بالنشرات الإخبارية العالمية التي تصدرها الوكالات الست الكبيرة.

(٣) تختلف الوكالات الست العالمية كل منها عن الأخرى من حيث وضعها القانوني، ونظامها الداخلي، وعدد عملائها ومراسليها، ومدى ما تملك من تسهيلات فنية.ولكن الأسوشيتدبريس ووكالة الأنباء الفرنسية واليونيتدبريس ووكالة الأنباء الدولية التي اندمجت فيها، ورويتر.. تتشابه في أنها كلها توزع نشرات عالمية على أساس تحصيل اشتراكات من الصحف والإذاعات التي تستخدمها في عدد كبير جدا من دول العالم. كما أن جميع وكالات الأنباء الوطنية المهمة وكثيرا منه الصحف والإذاعات مشتركة في نشرات واحدة أو أكثر من هذه الوكالات العالمية. أما وكالة تاس السوفيتية TASS واسمها يمثل الأحرف الأولى من اسمها الكامل بالروسية Telegraphnoie Agentsvo Sovietskavo Soïnza Russykoje فقد أنشئت سنة ١٩١٨ باسم Telegrafnoie Agenburo وهي وكالة حكومية تابعة مباشرة لمجلس الوزراء السوفييتي، الذي يعين مديرها العام ونائبه من بين الشخصيات الدبلوماسية أو الصحفية البارزة. وهي تحتكر حق توزيع الأخبار حيثما يسري التشريع السوفييتي، ولكنها تقوم كذلك بدور بالغ الأهمية في إرسال الأخبار إلى الخارج، رغم أن وكالات الأنباء العالمية الأخرى وبعض الصحف الأجنبية لها مندوبون ومراسلون في موسكو.

وبينما يطلق وصف الوكالة، العالمية، طبقاً لبحوث اليونسكو على وكالة تاس، نجد وكالة الصين الجديدة (صينهوا) لا تشترك في هذه الصفة. وقد خلفت وكالة أنباء الصين الحمراء التي أنشئت في جويتشين بإقليم كيانجسي في يناير سنة ١٩٢٩، كمتفرع من جريدة الصين الحمراء اليومية. وبعد "المسيرة الكبرى" نقلت

الجريدة والوكالة معا إلى بينان بإقليم شينسي سنة ١٩٣٥. فلما بدأت الحرب الصينية اليابانية سنة ١٩٣٧، شن الشيوعيون الصينيون هجوماً سياسياً عرف باسم "حركة الجبهة المتحدة"، ورغبة في تنسيق هذا الهجوم سميت جريدة "الصين الحمراء اليومية"، وأصبحت وكالة "الصين الحمراء" تسمى "وكالة أنباء الصين الجديدة" منذ أول سبتمبر سنة ١٩٣٧، وبعد ذلك فصلت عن الجريدة، وأصبحت مؤسسة مستقلة تحتكر – شأنها شأن وكالة تاس السوفيتية – توزيع الأخبار داخل الصين الحمراء.

وإذا كانت وكالات الأنباء الغربية تصر على أن مهمتها هي نقل الأخبار نقلا موضوعيا أمينا بعيدا عن (التلوين) المتحيز، أو الدعاية الحكومية، فإن المكانة الصحيحة لوكالات الأنباء في الدول الشيوعية يمكن أن تلخص في عبارة قالها لوتينج بي، مدير إدارة الدعاية في الحزب الشيوعي الصيني، في خطاب ألقاه في ٢١ من سبتمبر سنة ١٩٥٧، بمناسبة الاحتفال بمرور عشرين عاما على إنشاء وكالة (صينهوا)، إذ قال الزعيم الصيني المذكور في ذلك الخطاب: إن "لوكالة أنباء الصين الجديدة من الأهمية مثلما للحزب، والحكومة، والجيش، ودور القضاء، وهي السلاح الماضي في حرب الطبقات".

***

وقد كان من أهم التطورات التي صاحبت نهضة الدول الإفريقية والآسيوية، حصول الغالبية الكبرى من هذه الدول على استقلالها، أن تنبهت الدول النامية إلى الدور الخطير الذي يمكن أن تقوم به وكالات الأنباء الوطنية في الداخل والخارج من ضروب التوعية، ونشر المعلومات الصحيحة الوافية، وتصحيح الأخطاء القديمة التي نشرت عمداً أو عفواً عن هذه البلاد في مراحل كفاحها الطويل لاسترداد حقها في الحرية والاستقلال، ومن هنا أنشئت في السنوات

العشرين أو الخمس والعشرين الأخيرة وكالات أنباء وطنية في عديد من الدول النامية، وأصبحت وكالة أنباء الشرق الأوسط في الجمهورية العربية المتحدة تحتل مكان الصدارة بين هذه الوكالات.

وقد بدأت فكرة إنشاء وكالة وطنية في مصر تداعب الرؤوس ، وكان لي شرف المساهمة بنصيب في هذا المجال، كما أتيح لي في أسفاري المتعددة أن أزور الإدارات الرئيسية لكل من وكالة يونيتدبريس في أمريكا، ورويتر في لندن، وصينهوا في بكين، ووكالة الأنباء الفرنسية في باريس. ومنذ أنشئت وكالة أنباء الشرق الأوسط سنة ١٩٥٦ ظللت عضوا بمجلس إدارتها بضع سنوات مع لفيف من كرام الزملاء.

ولم تكد الوكالة تقضي وقتا قصيرا من حياتها الحافلة بالكفاح الصحفي الشاق حتى توافر لها من المقومات والمعدات والأجهزة الفنية والصحفية ما لا يكاد أحد يتصور بلوغه هذا الحد في مثل هذا الوقت القصير. ويؤخذ من أخر البيانات الدقيقة المستمدة من بحث واف أعده قسم البحوث والوثائق والمعلومات بالوكالة أنه بعد أن كانت أجهزة (التيكرز) لا تتجاوز ١٢ جهازاً أصبح للوكالة أكثر من ٣٥٠ جهازا في الداخل والخارج.

وبعد أن كانت الوكالة تقدم نشرة واحدة عن السودان عام ١٩٥٦ أصبحت تصدر: النشرة العالمية الإخبارية بالإنجليزية – النشرة الاقتصادية اليومية باللغتين – النشرة الإخبارية اليومية بالعربية – نشرة الصحف اليومية بالإنجليزية.. هذا إلى جانب المجلة الاقتصادية الأسبوعية باللغتين العربية والإنجليزية التي يقوم بإصدارها جهاز تحرير خاص، وإلى جانب نشرات خاصة بالمؤتمرات والأحداث المهمة، وتقوم (ا. ش. ا) بتوزيع نشرة (الكومتل) الاقتصادية في داخل البلاد باتفاق خاص مع وكالة رويتر.

وبعد أن كان العاملون في الوكالة لا يتجاوزون أربعين فردا، تضاعف عددهم حوالي ١٢ مرة ليصبحوا حوالي خمسمائة بين صحفي وموظف فني وإداري، وكان للوكالة مراسل واحد في الخرطوم فأصبح لها اليوم أكثر من ٣٠ مكتبا ومراسلا في جميع أنحاء العالم، وقد اعتمد لها في ميزانية الدولة نصف مليون جنيها لإنشاء مكاتب خارجية جديدة ولتعزيز المكاتب الموجودة، خاصة في العالم العربي وإفريقيا وآسيا. كما تنشأ تدريجيا مكاتب في محافظات الجمهورية العربية المختلفة، ولا شك أنه كان لنظام الحكم المحلي والاستقلال الذاتي للمحافظات أثره في ازدياد أهميتها، مما دعا إلى إنشاء هذه المكاتب وإلى اشتراك المحافظات في خدمات (التيكرز) المختلفة.

ولا شك في أن عصب الحياة بالنسبة لأي وكالة أنباء هو شبكة مواصلاتها اللاسلكية والسلكية. وقد بدأت (ا. ش. ا) عملها بإذاعة نشراتها عن طريق هيئة المواصلات السلكية واللاسلكية لمدة ساعتين. ومنذ ديسمبر عام ١٩٦١ بدأت الجهود الكبيرة لإنشاء شبكة ضخمة من المواصلات لتنقل البرقيات الصحفية في لحظات من المركز الرئيسي بالقاهرة وإليه وإلى المشتركين في أنحاء العالم..

وفي عام ١٩٦٢ كانت هذه الشبكة تغطي أكثر من عشرة آلاف كيلو مترا في أوروبا وإفريقيا ثم تطورت مع نهاية العام لتغطية ١٥ ألفا من الكيلو مترات، وعلى خطوط هذه الشبكة التي تذيع على خمس موجات قصيرة خاصة تنتقل البرقيات حيث تلتقطها مكاتب (ا. ش. ا) في روما وتونس والجزائر والرباط وبيروت وميلانو وبون وهامبورج وبلجراد ولندن وبغداد والخرطوم واليمن. كما تلتقطها الوكالات العالمية التي ترتبط مع (ا. ش. ا) باتفاقيات تبادل الأنباء والخدمات لوكالة (ناس) السوفيتية و(تانيوج) اليوغوسلافية و(صينهوا) الصينية و(رويتر) وغيرها.

ولقد وصل عدد البرقيات الداخلية فقط ٤٢ ألف برقية في عام ١٩٥٩، كما بلغ عدد البرقيات لمشتركي الخدمة الإنجليزية في الداخل حوالي ١٢ ألف برقية.. أما البرقيات الخارجية فقد بلغ عددها في العام نفسه حوالي ٢٢ ألف برقية أذيعت في أربع نشرات إخبارية يومية بطريقة التليبرنتر، ونشرتين بطريقة المورس.. ويبلغ عدد ساعات الإرسال ١٦ ساعة في المتوسط، وتزيد مع أهمية الأحداث أو انعقاد مؤتمرات مهمة.

ومع نهاية عام ١٩٦٣ أصبحت (ا. ش. ا) تملك شبكة خاصة لإرسال الصور واستقبالها بالراديو.. وإدراكا للإمكانيات الكبيرة التي تمتلكها (ا. ش. ا) أوصى مؤتمر وكالات الأنباء الأفريقية الذي عقد في تونس ١٩٦٣ بأن تساعد أنباء الشرق الأوسط الوكالات الإفريقية الأخرى على إنشاء شبكة مواصلات سلكية ولاسلكية مماثلة.. وهكذا أصبحت (ا. ش. ا) في مركز يسمح لها بأن تمد يدها إلى زميلاتها في إفريقيا للتعاون من أجل مستقبل تسيطر فيه أجهزة الإعلام الوطنية على ميدان الإعلام.

وقد بدأت (ا. ش. ا) عملها بعدة أقسام محدودة، هدفها هو جمع الأخبار وتحريرها ثم إذاعتها على المشتركين، وكان عماد العمل هو قسم التحرير، ولقد تطور هذا القسم وازداد عدد محرريه برياسة أربعة من رؤساء التحرير يتناوبون العمل ليلا ونهارا في التحرير العربي والإنجليزي.

ثم أنشئت أقسام أخرى مساعدة للتحرير، حتى أصبح جهاز التحرير يضم أيضاً أقسام المندوبين بفروعها الدبلوماسية والاقتصادية، والخدمات. وينتشر المندوبون في أنحاء الجمهورية العربية، وبين الوزارات والمؤسسات والهيئات يلتقطون أهم الأخبار لتموين جهاز التحرير.

كما يضم قسم البحوث والوثائق والمعلومات الذي يقوم بتحرير البحوث

الاقتصادية للمجلة الاقتصادية الأسبوعية، كما يعد تغطية كاملة للأخبار المهمة لتقديمها للتحرير لضمها إلى الأخبار.. هذا إلى جانب التعليقات السياسية والاقتصادية.. ويضم قسم البحوث والمعلومات أيضاً (أرشيفاً) صحفياً كاملاً على استعداد للإجابة عن أسئلة أقسام الوكالة عن أي شيء في جميع أنحاء العالم، وتعزز هذا القسم مكتبة صحفية يراعى فيها أن تضم الكتب والنشرات التي تفيد العمل الصحفي، إلى جانب كتب الثقافة العامة، لفائدة العاملين في الوكالة.

ويساعد التحرير أيضاً قسم الاستماع الذي يقوم بتسجيل النشرات الإخبارية من أنحاء العالم المختلفة وتقديم الأخبار الهامة إلى التحرير فوراً، وقد زود هذا القسم بأحدث الأجهزة وأكثرها حساسية.

ويعتبر قسم الترجمة من أجهزة التحرير أيضاً، ويضم هذا القسم نخبة من المترجمين من وإلى اللغات المختلفة خاصة الإنجليزية والفرنسية، ويقوم بترجمة البرقيات الصحفية وبعض أخبار الصحف من وإلى العربية والإنجليزية، ويعتبر همزة الوصل بين التحرير العربي والتحرير الإنجليزي.

ويضم التحرير بعد هذا مراقبة الأخبار التي تتابع أولا فأول الأخبار التي سبقته بها الوكالات الأخرى لمعرفة أسباب القصور وعلاجها، والأخبار التي سبقت بها الوكالة، كما استحدثت بالوكالة أقسام جديدة لتأدية خدمات جديدة للمشتركين، أو لضم مشتركين جدد.

ومن أوائل هذه الأقسام التحقيقات الصحفية التي تضم نخبة من الصحفيين يقومون بتحرير التحقيقات اصحفية المختلفة عن كل ما يهم الرأي العام في الخارج، سواء في المنطقة العربية وإفريقيا أو في أوروبا، وترسل هذه التحقيقات الصحفية مصورة إلى المشتركين وإلى مكاتب الوكالة في الخارج بالبريد الجوي أو بالشحن الجوي، كما يمكن إرسال الموضوع بطريق "التيكر" على أن ترسل الصور

بالراديو بالنسبة للموضوعات المهمة والعاجلة.

وأنشئ قسم التصوير والخدمة المصورة ليقوم بما تؤديه وكالات الأنباء المصورة في الخارج من خدمات، كما يقوم هذا القسم بتحرير التحقيقات الصحفية، وهكذا تنتقل الأنباء والأحداث عن طريق الكلمة والصورة في أسرع وقت، وبعد دقائق من حدوث الخبر..

وفي عام ١٩٦٣ أنشئ قسم الخدمة التليفزيونية، ويقوم هذا القسم بكتابة وتصوير الأفلام التسجيلية عن نواحي النشاط في الجمهورية العربية المتحدة، وتجد أفلامه عن الآثار الفرعونية خاصة إقبالا شديدا في الخارج. والتطور الذي حدث لهذا القسم عام ١٩٦٤ ترتب عليه إنتاج أفلام سينمائية ٣٥مم لمقابلة الطلبات الخارجية المتزايدة على هذا النوع من الإنتاج..

ويشرف على هذا الجهاز الضخم – في نطاق (ا. ش. ا) – برئيس مجلس الإدارة، ومدير التحرير، ورؤساء التحرير، ورؤساء الأقسام وسكرتير التحرير، ويقوم بخدمة الأقسام الصحفية ومساعدتها على تأدية عملها جهاز إداري ضخم، يرأس القطاع الأكبر منه المدير المالي والإداري.. وتضم هذه الأقسام إدارة شئون الأفراد، والحسابات، وأرشيف المراسلات، والمخازن، والخزانة.. كما تشمل أيضا السكرتير العام، والإدارة، والمكاتب الخارجية، والشئون العامة، وأقسام السكرتيرية المختلفة، والمعاونين، والمواصلات، والحركة، والعمال.. ويقوم هذا الجهاز الضخم بجميع الأعمال المالية والإدارية التي تتطلبها أعمال (ا. ش. ا) سواء في الداخل أو في الخارج.

وترتبط (ا. ش. ا) مع العديد من وكالات الأنباء الأجنبية في أنحاء العالم المختلفة باتفاقيات لتبادل الأنباء وللتعاون المشترك في نطاق الخبر والصورة، ومن بين هذه الوكالات وكالة برنسالاتينا في كوبا ووكالة (انتارا) الإندونيسية، ووكالة

(اجربريس) في رومانيا، ووكالة (كيودو) في اليابان، ووكالة (تشيتكا) في تشيكوسلوفاكيا؛ وإنا في إيطاليا، وتانيوج في يوغوسلافيا وتاس في الاتحاد السوفييتي، وصينهوا في الصين وأثينا في اليونان ووكالة ألمانيا الاتحادية، ووكالة ألمانيا الشرقية، ورويتر، وأسوشيتدبريس، ويونيتدبريس، ووكالة الأنباء الفرنسية.

وفي عام ١٩٦٣ تمكنت (ا. ش. ا) من الحصول على إذاعة نشرة الكومتل الاقتصادية التي تذيعها رويتر، والميدان الذي ترتكز عليه (ا. ش. ا) من ناحية استقاء الأنباء ونشرها هو أولا العالم العربي وإفريقيا وآسيا ثم أنحاء العالم المختلفة.

وستقوم ا. ش. ا بتنفيذ عدد كبير من المشروعات لتطوير العمل وتوسيع نطاقه، ومن بين هذه المشروعات الجديدة بناء مبنى كامل مستقل بجمع الأجهزة المختلفة للوكالة، وهناك مشروعات كثيرة لافتتاح مكاتب جديدة خاصة في أفريقيا وآسيا، هذا بالإضافة إلى إنشاء مكاتب في البلاد التي يوجد بها مراسلون. أما في الداخل فإن مشروعات (ا ش. ا) تستهدف تعميم مكاتب المحافظات، والاهتمام بالصحافة الإقليمية في كل محافظة..

ولقد قابلت ا. ش. ا الكثير من الصعوبات وأقفلت مكاتبها في بعض الدول العربية، وقبض على مراسليها، ولكن هذا كله لم يخفت صوتها المدوي المكافح من أجل عالم يرفرف عليه السلام ويسوده العدل بين دول مستقلة لا يسيطر القوي فيها على الضعيف، ولا يتعصب فيها جنس أو لون ضد جنس أو لون آخر.. وعلى الطريق الطويل الذي قطعته وكالات الأنباء الكبرى خلال عشرات السنين تمضي ا. ش. ا مسرعة لتصل إلى ما وصلوا إليه في سنوات قليلة مقبلة.

وخلال سنوات قليلة نهضت ا. ش. ا وتوسعت أعمالها وازداد انتشار مكاتبها ومراسليها في أنحاء العالم من أجل إعلاء شأن المبادئ، ومن إحقاق الحق ودحض الظلم، من أجل عالم يسوده الرخاء والرفاهية.. وقد ظهر بعد هذا تطور

جديد تبلورت فكرته خلال مؤتمر وكالات الأنباء العربية في القاهرة في أكتوبر ١٩٦٤ الذي رأسه الدكتور إبراهيم إمام رئيس مجلس إدارة ا. ش. ا. وتمثل هذا التطور الجديد في إنشاء وكالة أنباء عربية قوية باشتراك وكالات الأنباء الوطنية الموجودة في العالم العربي. ولا شك في أن ا. ش. ا – باعتبارها كبرى وكالات الأنباء العربية الموجودة اليوم .

وبعد.. فقد آن لي – بعد هذا التقديم الذي استدرجني إلى الإسهاب فيه ما يحفل به موضوع الكتاب من كل شائق وطريف – أن أخلي بين القارئ وبين المتعة الصادقة التي لا شك أنه سيجدها في الصفحات التالية.

المترجم

السيد الرئيس

سكنت ضجة الدردشة والهمهمة بين ثلاثمائة من الرجال والنساء تجمعوا في تلك القاعة ذات السقف المرتفع المصنوع من رخام مموه بالذهب، ومال الجالسون في الصفوف الأمامية من الغرفة إلى أمام ليحققوا نظرة أدق، وفي مؤخرة الغرفة على منصة عالية حملق رجال التليفزيون في نظارات عدساتهم الدقيقة يركزون لقطاتهم على مكتب خال من خشب (الموجنا)، وأعد مئات المصورين الصحفيين آلاتهم للعمل الناجز.

كان جو التوتر والترقب واضحا في قاعة "المعاهدة الهندية" بمبنى وزارة الخارجية القديم، الواقع على الجانب الآخر من الطريق في مواجهة البيت الأبيض، وما أكثر القرارات التي اتخذت في هذه الحجرة حول علاقة الدولة بغيرها من الدول، وما أكثر ما أذيع في هذا المكان من بيانات. واليوم سيحدث شيء يعتبر حدثا خاصا في دنيا الأخبار؛ فأولئك المخبرون أنفسهم الذين سبق لهم أن حضروا عشرات المؤتمرات الصحفية التي يعقدها الرئيس أحسوا بهذا التوتر، وإن تظاهروا بعدم الاكتراث، فقد أدركوا أنهم على وشك الاستماع إلى قرار لا بد أن يشغل مكانه في صفحات التاريخ.

كان يجلس في الصف الأول على مقاعد من المعدن مخبرون يمثلون أكبر مؤسستين أمريكيتين للأنباء (الأسوشيتدبريس) و(اليونيتدبريس الدولية)، وهما معروفتان في عالم الأخبار بأنهما شركتا أنباء تقومان بخدمات تلغرافية، أو وكالتا أنباء.

لن تمضي سوى دقائق معدودات حتى يبرق هؤلاء المخبرون لملايين القراء

والمستمعين في العالم كله بقرار للرئيس أيزنهاور بأن يرشح نفسه لدورة ثانية بالبيت الأبيض، أما في تلك اللحظة فلم يكن في وسعهم إلا أن ينتظروا، فراحو يعبثون بأوراقهم ويطمئنون إلى أن أقلامهم مشحوذة، أو يدردشون مع جيرانهم فيما ينتظر أن يكون قرار الرئيس.

ونظر أحدهم إلى ساعته فرأى أن الوقت هو العاشرة والنصف صباحا، ثم فتح باب جانبي ودخل الرئيس الغرفة وهو يقول "صباح الخير" بابتسامة مشرقة تعلو وجهه، ثم مضى إلى مكتبه في مقدمة الحجرة حيث كان قد وضع فوق المكتب مذياعان.

ودار الرئيس بعينيه حول القاعة الغاصة بالناس، ثم هز رأسه بتحية خاصة لرجال وكالتي الأنباء الذين كانوا يجلسون على بعد أقدام منه. كان يعرفهم جيدا؛ فقد رافقوه كثيرا في أسفاره يرقبون نشاطه عن كثب، كما كان حرسه الخاص يحرس حياته، فحين يسافر الرئيس بالطائرة في مهمة دبلوماسية يكون رجال وكالتي الأنباء في طائرة أخرى بعده بدقائق، وحين تمضي سيارته المقفلة في شوارع المدينة تتلقى هتافات المد الزاحف من الناس تكون سيارتهم من ورائها، وكلما صرح بأخبار أبلغها هؤلاء لصحفهم، وسرعان ما يصبح ما يبلغونه للصحف أخباراً شائعة في العالم كله بعد دقائق، وها هم أولاء اليوم ينتظرون خبراً غير عادي.

وكثيراً ما يبدأ الرئيس مؤتمراته الصحفية بالسؤال عما إذا كانت هناك أسئلة يجيب عنها، وعندئذ ينبري أحد المراسلين فيقول: "سيادة الرئيس"، فما إن تلمحه عينا الرئيس حتى يوجه إليه سؤالا عن السياسة القومية يكون قد أعده بعناية فائقة، فيجيبه الرئيس وهو يعلم أن كل كلمة يقولها ستنتقل إلى عشرات الدول حيث يقرؤها قراءة واعية رجال السياسة والدبلوماسيون وعامة المواطنين في كل مكان.

أما اليوم فلن تكون هناك أسئلة؛ إذ وعد الرئيس أيزنهاور بأن يذيع بيانا يحمل جواب سؤال وجه إليه في عشرات الصيغ وهو: "هل ينوي ترشيح نفسه للبيت الأبيض لدورة ثانية؟" وكان الجواب مهماً جداً عند الشعب في الولايات المتحدة وعند غيره من شعوب العالم؛ إذ كان الناس في العالم كله يعرفون الرئيس منذ كان قائدا عاما لجيوش الحلفاء في أوروبا في الحرب العالمية الثانية، ثم رئيساً للجمهورية في بلاده زهاء أربع سنوات. وكان الناس في مشارق الأرض ومغاربها يرون فيه رجل السلام القادر على أن يزيد من أسباب التفاهم في فترة يسودها التوتر.

ولكن الرئيس كان قد أصيب بنوبة شديدة في قلبه، والإنسان حين يصاب بمثل هذا المرض يحاول عادة أن يتخفف من أعبائه، ومن هنا ظن الناس في وقت ما أنه سيعتزل الحكم بعد سنواته الأربع، إن قدر له أن يكمل هذه الدورة على الإطلاق. ثم بدأ يستعيد صحته وقرته، ويستأنف مهامه، ورغم ذلك فإن عبء سنوات أربع أخرى – مليئة بما يلقى عليه من متاعب ومخاطر بوصفه زعيم الشعب الأمريكي – عبء ثقيل إلى غير حد فهل يرضى الرئيس أن يقامر بصحته، بل وبحياته كلها، من أجل ما يؤمن بأنه واجبه؟ كان قرارا قل من يتخذه في مثل موقفه، ولن يطول الوقت بالصحفيين حتى يعرفوا رده عليه.

إن الرؤساء يحبون أيضا أن يمزحوا، وقد راوغ الرئيس الصحفيين، وبدلا من أن يدلي إليهم على الفور بما جاءوا ليسمعوه، تركهم يترقبون، في حين راح يتحدث عن قوانين المزارع، وعن دبلوماسي زائر، وعن الصليب الأحمر الأمريكي وكيف أنه منظمة رائعة.. وتلوى رجال وكالات الأنباء من القلق وهم يدونون ملاحظاتهم، ويتطلعون إلى ساعاتهم؛ فقد كانت الصفحة الأولى من الطبعات الأخيرة بالصحف الكبرى في كثير من المدن لا تزال شاغرة تنتظر أخبارهم، وهذا

الخبر بالذات سيحتل العناوين الرئيسية. ومع ذلك فالرئيس (يدردش) عن الصليب الأحمر..

وأخيراً قال: "أحب الآن أن أدلي ببيان عن مسألة شخصية"؛ وسرعان ما انبعثت التنهدات مع الجمع الحاشد المترقب، فقد جاء من أجل هذا البيان بالذات، وفي صوت متئد قال الرئيس: "إن جوابي عن السؤال موجب، أي بالإيجاب، وبعبارة أخرى: نعم".

وطفقت أصوات آلات التصوير، وسجل الصحفيون ما قاله الرئيس بالحرف الواحد، وتوالت الأسئلة بعد ذلك من أرجاء القاعة:

"يا سيادة الرئيس، متى اتخذت قرارك هذا"؟

"ما هي خططك لمعركة الانتخابات؟"

"كيف حال صحتك الآن؟"

وبدأ الرئيس يرد على الأسئلة واحدا بعد الآخر، يمزح أحيانا إلى حد الضحك، ويلتزم الصمت المطبق بضع ثوان في بعض الأحيان، في حين يسارع الصحفيون بتدوين كلماته، ورجال وكالتي الأنباء يكتبون أسرع مما يكتب الآخرون، فقد كانوا يتحرقون إلى مغادرة الغرفة ليعهدوا بأخبارهم إلى أسلاك البرق تحملها إلى الصحف التي تنتظرها، ولكنهم مع ذلك كانوا يريدون كل شيء بتفاصيله الكاملة، غير أن الباب كان موصدا حتى ينتهي الاجتماع، فلا يسمح لأحد بالتسلل قبل غيره من مؤتمر صحفي يحضره الرئيس...

وفجأة مارس أحد المخبرين الصحفيين الذين يعملون بوكالتي الأنباء حقاً خاصاً به؛ لأنه عمل في خدمة البيت الأبيض مدة أطول من جميع زملائه، فبعد أن انتهى الرئيس من إجابته عن أحد الأسئلة، أنهى المخبر الصحفي المؤتمر قائلا:

"شكرا لك يا سيادة الرئيس".

وانتهى الاجتماع وجاء طوفان الخروج، وهرول الذين كانوا في الصف الأول إلى الطرقة يجرون بأسرع ما في وسعهم، يلفون ويدورون كأنهم مساعدو ظهير في مباراة كرة قدم عنيفة. وتتطاير أربطة أعناقهم وتلتصق مذكراتهم التي دونوها بأقلامهم "الرصاص" في أيديهم، وعند الباب تشتتوا يدفعون في طريقهم كل ما صادفوه، وهم يهرعون إلى أكشاك التليفون في الردهة الخارجية، حيث كان لكل منهم (كشك) خاص به، وخط تليفوني مباشر مفتوح على مكتب وكالة الأنباء بواشنطن.

وفيما هم يتسابقون بالأخبار، كان كل منهم يحاول أن يرتب في ذهنه كيف يروي خبره. كان الوقت لا يسمح إلا بأجزاء من الثانية يتخذ فيها كل منهم قراره القائم على خبرة سنوات ودراية أعوام، وكان هؤلاء المخبرون الصحفيون من صفوة الزملاء سرعة وخبرة في العالم، ويزاولون أعمالا بحلم الآلاف من أشبال الصحفيين بأن توكل إليهم في يوم من الأيام.

صاح أحد المخبرين في تليفونه يقول: "نشرة: أيزنهاور يقول إنه سيتقدم لمعركة الرياسة في دورة ثانية".. ثم صمت برهة، وقد كادت أنفاسه تنقطع، في حين راحت الكاتبة المختزلة على الطرف الآخر تدق على الآلة الكاتبة ما أملى عليها من كلمات سلمتها إلى محرر ينتظرها. ثم قالت: "استمر" فاستأنف المخبر الإملاء، راوياً خبره استناداً إلى مذكراته المدونة، مراعياً أن يكون الإملاء مسلسلاً منتظماً يتيح نقل الرسالة على أسلاك البرق في اللحظة نفسها تقريبا. ثم يتريث برهة إثر كل بضع جمل، ريثما تنزع الكاتبة المختزلة (سلخة) أو جزءاً آخر من الخبر وتأخذه من الآلة الكاتبة لتسلمه إلى المحرر.

ويومذاك في غرف الأخبار المزدحمة بعدة مئات من الصحف في شتى أرجاء

الولايات المتحدة، توقفت آلات البرق الكاتب الخاصة بوكالات الأنباء، وسكن أزيزها لحظة، ثم جاء الرنين العاجل من الأجراس الخمسة، وكان هذا إيذانا بأن نشرة أنباء على وشك أن تأتي حاملة خبراً ذا أهمية خاصة. وسرعان ما أقبل محررو البرقيات ومديرو التحرير، والمخبرون، وصبيان التحرير كذلك، وانكبوا بأعماقهم على الآلات ليروا ماذا عسى أن تكون الكلمة المنتظرة، فإذا هي تأتي على الآلة الكاتبة بالنص التالي:

نشرة

"واشنطن– أعلن الرئيس أيزنهاور اليوم أنه مستعد لدورة ثانية".

"تابع أيزنهاور واشنطن

"وقد جاء بيان الرئيس التاريخي خلال مؤتمر صحفي حضره رقم قياسي من الصحفيين بلغ ٣١١ نفسا".

"(إن جوابي سيكون بالإيجاب– أي بالقبول)

"هكذا سرح أيزنهاور وهو يأذن للصحفيين أن ينقلوا ذلك عنه مباشرة".

وهناك في قاعة المؤتمرات الصحفية، وقف الرئيس يبتسم وهو يرى مندوبي وكالات الأنباء يندفعون مهرولين إلى آلات التليفون. ثم يتمتم لنفسه وهو يبتسم في طريقه إلى الباب الجانبي قائلا: "لقد كان مؤتمرا قصيرا على الأقل".

ومن ورائه في الحجرة الكبيرة سار معظم الصحفيين في خطى أبطأ يتناقشون فيما يعنيه بيان الرئيس على وجه الدقة. إن الذين يعملون في صحف صباحية كانت أمامهم ساعات طويلة قبل البدء في كتابة أخبارهم، فلم يكن الوقت عنصرا مهما بالنسبة لهم، كما كان بالنسبة للأسوشيتدبريس أو اليونيتدبريس؛ إذ

كان مخبرو الصحف الفردية أو المخبرون الخصوصيون، كما يسميهم رجال وكالات الأنباء، يعرفون أن صحفهم ستحصل على الخبر من البرقيات، فكان طبيعيا أن ينتحوا عن طريق مندوبي الوكالات وهم يندفعون إلى الخارج؛ إذ كان من الأسلم أن يدعوا هؤلاء الشياطين ينصرفون قبلهم.

وتذكروا فيما بينهم قصص المؤتمرات الصحفية السابقة التي كان يعقدها الرؤساء، وما كان يحدث من حوادث حين تتطاير أقدام المخبرين نحو الخارج لتبليغ الأخبار، حدث مرة أن دعي ضيف ممتاز إلى ندوة صحفية عقدها أحد الرؤساء فطرح أرضاً في الطرقة لأنه اعترض عن غير قصد تيار الصحفيين المهرولين. وفي يوم من أيام سنة ١٩٤٥ —وهو اليوم الذي انتهت فيه الحرب بأوروبا— جرى أحد المخبرين الصحفيين من مؤتمر عقده الرئيس ترومان وتعثر في سلط سقط من أحد المصورين فانخلعت كتفه، ولكن الخبر كان من الضخامة والأهمية بحيث لا يصح أن يحول دونه شيء، فزحف إلى "كشك" تليفونه وأملى القصة في ساعة كاملة وهو يتلوى من الألم، ثم انهار وحمل إلى المستشفى.

وثمة قصة أخرى يتفكه بروايتها مخبرو البيت الأبيض عن مؤتمر رياسي عقد منذ سنوات حين كانت الاجتماعات تعقد في البيت الأبيض نفسه، إذ كانت توجد خارج حجرة الاجتماع ردهة يغطي أرضها البلاط الأملس، وفي وسطها منضدة يضع الصحفيون فوقها معاطفهم، وكان الصحفيون في هرولتهم يضطرون للدوران حول هذه المنضدة في طريقهم إلى "أكشاك" التليفون، وذات يوم كان أحد الصحفيين يلبس حذاء أملس النعل لم يمكنه من أن يحفظ توازنه وهو يستدير، فتزحلق إلى طريق السيارات خارج البيت الأبيض. وقد أخره هذا الحادث ثلاثين ثانية، فخسر بذلك سباقه مع زملائه ورسمت خسارته هذه تعبيسة كبيرة على جبين رئيس التحرير.

ها هي ذي أجهزة الأخبار في العالم تبدأ دوراتها، لقد جاءها الخبر الذي ظلت تنتظره أسابيع طويلة، وبدأ يطوف مسرعا حول الولايات المتحدة كلها على أسلاك مؤجرة لوكالات الأنباء بسرعة ستين كلمة في الدقيقة حتى يستقر في وقت واحد بمكاتب الصحف في كل ولاية من الولايات. وهكذا لم تكد تمضي دقيقتان على انتهاء الرئيس من كلامه، حتى كان خبر قراره يسلم للصحف من ساحل الأطلسي إلى ساحل المحيط الهادي.

كانت الأخبار تنزع من البرق الكاتب وتصاغ على عجل وترسل إلى قاعات الجمع في الصحف ليتم صفها. وكان الجزء الأول من قصة الخبر قد جمع وصف بالآلات في عشرات الصحف قبل أن ينتهي المخبر في واشنطن من إملاء بقية رسالته، وعلى بعد ثلاثة آلاف ميل غربي واشنطن على ساحل المحيط الهادي كانت إحدى الصحف في لوس أنجليس تبيع ملحقاً لها في الشارع خلال ساعة واحدة؛ أي في الساعة الثامنة والنصف صباحا فيقرأه الناس وهم في الطريق إلى عملهم في الصباح. وكان العنوان الرئيسي بارتفاع ثلاث بوصات يقول: **أيك- سأدخل المعركة لدورة ثانية**"

وفي الصفحة الأولى نشرت القصة التي جاءت بالبرق الكاتب في كلمات قصيرة أما في المكاتب الرئيسية لوكالات الأنباء في نيويورك فقد نزع محرر الشئون الخارجية نشرة واشنطن من البرق الكاتب وسلمها إلى العامل المختص قائلاً. "هذه هي النشرة، أبرق بها فوراً". وفي الحال نطق العامل بكلمات النشرة مباشرة على الهواء بالراديو عبر الأطلنطي إلى إنجلترا، وكان الوقت هناك بعد الظهر، وفي طريق عودة أهل لندن إلى بيوتهم، حين تغص بهم "الأوتوبيسات" ذات الطابقين، كانوا ينشرون بين أيديهم نسخاً من جريدة "الإيفننج ستاندرد" اللندنية، وعنوانها الرئيسي يحمل نفس الخبر الذي جاء في جريدة لوس أنجلوس، مع تغيير طفيف في

كلماته حتى يرضي القارئ الإنجليزي: **أيك- الجواب نعم سيتقدم لدورة ثانية**..

وفي مكتب نيويورك أيضاً أخذ أحد المحررين النشرة وشمر عن ساعديه وترجمها في سرعة إلى اللغة الإسبانية وأرسلها بالراديو إلى مدريد، وبيونس أيريس وغيرهما من المدن الكبرى التي تستعمل تلك اللغات، وعلى مسافات متتابعة ترجم المحررون عبارة "أيك سيعود إلى الحكم دورة ثانية" إلى الفرنسية، والألمانية والهندية واليابانية والأيسلندية وغيرها من اللغات كل ذلك من النشرة الأصلية التي هتف بها تليفونياً ممثل وكالات الأنباء بواشنطن.

وفي عشرات من محطات الراديو والتليفزيون حول الولايات المتحدة كان المنظر يتكرر في سرعة وفي وقت واحد، كان أحد المذيعين يرقب أجهزة "التيكر" الخاصة بوكالات الأنباء، وهي تحمل الأخبار محررة بصيغة ترضي الأذن قبل العين، فلما سمع دق الأجراس الخمسة نزع النشرة وتقدم إلى المذياع. ثم توقفت الموسيقى، وساد صمت قصير. جاء صوت المذيع بعده يقول: "إنا نقطع برنامجنا لنذيع عليكم نشرة أخبار خاصة من واشنطن. أعلن الرئيس أيزنهاور اليوم أنه قرر خوض معركة الانتخاب للرياسة مرة ثانية".

وفي دقائق عرف الناس في الدنيا كلها أن الرئيس دوايت أيزنهاور قرر أنه شفي من مرض القلب إلى حد يمكنه من أن يخدم دورة ثانية إذا قبل الشعب الأمريكي أن يعيد انتخابه، وكانت لقراره هذا أهمية كبيرة لعشرات الحكومات الأخرى، ومن عواصم العالم توالت الرسائل حاملة صدى هذه الأخبار من لندن، من بون عاصمة ألمانيا الغربية، من موسكو، ومن مدن أخرى، وفي كل مكان في العالم تلقت الحكومات أول أخبارها عن قرار الرئيس من نشرات وكالات الأنباء.

وبعد هذه الخدمات التلغرافية لا تستطيع صحف الولايات المتحدة ولا غيرها أن توافي قراءها بأخبار آخر دقيقة في أرض غير أرضها، ونظرة إلى أية

صحيفة يومية تؤكد ذلك، فعلى الصفحة الأولى قد نجد عشرة أخبار أو عشرين تحمل حروف (أ. ب) أو (ى. ب. أ) بعد اسم المدينة التي أرسل منها الخبر. وهي حروف ترمز إلى وكالتي (أسوشيتد ريس) أو (يونيتدبريس إنترناشونال) الأمريكيتين، وقد أصبحت هذه الحروف تدل في كل مكان على أن الخبر يروى في صدق وبلا تحير.

والمنظمات التي تجمع هذه الأخبار تغطي العالم كله مستعينة بأجهزة بالغة السرعة والدقة للاتصالات بالتلغراف والراديو، وتحمل الرسائل من عشرات الأماكن. والمراسلون المنبثون من أي جانب في الأرض إلى الجانب الآخر، هم عيون القراء وآذانهم، مهمتهم في نقل أخبار العالم إلى القراء مهمة مثيرة خيالية تصل إلى آخر أطراف الأرض، وتتضمن أحداثا رائعة مدهشة، ومع ذلك فعملهم شاق جداً، ويجب أن يؤدي بغاية العناية، لأن العالم كله يعتمد عليه. وأكثر مهام المخبرين الصحفيين في وكالات الأنباء وأشدها إثاره تغطية أخبار رئيس الولايات المتحدة، فالمخبرون القائمون بالعمل في البيت الأبيض عندهم أوامر صريحة من رؤساء تحريرهم بأن يفتحوا عيونهم دائماً على ما يقول الرئيس وما يفعل، وأن يبلغوه للعالم على الفور.

إن مئات المخبرين الصحفيين في واشنطن يحضرون المؤتمرات الصحفية التي يعقدها الرئيس، ولكن الرئيس حين يسافر لا يصحبه إلا عدد قليل منهم، فليس هناك مكان يتسع لهذا العدد الكبير، ولا يسافر مع الرئيس غالبا سوى رجال وكالات الأنباء لأنهم في مجموعهم يرسلون الأخبار إلى كل صحيفة يومية محطة إذاعة في البلاد تقريباً، ورجال وكالات الأنباء يعرفون كبار رجال الحكومة في الولايات المتحدة معرفة شخصية، كما يرون الكثيرين من مشاهير العالم حين يزورون الرئيس، وكلما استقبل الرئيس زائراً مهماً، انتظر ممثلو وكالات الأنباء

خارج البيت الأبيض لمقابلته بعد أن ينتهي الاستقبال، وكثير من أخبار الصفحة الأولى يزاح عنه الستار من هذه المقابلات السريعة على سلم البيت الأبيض.

وكل مخبر صحفي عمل في البيت الأبيض يذكر مئات القصص الممتعة، ولعل أشد هذه القصص غرابة في السنوات الأخيرة ما حدث في (وورم سبرينجز) بولاية جورجيا في ربيع سنة ١٩٤٥، غذ كان الرئيس فرانكلين د. روزفلت قد عاد لتوه هن مؤتمر الثلاثة الكبار في جنوبي روسيا مع جوزيف ستالين وونستون تشرشل رئيس وزراء بريطانيا، وقد رافقه مندوبو وكالات الأنباء وهم (كلاب حراسته الدائمون) إلى (وورم سبرينجز). وتوقع كل منه أن ينعم بأيام من الراحة الخالية من الرسميات قبل الأسابيع المحمومة الأخيرة من الحرب، فاتفق المندوبون الثلاثة – وكانت وكالة الأنباء الدولية إذ ذاك وكالة أخبار مستقلة قبل أن تندمج في (اليونيتدبريس) – على أن يقيموا عشاء من الشواء "باربكيو" للرئيس روزفلت وبعض الضيوف الآخرين في فندق (وورم سبرينجز)، وقبل الرئيس الدعوة، وقال إنه سيحضر إلى الفندق بسيارته في الساعة الرابعة من بعد الظهر، واستقبال رئيس الولايات المتحدة شرف كبير حتى لو كنت تعرفه من سنين وتراه كل يوم، ولهذا عمل المخبرون بنشاط لإعداد الترتيبات اللازمة، إذ كانوا يعرفون أن الرئيس يرحب بهذه الفرصة السانحة للتحلل من أعباء مشاغله خلال الحرب، وفي الساعة الرابعة بدأت فرقة موسيقية شعبية تعزف ألحانها، ووقف المخبرون الصحفيون يترقبون وصول ضيف الشرف.

ولما لم يصل أحد نهض ميريمان سميث رجل (اليونيتدبريس) وأكثر صحفيي البيت الأبيض خبرة واتصل تليفونياً بقصر الرئيس وسأل عاملة التليفون.

– لماذا لم تحضروا؟ ما الذي أخركم؟

فأجابته قائلة:

– لا أدري يا سميث، ولكن المستر هاست يريد أن يراك، فاصحب زميليك واذهبوا إليه في خيمته بأسرع ما يمكنكم.

وعرف المخبرون أن شيئاً كبيراً لا بد قد حدث، ولكنهم لم يتصوروا قط ما هو هذا الشيء الكبير؛ فحين يأمر السكرتير الصحفي بهذا النوع من الاستدعاء، فذلك يعني أن هناك "خبر مهما"، ولهذا نسوا الشواء، ووثبوا إلى سيارة انطلقت بهم بسرعة تسعين ميلا في الساعة إلى خيمة السكرتير الصحفي، وفي طريقهم تحدثوا إلى مندوب إحدى شركات التليفون ليعد لهم اتصالا خاصاً مباشراً بواشنطن وهرولوا إلى داخل كوخ هاست فوجدوا السيدات في حجرة الاستقبال ببكين، وقد قلب هاست بعض الأوراق. في حين كان المخبرون الصحفيون يخرجون مذكراتهم. ثم قال:

"أيها السادة، من واجبي المحزن أن أخطركم بأن الرئيس توفي في الساعة الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين من بعد ظهر اليوم".

ورأى سميث جهاز تليفون على مدفأة في غرفة الجلوس فانقض عليه، أما الآخران فقد أسرعا إلى التليفونات الأخرى في الكوخ. لقد كانوا حتى هذه اللحظة مضيفين أصفياء، وفجأة تحولوا إلى منافسين ألداء في معركة إبلاغ الخبر المحزن لأول مرة في العالم، وقد طلب كل منهم محادثة مستعجلة مع مكتبه بواشنطن وأجاب عامل التليفون من واشنطن.

– هنا اليونيتدبريس

فصاح فيه سميث:

– خبر عاجل.

وأجابه رئيس قسم الأخبار الذي حنكته تجارب السنين في تحرير الأخبار المثيرة قائلا في هدوء:

– نعم...

وصاح المخبر عبر مئات الأميال من خطوط التليفون يقول:

– توفي روزفلت في الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين في (وورم سبرينجز). هذا سميث يتكلم...

فقال له محرر الأخبار:

– عليك بالإملاء.

واستمر سميث ومنافساه على آلات التليفون ساعات، يروون كل التفاصيل، ويتوقفون بين الحين والحين للحصول على مزيد من المعلومات من السكرتير الصحفي، وكانت الكلمات التي يملونها تكتب في واشنطن على الورق ويبرق بها على التلغراف الكاتب المنتشر في البلاد، فهذا خبر يهم العالم كله –وفاة رئيس الدولة في لحظة حرجة من تاريخها – وقد صدم المخبرون الثلاثة بالموت المفاجئ للرجل الذي عرفوه جيد المعرفة، ولكنهم لم يسمحوا لمشاعرهم الشخصية بالتدخل في أعمالهم وواجباتهم.

وعاد المخبرون فيما بعد إلى واشنطن في موكب الجنازة، بعد أن ظلوا يكتبون ويملون طول الليل، وقد كتب سميث فيما بعد يقول:

"كانت ليلة الثاني عشر من إبريل كابوسا مزعجا حقا، كانت سيمفونية صاخبة من أناس يطلبون مكالمات تليفونية، وسيارات تشق الريح على طرق يغطيها الحصى والتراب، وأزيز أجهزة التلغراف والآلات الكاتبة".

ومن واشنطن صحب موكب الجنازة إلى مدافن الرئيس في هايد بارك بنيويورك، فلما عاد آخر الأمر إلى بيته في واشنطن، أدرك أنه لم ينم غير أربع ساعات خلال أربعة أيام!.

وبفضل هذا الجهد السريع الذي لا يعرف الكلل، والذي تبذله وكالات الأنباء، يقف الشعب الأمريكي على الأخبار بصورة هي أسرع وأدق ما عرف في التاريخ، ولكن القصة المثيرة لهذه الوكالات العملاقة التي تجمع الأخبار كل من يعرفها. إنها قصة الذكاء والشجاعة والحيلة والتنافس الشديد، والجهد الدائب في السبق بالأنباء، قصة عالم لا بد فيه من مواجهة موعد محدد كالسيف في أي مكان وفي أي لحظة، قصة الرجال والآلات والرغبة في نقل الحقيقة إلى الناس في العالم الحر.

الصندوق السحري

في أحد أركان كل مكتب صحيفة يومية في الولايات المتحدة صندوق مستطيل من المعدن يصل إلى وسط الرجل وهو واقف، وتحت لوح زجاجي منحدر في أعلاه مجموعة من المفاتيح شديدة الشبه بمفاتيح الآلة الكاتبة، تدق حروفها ساعة بعد ساعة؛ فتكتب سطرا من الكلمات على لفة أسطوانية من الورق تنفرج في فتحة من الزجاج ثم تنساب إلى الأرض في تدفق لا ينتهي، هذه هي آلة (التليتايب) الخاصة بوكالات الأنباء.

إنك لا ترى يداً بشرية تحرك هذه المفاتيح، بل كل شيء أوتوماتيكي كأن الآلة تفكر وتتصرف بنفسها. إنها تصب أخبار العالم كأنها صندوق سحري، وتحت أسماء مئات المدن تأتي سلسلة متوالية من الأخبار عن المشاكل الدولية، وعن موت المشاهير وحياتهم، وعن الحروب، والسياسة، والرياضة، والبطولات الرائعة، والأحداث الفاجعة، والأخبار السارة والأخبار المحزنة. ومن وراء الصندوق السحري تقف وكالة الأنباء العملاقة تغذيه بالأخبار دون أن يراها القراء. ألوف من الرجال والنساء يعملون في مئات المدن، يجمعون ويكتبون الأخبار التي تتدفق من التلغراف الكاتب، بعضهم بعيد في طوكيو، وموسكو، وباريس، وبعضهم في مدن لا تبعد أكثر من ميل عن المكتب الرئيسي بنيويورك، وتجمع عمل كل هؤلاء الباحثين وراء الأخبار، وتسلمها للصحف حتى تطبع وتوزع على قرائها، عملية ضخمة رائعة.

والذين يعملون لشركات الأنباء يتحدثون لغة خاصة بهم؛ فهم يستخدمون كلمات يقصدون بها أشياء لا يعنيها الناس العاديون، ويطلقون على المدن حروفا

أو رمزوا لا يعرفها سواهم. ووكالتا أنباء الأسوشيتدبريس واليونيتدبريس ليست لها مهمة إلا الحصول على الأخبار بغض النظر عما وراءها من صعوبات، وتقديمها لألوف الصحف التي تقوم بخدمتها بأقصى سرعة ممكنة وبأكبر كمية من الأخبار ممكنة.

والوكالتان متنافستان قويتان عنيدتان، تحاول كل منهما أن تحصل على أخبار أكثر وعلى "زوايا" خاصة أغفلها مخبرو الوكالة الأخرى، وحين يكون هناك خبر كبير، يتعرض المخبرون المتنافسون لشتى صنوف المتاعب والأخطار، وقد يفقدون حياتهم ليكونوا أسبق في الإبراق من سواهم.

وكل وكالة أنباء ترقب الأخرى بعين مفتوحة واعية، وتمسك سجلا يوميا لمدى ما حققته من منافسة في كل خبر، وكثير من الصحف يتلقى الأنباء من الوكالتين، ولهذا يسهل على كل وكالة أن تقارن بينها وبين منافستها، وقد تلقى مكتب لندن الخاص بإحدى الوكالتين ذات مرة تهنئة من الأرجنتين لأنه سبق منافسه في الإبراق بخبر مهم بخمسة عشرة ثانية.

والأسوشيتدبريس – وهي أقدم من اليونيتدبريس– مؤسسة تعاونية؛ أي إن كل الصحف التي تتلقى خدمتها أعضاء في الوكالة، ولها صوت مسموع في طريقة إدارتها، أما اليونيتدبريس فمؤسسة بصورة أخرى؛ إذ تبيع الأخبار كسلعة لكل راغب في شرائها.

ووكالتا الأسوشيتدبريس واليونيتدبريس كلتاهما شركتان أمريكيتان، ولكنهما تبيعان الأخبار للعالم كله؛ ففي الوقت الذي يكون فيه مخبر وهما في ستوكهولم مثلا يرسلون أخبارهم إلى الولايات المتحدة، قد يكون المحررون في نيويورك مشغولين بإرسال الأنباء من أمريكا إلى السويد، وفي كثير من دول العالم تتنافس هاتان الوكالتان الصحفيتان في بيع الأخبار مع شركات الأنباء الأجنبية كشركة رويتر

البريطانية.

وتحرص وكالتا الأنباء على إرضاء كل عميلاتها المنبثة حول العالم، فأخبار وكالة اليونيتدبريس تبلغ إلى إحدى وسبعين دولة، وتترجم إلى ثمان وأربعين لغة، وتتلقاها أكثر من ٥٥٠٠ جريدة ومحطة إذاعة ومحطة تليفزيون ومكتب حكومي وسفينة وغير ذلك. ويعمل في إعداد هذه الأخبار ما يزيد على عشرة آلاف، ولكي تعجل الوكالة بنقل الأخبار إلى كل مكان تستأجر أكثر من ٤٢٥.٠٠٠ ميلا من الأسلاك، أي ما يكفي ليدور حول الأرض سبع عشرة مرة، وهناك في الولايات المتحدة وحدها ترتبط بهذه الأسلاك ١٥٠٠ صحيفة و١٨٠٠ محطة إذاعة لتلقي الأخبار والصور التي تذيعها اليونيتدبريس.

والإحصاءات الخاصة بالأسوشيتدبريس تدل أيضا على أن هذه الوكالة عملاقة هي الأخرى، فهي تغذي بأخبارها ٦٨٠٠ جريدة ومحطة إذاعة منها ٣٢٠٠ خارج الولايات المتحدة موزعة على ثلاث وسبعين دولة.

ولكي تأخذ فكرة عن مدى استعداد هاتين الوكالتين وعن مدى قدرتهما على تلقي الأخبار وإرسالها نروي لك بعض المعلومات الطريفة:

حين هرول المخبر الصحفي في البيت الأبيض إلى التليفون بنشرته عن الرئيس أيزنهاور أبلغت النشرة عن طريق آلات أعدت للاتصال بجميع الاتجاهات، فقد كتبها الموظف على ما يسميه رجال وكالات الأنباء "بالكتاب" وهو أوراق خفيفة بين كل اثنتين منها "فرخ كربون" يترك أثر الكتابة من الناحيتين، ويعتز كبار المخبرين ومشاهيرهم بأنهما بدأوا حياتهم العملية باستعمال هذه "الكتب" رغم أنهم كانوا من خريجي الجامعات.

لقد كتب المحرر القائم بالعمل في مكتب واشنطن أخبار النشرة بقلم ذي سن من المعدن شديد الشبه بالآلات التي كان يستخدمها الإنسان القديم في الكتابة

على الشمع، ثم قال: "نشرة"، وسلم نسخة إلى الموظف الذي يجلس إلى آلة التلغراف الكاتب "التليتايب" على بعد أقدام منه. وآلة التلغراف الكاتب كالصندوق السحري الذي يوجد في مكاتب الجريدة إلا أن لها مفاتيح كمفاتيح الآلة الكاتبة، وهذه هي آلة الإرسال التي تربط بوصلة تلغرافية متصلة بالتلغراف الكاتب في عشرات الصحف ومحطات الإذاعة المشتركة في المجموعة الرئيسية لأسلاك وكالة الأنباء. فلما أبلغ العامل النشرة طارت على مئات الأميال من أسلاك التلغراف.

وبسرعة شبك العامل الورقة الحقيقية بآلته على مستوى النظر، وبغير أن ينظر إلى مفاتيح الحروف راح يثقب الكلمات التي تروي قرار الرئيس وفي خلال ثوان قليلة دق جرس التنبيه خمس دقات في مكاتب الصحف وظهرت كلمة "نشرة" على آلات التلغراف الكاتب.

وعندما نقر عامل التلغراف بأصابعه على المفاتيح ظهر شيء يختلف عن الكتابة العادية لآلات الكتابة، فضربات أصابعه لم تصنع حروفاً ترتفع لتطبع على الورقة كما يتوقع المرء، ولكن هذه الضربات المتلاحقة السريعة أحدثت سلسلة من الثقوب في شريط من الورق السميك، وكل حرف من حروف الهجاء وكل علامة من علامات الترقيم تمثله مجموعة متوافقة من الثقوب، وهكذا يثقب خبر كامل على شريط طويل من الورق، وحين يجري هذا الشريط في صندوق التوصيل يرسل نبضات تلغرافية إلى التوصيلة التلغرافية فتبدأ في طبع الحروف على لفة من الورق في كل تلغراف كاتب متصل بالخط.

على أن الصندوق السحري لا يعمل بنفسه على أي حال، بل يديره رجل من وكالة الأنباء قد يكون على بعد ألفي ميل، فإذا أبلغ كلمة خطأ في هجائها سجل خطأه لا مرة واحدة، بل عشرات المرات في وقت واحد.

ورجال وكالات الأنباء يعرفون كيف يقرؤون الرموز المثقوبة في الشريط، كما يقرأ الناس صفحات كتاب، وفيما يلي شكل قطعة من الشريط:

أهي مجرد ثقوب لا معنى لها؟.. كلا طبعا، بل هي عبارة تقول: "عيد ميلاد سعيد لك".

ولكن لماذا يثقب عامل التلغراف الشريط بدلا من أن يكتب الكلمات مباشرة؟.. يفعل ذلك لأنه يستطيع أن يثقب الشريط أسرع من سرعة توصيل التلغراف الكاتب وقدرها ستون كلمة في الدقيقة. وحتى الكاتب الخبير لا يستطيع أن يثقب الشريط بالسرعة التي يستطيع بها الكاتب على آلة الكتابة، ولكنه على أي حال يستطيع أن يسبق آلة التلغراف الكاتب، ثم إن الكاتب الذي يثقب الشريط يستطيع أن "يمحو" أخطاءه من الشريط قبل أن تصل البرقية إذا حدث أن عينه وقعت عليها في الوقت المناسب، كما أن العامل يستطيع أن يركب أشرطة في أكثر من آلة واحدة في وقت واحد إذا كانت قد ثقبت من قبل، وكذلك يمكن استخدام قطعة الشريط نفسها لإرسال الخبر ذاته على عدة وصلات في أوقات متعددة.

وشبكة الأسلاك التلغرافية الخاصة بوكالات الأنباء عبر الدولة كلها تشبه السكة الحديدية عبر القارة، فهناك خط رئيسي يربط بين المكاتب الرئيسية للوكالة وبين معظم الجرائد الكبرى في البلاد، ومن الخط الرئيسي تمتد توصيلات فرعية تسمى "الأسلاك الجانبية" إلى الجرائد الصغيرة، والأركان النائية في البلاد، والأماكن التي تخرج عندها الأسلاك الجانبية من الخط الرئيسي "نقط متتابعة"، فكل سلك لولاية أو لإقليم يتفرع من الخط الرئيسي يخدم الحاجات الخاصة لعميلاتها من الجرائد، فالناس في بويس بولاية إيداهو مثلا لا يهمهم أن يعرفوا التنبؤات عن المطر في ولاية نيويورك، ولكنهم يحبون أن يعرفوا هل البرد سيسقط

في بويس أم لا؟

وهذه الأسلاك الفرعية لا تحتمل كل أخبار الخط الرئيسي إلى جانب أخبار الولاية التي يتصل بها، ولهذا يجب أن يكون هناك محرر عند كل نقطة تتابع ليقرر أي الأخبار من بين ما يتجمع على مكتبه يجب أن يتابع سيره على الخطوط الفرعية، وهذه العملية تعرف بعملية "تعبئة الأسلاك".

والقائمون بعملية تعبئة الأسلاك صحفيون مهرة وإن كانوا قلما يكتبون، وعملهم ينحصر في معرفة ما تريده الصحف التي تعامل الوكالة ومتى تريده، فأمتع أخبار الدنيا لا قيمة له عند الصحيفة أو الجريدة بعد أن تمثل للطبع، والقائم بعملية تعبئة الأسلاك يقلب الأخبار على مكتبه مائة مرة في اليوم ليقرر ماذا يجب أن يعبئ به أسلاكه أولا. ولا يهتم كثيرا بالسرعة في عملية الإرسال في يوم تكثر به الأخبار المهمة، فهو لا يستطيع أن يحمل توصيلة التلغراف أكثر من ستين كلمة في الدقيقة، ورجل وكالة الأنباء حريص دائما على وقت إرساله.

والأخبار شيء يمتاز بسرعة تغير شكله وقيمته، فأحيانا ينظر القائم بتعبئة الأخبار إلى خبر ما، ثم يقول: "إن الصحف الواقعة على هذه الوصلة لا تهتم كثيرا بهذا الخبر، ولذلك سأعبئ هذه الأخبار أولا"، ولكن وكالة الأنباء المنافسة ترى غير ذلك وتوزع الخبر بسرعة فيفرح به رؤساء تحرير الصحف وينشرونه فورا في الصفحة الأولى، وهنا ترعد الرعود في المكتب الرئيسي بنيويورك وينقض البرق على الموظف المسكين في شكل رسائل مؤنبة لماذا لم يصل الخبر بسرعة. فلا يملك إلا أن يرد في خجل "لقد أخطأت التقدير".

وفي كل يوم تعبئ وكالات الأنباء أسلاكها بالأخبار العادية، ولكن حين يكون هناك خبر كبير كقرار الرئيس، فإنها تضيء كل شبكات الأسلاك بنور أخضر، ويدق الجرس دقاته الخمس إعلانا بالنشرة ليستعد جهاز الاستقبال في

كل مكان لخبر الصفحة الأولى، ويتوقف إرسال كل شيء حتى ينتهي تبليغ الخبر المهم، لأن محرري التلغراف يعرفون أنه خبر حيوي بالنسبة لجميع الصحف والقراء.

وبعد أن ينزع خبر وكالة الأنباء من جهاز التلغراف الكاتب في مكتب الجريدة، يسير في رحلة طويلة ممتعة قبل أن يظهر في الجريدة التي تباع للقارئ، فالخبر في طريقه يتحول إلى حروف معدنية ملتهبة ثم يعود إلى الورق مرة أخرى، ويتبادله عمال كثيرون. ويسير الخبر على طول خط إنتاج جيد التنظيم كخط تجميع السيارة في مصنع السيارات.

يأخذ أحد السعاة النشرة من واشنطن إلى رجل يغص مكتبه بالأخبار الأخرى التي تصل من وكالات الأنباء، هو رئيس قسم البرقيات وهو يقرأ كل يوم آلاف الكلمات الواردة من وكالة الأنباء، أو من وكالتي الأنباء إذا كانت جريدته مشتركة في كلتيهما. ومن عشرات الأخبار عليه أن يختار ما يعتقد أنه يهم قراء جريدته أولا. وهنا يقول رئيس قسم البرقيات: "هذا خبر مهم، أيك سيتقدم لترشيح نفسه للرياسة دورة ثانية". يقول ذلك لزميله رئيس قسم الأخبار الذي يجلس إلى جواره في المكتب.

ويجيبه رئيس قسم الأخبار: "جميل، سنجعل هذا خبر الصفحة الأولى للطبعة التالية، أعطني كل ما لديك عنه من التفاصيل في الدقائق العشر القادمة، هذا كل ما يسمح به الوقت قبل مثول الجريدة للطبع". ويقرأ محرر البرقيات النشرة بسرعة ويؤشر عليها بالقلم الرصاص بكلمة تعريف فوقها تسمى "رقيقة" وهذه الكلمة حين تكتب على ورقة إضافية تمكن جامعي الحروف من تجميع أجزاء الخبر، بعد أن تكون قد صفت، ولكن كلمة التعريف في هذه المرة كانت شيئاً آخر كانت "أيك".

ويتحرك الخبر من التلغراف الكاتب جزءا فجزء إلى مكتب رئيس قسم البرقيات، ومنه إلى محرر الأخبار، ويقف إلى جانب هذا ساع يحمل بسرعة كل

جزء جديد بمجرد أن تنتهي آخر كلمة فيه، ولا تمضي دقائق على انتهاء المخبر الصحفي من إملاء خبره من "كشك" التليفون بالبيت الأبيض حتى يكون الجزء الأخير قد وصل إلى مكتب محرر البرقيات.

إن مدير التحرير في كل جريدة كبرى بالعواصم الرئيسية يقف في مكتب رئيس قسم الأخبار وهو يعرف تلقائياً في الغالب أن هذا أكبر خبر تحصل عليه جريدته في يومها فيقرر بالاشتراك مع محرر الأخبار نوع العنوان الرئيسي لبيان الرئيس، والمكان الذي يوضع فيه على صدر الجريدة. والعناوين الرئيسية في الجرائد معروفة عند المحررين بأرقام خاصة (كود) ولها نظم كثيرة مختلفة، من ذلك مثلا أن بعض المحررين يشيرون إليها بالرقم ٢– ٣٦– ٣، ومعنى هذا أن تكون على عمودين ببنط ٣٦ وبارتفاع ثلاثة أسطر ويعني أيضا أن كل سطر يبلغ ارتفاعه نصف بوصة؛ إذ أن البوصة في لغة المطابع تتكون من ٧٢ بنطا، أي نقطة.

وخبر الرئيس من الضخامة بحيث قد يرى رؤساء التحرير نشره على ثمانية أعمدة وبحروف كبيرة جدا تمتد بعرض الصفحة الأولى كلها، ويؤشر محرر الأخبار على النشرة "بالأمر الخاص بالعنوان الرئيسي" ويسلمه لقسم المراجعة، ثم يؤشر بالخبر على "النموذج" الخاص به، وهو "فرخ ورق" مقسم إلى ثمانية أعمدة تشبه صفحة الجريدة، وأخيراً بعد أن تكون أخبار الصفحة الأولى قد صفت على النموذج في الأوضاع المطلوبة، يرسل هذا النموذج إلى المختصين بالطبع ليستخدموه دليلا يسترشدون به كما يسترشد البناء بالرسم، وبذلك يستطيعون وضع كل خبر في الصفحة التي يريدها المحرر بالضبط.

ومكتب المراجعة في الجريدة الكبرى على شكل حدوة الحصان، فيجلس رئيس المراجعة في الطرف المفتوح ويجلس مساعدوه حول المكتب خارج الحدوة. ويقول رئيس قسم الأخبار لرئيس المراجعين: "هذا هو الخبر الأول"، وينظر

المراجعون إلى الساعة ويرون أنه لم يبق على وقت الطبع غير تسع دقائق، فيسرع رئيس المراجعين إلى قراءة الخبر، ثم يسلمه لأحد مرؤوسيه لوضعه في صيغته النهائية، ويحاول كل منهما أن يكتب عنوانا بالحجم المطلوب، فلا بد من ذكر الحقائق الرئيسية في الخبر حتى يفهمه قراؤه على الفور، وأن يكون ذلك في الحيز المحدد له، لأن حروف المعدن لا يمكن تضييق المسافة بينها، وإن كان المحررون طالما تمنوا ذلك، فيجب إذن أن يكتب العنوان الرئيسي بحيث يملأ مكانه فقط، ويتبين رئيس المراجعين أن المكان يتسع لعدد معين من الحروف وأن الخبر الرئيسي هو أن أيزنهاور يرشح نفسه لدورة رياسية ثانية، فيضع ورقة في آلته الكاتبة ويكتب: "**أيزنهاور يتقدم**"، وهي عبارة تزيد على المساحة التي لم يبق سواها للعنوان، أو (المانشيت)، ثم "يتقدم" ماذا؟ إن رئيس التحرير لا يستطيع أن ينشر عنوانا رئيسيا ناقصا كهذا في رأس الصفحة الأولى، ويعود رئيس المراجعة فيفكر بمهارة وسرعة وعينه على الساعة التي تسرع نحو وقت الطبع. وأخيرا يجد كلمات أخرى تعبر عن المعنى نفسه فيسرع إلى آلة الكتابة ليكتب: "**أيك- سأرشح نفسي**"(١)

ويعمل رؤساء التحرير في الجرائد الكبرى بسرعة كبيرة، وعندما يحين موعد الطبع بعد دقائق معدودة يكون مكتب المراجعة قد أرسل عدة إضافات أو ملاحق للخبر إلى غرفة الجمع وأعد العنوان الرئيسي (المانشيت) ومواعيد طبع الجريدة الكبرية مقدسة لا تجوز مخالفتها. وهنا يبدأ تحويل رسالة مندوب وكالة الأنباء إلى حروف من الرصاص.

والقسم الميكانيكي في الجريدة اليومية كخلية النحل، وفيه يقوم العمال المهرة بتحويل الأخبار المكتوبة على الآلة إلى حروف من الرصاص، وفي حجرة الجمع

---

(١) العبارة الأولى بالنص الإنجليزي EISENHOWER TO SEKK وهي مؤلفة من ١٦ حرفا معدنيا. والثانية هي IKE- I WILL RUN وهي مؤلفة من ١١ حرفا فقط.

يسمع نقر خفيف من آلات اللينوتيب يتخلله بين الحين والحين أزيز يصدر عن منشار كهربي يقطع به أحد عمال الطبع قطع الرصاص ليجعلها ملائمة لأعمدة الصفحة حسب النموذج.

ويضيف عامل مختص أجزاء خبر الرئيس على آلات اللينوتيب المختلفة بمجرد وصولها من المكتب عن طريق أنبوبة هوائية، ويقوم عامل اللينوتيب الذي أعطى (مقدمة النشرة) كما تسمى الفقرة الأولى دائما، بكتابتها على مفاتيح آلته، وهذه الآلة تحمل مفاتيح مختلفة عن الآلة الكاتبة "التايبريتر" وآلة البرق الكاتب "التيتايب". ففي هذه المرة كلما ضرب العامل حرفا في المفاتيح خرجت قطعة من النحاس مثقوب في جانبها هذا الحرف، لتقع في القالب أو (الفورمة) وسرعان ما تسقط حروف السطر الكامل جميعها في القالب. ثم يتم ضغطها على الرصاص المنصهر داخل الآلة، وعندئذ يخرج سطر جامد من الحروف ساخنا إلى الحد الذي يحرق الأصابع إذا مسته، وهكذا ينزلق كل سطر وراء الآخر من آلة الليتوتيب إلى "صينية" تنتظره، ولا تكاد تمضي دقائق قليلة حتى يكون الخبر كله قد تم جمعه..

وبعد مراجعة ما كتب بمعرفة قارئ التجارب "البروفات" الذي يتولى تصحيح الأخطاء، تجمع المواد كلها في إطار الصفحة الأولى التي تكون باقية في انتظارها. وعامل المطبعة قدير على أن يقوم بذلك في سرعة وإتقان دون أي خطأ مستعينا بالتأشيرات التي وضعها المحررون على الخبر، والنموذج الذي أرسله إليه رئيس قسم الأخبار، وعامل الطبع يقرأ الكتابة مقلوبة، ويستطيع ذلك بالمران وبالسرعة التي يقرأ بها الناس الكتابة العادية.

ويجمع العنوان الرئيسي باليد، ثم يوضع في إطار الصفحة، كما توضع بقية أخبار الصفحة الأولى في المكان الذي يحدده لها رئيس التحرير، وهكذا تكون الصفحة الأولى معدة للطبع، فتنتقل إلى قسم (الاستيريوتايب) أو التصحيف

حيث يقوم الطباعون بتثبيت الإطار حتى لا تقع الحروف، ثم يمرر لوح ثقيل من مادة مرنة على الكتابة تحت ضغط شديد، وبفضل هذه (الحصيرة) لا توضع الحروف نفسها على المطبعة، إذ تترك الحروف أسنانها في (الحصيرة) وتتكون بذلك الصفحة الأولى من الجريدة، ولكنها لا تكون من الرصاص الثقيل والسطور المفردة، بل كتلة واحدة خفيفة جداً لا تزن شيئاً، ثم تطوى الحصيرة في شكل نصف دائرة وتوضع في قالب صب كبير ليلقى عليها رصاص منصهر، وبهذا يحصلون على الصفحة الأولى من جديد في شكل لوح نصف دائري في هذه المرة – وهي صورة طبق الأصل من الصفحة الأولى التي جمعت في حجرة الصف – فيما عدا أنها الآن قطعة واحدة جامدة من المعدن، لو سقطت من أحد العمال لم ينفرط عقد كلماتها ولا سطورها، ولم "تتعجن" كما يقول الطباعون، ولكنها تؤذي أصابع القدم التي تسقط عليها، وهذه اللوحة المصفحة هي التي تركب على المطبعة فعلا لطبع الجريدة.

وأخيرا تأتي الخطوة الأخيرة في إنتاج الجريدة، يصل خبر قرار الرئيس أيزنهاور بصيغته النهائية إلى آلة الطباعة مع باقي الأخبار والإعلانات. فيوضع كل (قالب) "فورمة" من "فورمات" الصفحات المصبوبة على أسطوانة من أسطوانات آلة الطباعة الضخمة ويضغط رئيس العمال على "زر" فتبدأ الآلات في الحركة بصوت عال وتدور آلة الطباعة، وفي أثناء دوران الأسطوانات آلاف المرات في الساعة تتغطى الصفحات المصيرية بالحبر، إذ تصطدم بالورق وتضغط عليه فيتم طبع ما هو محفور على تلك الصفحات المصبوبة من حروف.

وحجرة المطبعة هي أكثر الحجرات جلية في عمليات الجريدة، ولا بد للعاملين فيها من الصياح والتفاهم بالإشارات حتى يفهم بعضهم بعضا في هذه الحلبة العاصفة. وتندفع ملفات الورق طويلة متواصلة إلى مجموعة الأسطوانات

بسرعة كبيرة، ومن أحد الأطراف تنسحب الصفحات معاً بترتيب واع في شكل جريدة كاملة، وتقوم سكاكين (أوتوماتيكية) بتقطيع ملفات الورق إلى جرائد — وإلى آلاف منها – كل واحدة كالأخرى تماما، والعنوان الرئيسي فيها ينطق بخبر المؤتمر الصحفي في البيت الأبيض.

وتجمع الأعداد في ربطات وتحمل على العربات في انتظار نقلها إلى شوارع المدينة، كما تسلم بعض الربطات للموزعين لحملها إلى بيوت المشتركين، وبعضها يترك في مفارق الطرق ليبيعها باعة الجرائد لعابري الطريق. وينادي البائع وهو يلوح بجريدة في يده "ملحق.. ملحق.. أيك يرشح نفسه للرياسة". ويعطى أحد المارة البائع قطعة من العملة ويأخذ جريدة منه ثم يمشي في تؤدة على طوار الطريق يقرأ الخبر، كما يفعل ذلك غيره وغيره...

وهكذا لا تكاد تمضي ساعة على خروج المخبر الصحفي من مؤتمر الرئيس في البيت الأبيض، وإبلاغه النشرة تليفونيا لوكالة الأنباء التي يعمل لها، حتى تكون أجهزة وكالات الأنباء قد تلقفتها لتدفع بها إلى عمليات تحرير وطبع معقدة تجري في دار إحدى الصحف الكبرى ربما على مسافة لا تقل عن ثلاثة آلاف ميل.. وبهذا يصبح الخبر في الشوارع يقرؤه من أراد.

إن الشعب الأمريكي يحصل على الأخبار دقيقة سريعة بفضل رجال وكالات الأنباء الذين يقفون وراء "التلغراف الكاتب". إنه صندوق سحري حقا، ولكنه كأي صندوق سحري لا يعمل إلا إذا كان إلى جانبه من يعرف حيله وألاعيبه، وقد قضى رجالات وكالات الأنباء الأمريكية سنوات طوالا، مثيرة، حافلة بالمخاطر يتدربون على هذه الحيل والأساليب.

الحمام الزاجل يحمل الأخبار

توقفت سفينة تجارية من الخشب في مياه ميناء هاليفاكس، شمالي جزيرة نوفاسكوشيا شرقي كندا، قبل الحرب بين الولايات بسنوات، كانت الأنواء والأمواج قد عصفت بها، وكان ركابها في غاية الجهد من قصف الماء وتأرجح السفينة اثني عشر يوما في مياه المحيط الأطلسي في طريقهم من إنجلترا. واقترب من السفينة زورق صغير يحمل المرشد المكلف بأن يقود السفينة إلى موقف آمن في ميناء هاليفاكس، وسرعان ما تسلق المرشد ظهر السفينة بواسطة سلم من الحبال ألقى به إليه الملاحون من جانب السفينة، وجاء من ورائه على السلم رجل آخر. لقد كانت السفينة تتأرجح في بطء، فرأى من حسن حيلته أن يصعد السلم بإحدى يديه، وأن يمسك بالأخرى قفصا صغيرا، ويبدو أنه كان يخشى أن يبتل ما في داخل القفص بالماء أكثر مما كان يخشى على سلامته هو نفسه.

ومن أعلى السلم وقف قبطان السفينة ينظر شزوا إلى الزائر، غير المحتفى به.. وإلى الحمل الغريب الذي يحرص عليه إلى هذا الحد فلما بلغ الشاب النحيل ظهر السفينة قال وهو يقدم نفسه إلى القبطان:

– أنا دانيل كريج... جئت أجمع آخر أنباء أوروبا لجرائدي في نيويورك.

فصاح الكابتن رايري بلهجة غير ودية:

– "آه. أجل. لقد سمعت كل شيء عنك، فهلا أخبرتني لماذا أحضرت معك هذا الطائر إلى سفينتي؟"

فقال كريج:

– لأرسل الأخبار عاجلا إلى بوسطن، فهذا حمام زاجل.

فمد الكابتن رايري يده بغلظة وانتزع قفص الحمام قائلا:

– لا، لن ترسل الأخبار من سفينتي، لن يكون هذا أبدا. لقد شكا المخبرون الصحفيون الآخرون من حيلك وألاعيبك في الحصول على الأخبار، إنهم يرسلونها على ظهور الخيل من هاليفاكس وعليك أن تسلك سبيلهم، لن يخرج سطر من الأخبار من سفينتي حتى ترسو في الميناء.

واحتج دانيل كريج بشدة قائلا:

– إن من الأهمية بمكان أن ترسل آخر أخبار أوروبا إلى بوسطن ونيويورك بأسرع ما يمكن، فالناس في هاتين المنقطتين يتوقون إلى سماع آخر الأنباء وليست هناك وسيلة للحصول على أخبار أوروبا إلا بالسفن.

فقال الكابتن العجوز:

– ولو.. يا مستر كريج. فلن يضيرهم أن ينتظروا يوما آخر أو يومين.

وبدا أن فكرة كريج الذكية قد فشلت بعد أن وضع القبطان يده على القفص، أو هكذا خيل للقبطان فصرف اهتمامه إلى إدارة دفة السفينة مكتفيا بنظرة عابرة يلقيها على كريج وهو يحدث الركاب، ويطالع الجرائد الأوروبية الموجودة على ظهر السفينة، ويكتب مذكرات على قطع صغيرة من الورق الخفيف. وفجأة صاح القبطان: "ماذا تفعل؟" وكان قد رأى المخبر يخرج حمامة زاجلة أخفاها في جيب سترته، قبل أن يصعد إلى ظهر المركب، ويربط رسالة أخباره في ساقها ثم يدفع بالطائر في مهب الريح.

وأدرك القبطان الغاضب أنه قد غرر به، فجرى إلى قمرته وأمسك ببندقية

رفعها إلى كتفه وصوبها إلى الطائر وهو يرتفع في الهواء بين الساريات، وأجنحته ترفرف حين انطلاقه بما يشبه الغريزة في الاتجاه الصحيح عائدا بها إلى وطنه على مسافة بعيدة عن الشاطئ.

وهنا قال كريج:

– لا تطلق النار يا سيدي القبطان، فقد تأخرت وابتعد الطائر عن مرمى طلقاتك

وفي أسف وندم أنزل القبطان بندقيته، ومضت الأخبار في طريقها المرسوم.

كان هذا قد حدث قبل أن يمد صمويل. ب. مورس أسلاك تلغرافه الجديد إلى أبعد من بوسطن شمالا، وكان دانيل كريج من المخبرين الرواد في الصحافة الأمريكية الذين اعتادوا أن يبتكروا حيلا ذكية للحصول على أخبار أوروبا يقدمونها للقارئ الأمريكي المتلهف عليها في مدن شرقي الولايات المتحدة.

والناس اليوم يحصلون على أخبار العالم كله في دقائق أو في ساعات على الأكثر ويصعب عليهم من ثم أن يتصوروا عالماً كان يستحيل فيه ذلك من قبل، ومع ذلك فمنذ أكثر من مائة عام، كانت أسرع طريقة لتصل الأخبار من مدينة أمريكية إلى أخرى هي ظهور الخيل، فيحمل الخيالة الرسائل في جيوب السروج، ويركضون في طرق وعرة يكسوها التراب في الصيف والوحل في الشتاء، وكان محررو الصحف يفكرون على مستوى الأسابيع لا على مستوى الساعات والدقيقة حين يترقبون وصول أخبار من أماكن بعيدة.

وكان هذا القول يصدق خاصة بالنسبة للأخبار القادمة من أوروبا، فلم يكن هناك تليفون عبر الأطلنطي، ولا راديو ولا أسلاك تلغراف. وكانت الأخبار كلها تصل بالسفن. وكانت سفن الأطلنطي في ذلك الحين تستغرق وقتاً أطول كثيراً من

السفن الجبارة التي نراها اليوم. فإذا قارنا ذلك العالم بعالمنا الحاضر وجدنا أنه كان عالماً بطيئاً ذلك الذي عاش فيه الناس في النصف الأول من القرن التاسع عشر، ورغم ذلك فقد كانوا يتعطشون للأخبار..

وكانت أخبار الحروب والكوارث ذات معنى كبير لهم لأن كثيراً من الأمريكيين كانوا قد هاجروا من الجانب الآخر من الأطلسي، أو لا تزال لهم أسر هناك، وكان أحدث ما يقال عن الأحداث السياسية في لندن وباريس ذا أهمية بالغة لرجال الأعمال، فإذا وصلت سفينة إلى نيويورك أو بوسطن كانت اللهفة تشتد للوقوف على الأخبار التي يحملها المسافرون والجرائد الأوروبية عما يجري في العالم القديم.

وكان بطء الأخبار من أوروبا سبباً في معركة كبيرة في حرب سنة ١٨١٤ وهي معركة لم يكن لها ما يبررها قط؛ ففي الوقت الذي كانت فيه الحرب مستعرة بين الجنود البريطانيين والجنود الأمريكيين، كان الدبلوماسيون يعقدون مؤتمر سلم في "غنت" ببلجيكا، وفي عشية عيد الميلاد سنة ١٨١٤ كانت معاهدة السلم قد وقعت. وخرجت سفينة شراعية عبر الأطلسي متجهة بالأخبار إلى تشارلستون جنوبي كارولينا فوصلتها بعد سبعة أسابيع، وأسرع رجال البريد بخيولهم على طريق الساحل إلى واشنطن وفيلادلفيا ونيويورك وبوسطن يحملون النبأ العظيم.

واندفعت الصحف تبشر قراءها بأخبار السلم، بعد سبعة أسابيع فقط. وأخذ الأمريكيون بالسرعة التي وصلت بها الأخبار عبر الأطلنطي، على أنه في فترة الأسابيع السبعة لم يكن جنود الجنرال اندرو جاكسون يعرفون أن معاهدة سلم قد وقعت، فالتقوا بالجيوش البريطانية عند نيو أورليانز في معركة حامية انتصر فيها الأمريكيون، ولعلها كانت أقل المعارك ضرورة في التاريخ. كل ذلك لأن العالم لم يكن يحصل على الأخبار إلا بهذه الوسائل البطيئة.

وكانت في نيويورك قبيل حروب الولايات مباشرة تسع صحف تتصارع لكسب المشتركين، وكان المخبرون في ذلك الحين يلبسون (الفراك) وقبعات الحرير العالية، ولم يكن أحد يتصور أن البطاقة الصحفية تمنح المخبر امتيازات خاصة عند الشرطة، وكانوا يكتبون أخبارهم بخط اليد؛ لأن الآلة الكاتبة لم تكن قد اخترعت بعد، وكانت الجرائد تتكون من صفحات قليلة ذات كلمات متشابكة وعناوين دقيقة كلها مجموعة باليد، كل حرف على حدة، كان يجمعها عمال ينحنون على صناديق حروفهم، وكانت الحروف الكبيرة في الجزء الأعلى من الصندوق والحروف الصغيرة في الجزء الأدنى منه، هذا ما جعل الصحفيين يطلقون حتى اليوم عبارتي: "أعلى الصندوق" على الحروف الكبيرة و"أسفل الصندوق" على الحروف الصغيرة.

وكان الناشرون في نيويورك يحقد بعضهم على بعض حقداً شديداً ويتبادلون الشتائم في كتاباتهم، ووصلت هذه الكراهية إلى حد العراك والتضارب أحياناً بين هيئات التحرير. وقد حدث ذات يوم أن اعتدى محرر على محرر آخر مشهور ضرباً بالسوط في (وول ستريت)، وفي اليوم التالي نشر الضحية الخبر في مقال مرح عنوانه: (بالكرباج كالحصان مرة أخرى)!

وكان التنافس على السبق الصحفي في تلك الأيام على أشده كما هي الحال اليوم، وقد حدث ذات مرة أن مندوبين عن جميع صحف نيويورك ذهبوا إلى بوسطن ليحضروا حديثا يلقيه دانيل وبستر وعادوا معا في سفينة الليل من بوسطن وقد وضعوا خطتهم على أن يكتبوا مقالاتهم في السفينة ثم يسلموها لصحفهم عند رسوها في الصباح، وفجأة أدركوا أن واحدا منهم — وهو هنري ريموند مندوب جريدة نيويورك (تريبيون) – لم يكن معهم، فظلوا يبحثون عنه حتى عثروا عليه في "قمرة" منعزلة، ولم يكن يكتب القصة فحسب، بل كان قد أحضر

معه صندوق حروف وعامل جمع، فكان العامل ينكب على جمع الحروف على ضوء "فانوس" متأرجح يتدلى من سقف الحجرة، وبمجرد أن ينتهي ريموند من كتابة إحدى الفقرات يتولى العامل جمعها حتى انتهى جمع المقال بوصول القارب إلى الشاطئ وأرسلت الحروف مجموعة إلى مكتب (التريبيون)، فبدأت الجريدة الطبع في الحال، محققة نصرا صحفيا كبيرا على زميلاتها، وهنري ريموند هذا العبقري النشيط هو الذي أسس فيما بعد جريدة (نيويورك تايمز).

وإزاء هذا التنافس على السبق بالأخبار، ولم يكن غريبا أن يكون أحد الناشرين قد قال لنفسه: "لماذا لا أهزم الآخرين في الحصول على آخر الأخبار الأوروبية بإرسال زورق يقابل كل سفينة قادمة ليعود إلى الشاطئ قبل أن ترسو السفينة؟".

وقد فعل ذلك، ولكن منافسيه عملوا مثله بمجرد أن عرفوا كيف هزمهم، وسرعان ما اشتدت المنافسة العنيفة بين ملاحي الزوارق الذين راح يراوغ بعضهم بعضا، ووصل الأمر إلى الاشتباك وتبادل اللكمات، في حين كانت زوارق الصحف المتنافسة تقوم بشتى المناورات بين السفن الراسية التي اصطفت بسارياتها العالية أمام الميناء على مسافة داخل مياه الخليج المتلاطمة.

ثم ظهرت الجريدة العاشرة في شوارع نيويورك، وهي (جريدة التجارة) وزجت بنفسها في معمعة الحصول على الأخبار، فتناست سائر الصحف عداءها مؤقتا لتدخل في حرب مع الوافدة الجديدة ولكن المحرر لم يستسلم بل اهتدى إلى فكرة جديدة فترك الجرائد الأخرى تستخدم زوارق المجداف واتجه لاستخدام سفينة شراعية يرسلها إلى عرض البحر لتستقبل السفينة القادمة، فلما تبين منافسوه ذلك أرسلوا سفينة شراعية تعاونوا فيها معا، وكانت السفينتان المتنافستان تبحران إلى مدى ثمانية عشر ميلا حتى جزيرة مانهاتان، لتقابلا السفن القادمة عند

(ساندي هول) حيث تطويان قلاعهما وتبطئان، وهنا يجمع المخبرون ما هم في حاجة إليه من أخبار، ثم يعودون إلى المدينة حيث يكون عمال الجمع واقفين أمام صناديق الحروف لجمع الأخبار وطبعها.

وكان يحدث أحياناً أن ترسل الصحف المتنافسة سفنها الشراعية إلى أكثر من مائة ميل خارج مياه نيويورك لتعترض السفن القادمة من أوروبا، فأدرك محرر جريدة التجارة بذكائه أن الزوارق تعود بنفس السرعة، واهتدى إلى فكرة أخرى، هي أن يجعل رجلا ينتظر على ظهر جواد، إلى جانب سفينته المنتظرة في جزيرة ستاتن الواقفة في ميناء نيويورك بين (ساندي هول) وجزيرة (مانهاتان)، فكان الفارس يقابل السفينة ويركض عبر جزيرة ستاتن ثم يقطع باقي المسافة إلى مانهاتان بالزورق، إنه السبق من أي سبيل كان.

وفي بوسطن أضاف دانيل كريج وحمامه الزاجل الذي يطير بسرعة أربعين ميلا في الساعة، شيئا جديدا وسريعا للحصول على الأخبار من أوروبا، فاشتدت المنافسة إلى حد أن عرض أحد الناشرين في نيويورك أن يدفع لكريج ٥٠٠ دولارا عن كل ساعة تسبق بها أخباره أخبار منافسيه.

وقرابة ذلك الحين حدث شيء ساعد فجأة على إمكان جمع الأخبار بالطريقة التي نعرفها اليوم، ذلك أن ف. ب. مورس اخترع التلغراف، وبدلا من أن ترسل الأخبار على ظهور الخيل، أو بالزوارق، أو بالحمام الزاجل، أو بالسكك الحديدية البطيئة أصبح من الممكن إرسال أي خبر عبر أسلاك البرق في اللحظة والتو، لقد كان حدثا ثوريا حقا وصدقا

وكانت المشكلة الوحيدة هي أن أسلاك التلغراف لم تكن تمتد إلى جميع الأماكن التي تجري فيها الأحداث، وفي نفس الوقت تقريبا بدأت بواخر (كونارد) التجارية الحديثة التي تمخر عباب الأطلنطي من إنجلترا إلى نيويورك تلقي مراسيها

في هاليفاكس بنوفاسكوشيا الواقعة في طريقها، وهكذا أصبحت هاليفاكس أول مكان في أمريكا الشمالية يمكن فيه الوقوف على أخبار أوروبا، وبذلك امتد سباق الحصول على الأخبار إلى هذا المرفأ الكندي، ولكن التلغراف لم يمتد شمالا إلى أبعد من بوسطن. أما فيما بين بوسطن وهاليفاكس فكانت هناك عدة أميال من الخلاء ليس فيها سوى طريق قذر، كان لا بد أن يقطعه الخيالة بما معهم من أخبار.

كان جمع الأخبار على هذا النحو بالزوارق وعلى ظهور الخيل السريعة وأخيرا بالتلغراف، شيئا مثيرا، وكان باهظ التكاليف أيضا، وقد أدرك أصحاب الصحف المتنافسون في نيويورك أنهم ينفقون أموالا أكثر مما يطيقون في سبيل انتصار أحدهم على الآخرين، وكثيراً ما كانت جهودهم صورة طبق الأصل، فينشرون كثيراً من الأخبار في وقت يكاد يكون واحدا.

وفي يوم من أيام سنة ١٨٤٨ اجتمع أصحاب ست صحف ليناقشوا في شيء من الحذر مشاكلهم المشتركة، وكان كل منهم ينفق آلاف الدولارات للحصول على الأخبار من السفن القادمة فتساءل أحدهم:

– ولم لا نتفق على أن نكلف مخبرا بالحصول على الأخبار لنا جميعا؟ إننا جميعا نستطيع أن نخصص زورقا واحدا للأخبار في كل ميناء، وأن ندفع (فاتورة) تلغراف واحدة لنحصل على كل خبر من بوسطن إلى نيويورك، وبهذا التعاون وتقسيم التكاليف فيما بيننا نوفر كثيرا من المال والجهد.

وبدا لأول وهلة أن بعض المحررين أصبحوا أعداءً شخصيين إلى حد يصعب معه أن يتفقوا على أي شيء ولو كان معناه دخول المال إلى جيوبهم؛ فقد تساءل أحدهم بدوره:

– وكيف نعرف أن أحدنا لن يمتاز على غيره بغير وجه حق؟

فرد عليه أحد مؤيدي المشروع:

– ستأتي الأخبار إلى مكتب الوكالة هنا في نيويورك، وتعد من كل رسالة ست نسخ، يحملها ساع يسلم واحدة منها إلى كل جريدة، وما دامت مكاتبنا متقاربة بعضها من بعض فتحصل جميعا على الخبر في وقت واحد تقريبا.

وانتهى الأمر باتفاق الناشرين الستة على هذا المشروع التعاوني للحصول على الأخبار فأسسوا منظمة لجمع الأخبار وتوزيعها، وأطلقوا عليها اسما اشتهر في العالم فيما بعد باسم (أسوشيتدبريس)، أي الصحافة المتحدة.

وكان لا بد لوكالة أ. ب. الوليدة من مندوب بارع في هاليفاكس يعرف كيف يحصل على أخبار أوروبا بسرعة ليبلغها إلى نيويورك بمجرد حصوله عليها، وكان هناك كثيرون من المتنافسين المستغلين، وأدرك القائمون بأمر وكالة الأنباء من أول الأمر حقيقة أصبحت شعار العمل في وكالات الأنباء هي "لا خبر أفضل من تبليغه"، فالحصول على خبر مهم لا يعني شيئا بالنسبة للمخبر إلا إذا استطاع تبليغه إلى الصحيفة التي يتعامل معها.

وقد اختير دانيل كريج ليمثل الأسوشيتدبريس في هاليفاكس، وعرف أصحاب الصحف مدى الخدمات التي قدمها في منافسة زملائه في ميناء بوسطن، فرقي إلى منصب أهم بطبيعة الحال.

وقد خصصت المنظمة في أول الأمر زورقا تجاريا صغيرا يلتقي بكل السفن القادمة من أوروبا على مقربة من هاليفاكس، ويجمع أخبارها ثم يبحر إلى الجنوب على طول ساحل الأطلنطي حتى يصل إلى بوسطن قبل السفن، ومنها ترسل الأخبار بالتلغراف، ثم يأخذ دانيل كريج حمامه الزاجل إلى ميناء هاليفاكس، وكان

يصطحب أحد مساعديه، مهما يكن الجو: ضبابا أو عاصفا أو مشرقا، بل حتى في منتصف الليل، في زورقه الصغير ليلتقي بالسفن القادمة.

وقد بذل منافسوه قصارى جهدهم لوقفه واستعانوا بقباطنة السفن التجارية، ولهذا حدث عندما أراد أن يعجل بإرسال الأخبار أن يأخذ حمامته الزاجلة إلى ظهر السفينة أن حاول القبطان في غضب أن يطلق الرصاص على الحمامة التي تحمل الأخبار عبر السماء.

وكان هياج البحر خارج ميناء هاليفاكس يشتد أحيانا إلى درجة تمنع حتى صحفيا عنيدا مثل دانيل كريج من أن يتسلق صاعدا إلى ظهر السفينة القادمة؛ فكان حين يرى ذلك يتلقى من أصدقائه من البحارة ما يحملون من الصحف الأوروبية ملفوفة في صفائح لا ينفذ منها الماء. وكانوا في أثناء النهار يربطون بالصفائح علما صغيرا مرفوعا بعصا حتى يستطيع العثور عليها في الماء، أما في الأيام العاصفة فكانوا يلقون بها مع صواريخ مشتعلة ليسترشد بها.

وفي بطء أنشئت خطوط التلغراف على شاطئ الأطلسي حتى بورتلند بولاية ماين؛ فكان كريج يرسل أخباره على ظهور الخيل مسافة مائة وخمسين ميلا عبر شبه جزيرة نوفاسكوشيا، بحيث يتغير الحصان كل ثمانية أميال، وكان الراكب ينطلق بسرعة ثمانية عشر ميلا في الساعة، ويمرق كالرعد في المناطق القليلة السكان، إلى ميناء صغير يسمى ديجي، حيث ينتظره قارب يحمل الأخبار من ساحل ماين إلى مكتب التلغراف في بورتلند، ولتوفير دقائق قليلة أخرى كانوا يطلقون مدفعا على مسافة أميال قليلة من ديجي عندما يمرق حامل البريد تنبيها لقبطان حتى يستعد للإبحار في اللحظة التي يصل فيها الراكب إلى الميناء.

وأخيرا، قبل حرب الولايات بسنوات قلائل امتد خط التلغراف إلى هاليفاكس، وانتهى ذلك السباق المحموم بالحمام الزاجل والخيل، وتحول إلى سباق

يحاول فيه الصحفي الوصول قبل غيره إلى محطة التلغراف بأخباره، وهو السباق الذي يشترك فيه مخبرو وكالات الأنباء حتى يومنا هذا، وكان يحدث أحيانا أن ينقطع سلك التلغراف بطريقة غامضة عندما تكون لدى أحد المتنافسين رسالة مهمة.

ولعل دانيل كريج الذكي الفطن كان أول من استخدم حيلة أخرى يستخدمها جميع المخبرين من ذلك الحين، إذ كان يحاول أن يشغل خط التلغراف الموجود قبل الحصول على الخبر المنتظر حتى لا يتيسر لمنافسيه استخدامه، فكان إذا توقع خبرا بالغ الأهمية سارع فأبرق برسالة إلى نيويورك عنوانها "أخبار أسوشيتدبريس" من الباخرة، ويا لها من رسالة طويلة حقا، إذ كانت في الواقع نص الإنجيل المقدس.

وكانت تعليماته إلى عامل التلغراف هي أن يبدأ بإرسال كلمات "سفر التكوين" ثم يمضي إلى آيات "العهد القديم" حتى يعد كريج أخباره فيرسلها فورا، وكانت هذه الأساليب باهظة التكاليف، ولكن المنافسة في نيويورك كانت شديدة للسبق بالعناوين الرئيسية عن أوروبا إلى الحد الذي كان يبرر هذه التكاليف في نظر أصحاب الصحف ذات الوكالة التعاونية.

ويستخدم المخبرون اليوم طريقة كريج حين يخرجون لتغطية خبر مهم في منطقة منعزلة ليس بها إلا تليفون واحد في بيت ريفي أو متجر قروي؛ فالمخبر الذكي الذي يريد أن يكون أول من يبلغ الخبر بصرف النظر عن التكاليف قد يذهب إلى هذا التليفون مبكرا ويطلب إلى أحد الناس أن يقرأ أسماء المشتركين من دليل التليفون ببطء على أحد المحررين في مكتب الجريدة، وذلك ليظل الخط مفتوحا، حتى إذا حصل المندوب على الخبر هرول إلى التليفون، وأملاه على الفور، أما منافسوه فقد يضطرون للسفر أميالا للوصول إلى تليفون آخر، وبهذا

يحصل هو على سبق مهم بالأنباء.

وفي تؤدة ودأب راحت الجماعة الأولى من أصحاب "الأسوشيتدبريس" بنيويورك توسع دائرة نشاطها لتبعث بالأخبار إلى أصحاب الصحف في فيلادلفيا وبلتيمور، فبدأوا يحصلون على الأخبار بالبرق والبريد من مدن أخرى ولا سيما العاصمة: واشنطن.

وكان أهم خبر في سنة ١٨٤٨ — وهي السنة التي بدأت فيها "الأسوشيتدبريس" عملها – خبر انتخابات الرياسة، وكان أربعة من المشاهير يتنافسون في مؤتمر حزب "الهويجز" (أي الأحرار الذي أصبح يعرف الآن باسم "الحزب الجمهوري") في فيلادلفيا ليكون أحدهم مرشح الحزب الرياسة، وكان الاهتمام بهذه المعركة على أشده في كل مكان، وكانت الأسوشيتدبريس الناشئة مصممة على السبق بإرسال الخبر لي نيويورك، وكانت العقبة الكبرى هي أن المهندسين لم يستطيعوا أن يربطوا سلك التلغراف بين فيلادلفيا ونيويورك عبر نهر هدسون، فانتهى الخط عند مدينة جيرسي على الشاطئ الآخر من المدينة ومن هناك ترسل الأخبار بالزوارق.

وهنا ظهرت فرصة يستخدم فيها مندوبو وكالات الأنباء ذكاءهم، فالأسوشيتدبريس توفر أكثر من ساعة لو أنها أعلنت اسم المرشح الفائز باستخدام الإشارات عبر نهر هدسون، لهذا ذهب مدير عام الوكالة بنفسه إلى مدينة جيرسي ليبلغ الخبر بمجرد وصوله بالبرق من فيلادلفيا، وعهد إلى رجل آخر في مانهاتان بالشيفرة مع تعليمات مشددة بشأنها، فإذا رفع المدير علماً أبيض كان معنى ذلك أن "زخاري تيلور" قد رشح. أما العلم الأحمر فمعناه "هنري كلاي"، وإن كانا علمين أبيضين معاً كان هذا معناه "الجنرال فيلد سكوت"، وإن كانا علمين أحمرين كان المرشح هو "القاضي ماكلين".

وهكذا وقف الرجل يترقب في مانهاتان عبر النهر الكبير، وفجأة رأى علماً أبيض يرفرف في الهواء من شاطئ جيرسي إذن لقد رشح الحزب "تيلور" فاندفع متنقلا من مكتب أحد أعضاء وكالة "الأسوشيتدبريس" إلى مكتب آخر صاعداً هابطا درجات طويلة من السلالم يحمل الخبر، ثم طيره تلغرافيا إلى نيو إنجلند في لهفة بالغة، وفي بورتلند بولاية ماين أطلق المؤيدون للجنرال تيلور مائة مدفع تحية له، وفي نفس الوقت كان مدير الأسوشيتدبريس ينتظر عبثا في مدينة جيرسي أن تدق أسلاك التلغراف بالأخبار من فيلادلفيا معلنة اسم المرشح، وبعد ساعات جاءت الأنباء بأن الاجتماع قد وصل إلى أزمة، وأنه لن يعلن اسم المرشح قبل غد، وتصور دهشته وفزعه عندما عاد عبر النهر إلى مانهاتان ليرى أهل نيويورك يحتفلون بترشيح الحزب لتيلور، من أين لهم هذا الخبر؟ إنه من الأسوشيتدبريس بالطبع.

واضطرت وكالة الأنباء في جزع أن تعلن الموقف على حقيقته، ثم راحت تبحث عن السبب في وقوع مثل هذا الخطأ، وتبين أن الأمر كان في غاية البساطة، إذ كان على شاطئ جيرسي فعلا علم أبيض يرفرف ولكنه لم يكن علم الأسوشيتدبريس، فالذي رآه المراقب كان علم أحد السماسرة يذيع آخر أنباء بورصة العقود من فيلادلفيا، وتنفس رجال الأسوشيتدبريس الصعداء في اليوم التالي حين رشح الجنرال تيلور فعلا.

لقد كانت الأسوشيتدبريس على صواب، ولكنها سبقت التاريخ بيوم كامل، وكثيراً ما أصيب رجال وكالات الأنباء في عشرات السنوات التي تلت بمغص في أمعائهم، وهو المغص الذي يصيب كل مخبر صحفي حين يتبين أنه قد وقع في خطأ بالنسبة لخبره المثير، وأن هذا الخبر كان "خاصا أكثر من اللازم".

الأسلاك الثرثارة

رجل أشيب يضع واقيين خضراوين على عينيه، ويرفع كمي قميصه برباطين، يجلس إلى منضدة في مكتب الجريدة، وأذنه مصغية إلى صندوق خشبي به جهاز استقبال، ومن هذا الصندوق تنبعث أصوات متقطعة من النقط والحروف يجد فيها المستمع العادي مجرد ضوضاء تثير الأعصاب، ولكن الرجل الجالس إلى المنضدة الذي تمرس عقله في إشارات مورس، يجد في هذه الأصوات كلمات واضحة وضوح ما يسمعه من أفواه البشر. وعلى بعد مئات من الأميال يقوم عامل تلغراف آخر بالدق على مفتاح من النحاس بأصابع سريعة رقيقة، ويبعث برسالته في نبضات كهربية على طول سلك تلغرافي أسود رفيع، فيكتب الذي يستقبلها في الطرف الآخر ما يصل إليه من أخبار، وهو يصغي لتيار الصوت في عقله ويحوله إلى كلمات بأطراف أصابعه فنجد جملة تلي جملة، وهو يكتب الخبر على آلته الكاتبة:

،. – . – .. (ى ... ب.

فيكتب عامل التلغراف.. "اليونايتدبريس"، وفي عشرين أو ثلاثين مدينة أخرى تتصل بنفس "الوصلة" التلغرافية، يتلقى آخرون في مكاتب الصحف نفس الأخبار في نفس الوقت، وقد حشر بعضهم علبة صفيح من علب التبغ في جهاز الاستقبال لتضخيم الصوت حتى تكون له "قوة" ويؤكد قدامى عمال التلغراف أنهم كانوا يستطيعون التقاط صوت وصلاتهم في حجرة تزدحم بمئات الأجهزة لأن لكل علبة من التبغ رنينا يميزها عن غيرها. وينتهي الخبر، ويليه ثان، ثم ثالث ثم تأتي هذه الإشارة:

إن معناها (١٠)، ولهذا ينهض العمال من حول توصياتهم عن كراسيهم لاستراحة مدتها عشر دقائق... كانت هذه هي الطريقة التي ترسل بها وكالات الأنباء أخبارها في أرجاء البلاد قبل اختراع "التليبرنتر" الحديث، وكان كل شيء يتوقف على عامل التلغراف بإشارات مورس، وبغير تفسيره لثرثرة آلة الاستقبال يصبح تيار الأخبار الساري في الأسلاك من العالم الخارجي بلا معنى على الإطلاق.

إن اختراع التلغراف في السنوات الأربعينية من القرن الماضي هو الذي جعل عملية جمع الأخبار على نطاق واسع ممكنة، فلولا وجود طريقة لإرسال الرسائل بسرعة وإلى مسافات بعيدة، لما كان هناك هدف كبير من وراء استنفاد كل الموارد والحيل لجمع الأخبار على وجه السرعة، وكان كثير من الأمريكيين بما فيهم بعض محرري الصحف يعجزون في أول الأمر عن إدراك أثر التلغراف في تنمية بلادهم وفي نمو صحفهم وكان ذلك بصفة خاصة في المناطق النائية في الغرب، في إنديانا وإلينوي؛ إذ أن كثيراً من الناس كانوا يرتبون في ذلك الجهاز الكهربي المغناطيسي الساحر الذي يحمل الرسائل بهذه السرعة.

ولم يكن يسمح للقائمين بمد التلغراف بأن يعلقوا أسلاكهم فوق جسور خشبية حتى لا تتسبب عنها الحرائق، وفي وقت ما شاعت الهواجس في نفوس الجهلاء لاعتقادهم أن هذه الأسلاك ربما كانت سبباً في انتشار الكوليرا، خلال ظهورها في شكل وبائي. ولما امتدت الأسلاك من مدينة إلى مدينة خلال منتصف القرن التاسع عشر عبر السهول وفوق الجبال أصبح النقل السريع للأخبار حقيقة واقعة

على أنه في السنوات الأولى من التلغراف عانى بناة الشبكات التلغرافية،

وأصحاب الصحف التي كانت تتلقى الرسائل عن طريقها كثيرا من المتاعب، وكثيراً ما كانت الخدمة التلغرافية تنهار من جراء أبعد الأشياء عن البال، فالوصلات التلغرافية كانت عادة من أسلاك مفردة في العراء مرتبطة بأعمدة لا تعدو أن تكون جذوعا من الشجر متفاوتة الحجم تغطيها قشورها أحيانا، فإذا هبت الريح، أو عاصفة ممطرة ثقيلة أو سقط البرد، فقد ينقطع السلك وتتعطل الخدمة التلغرافية أياما كاملة في بعض الأحيان، ويضطر عمال الصيانة القائمون بالإصلاح للعمل في مناطق نائية بلا قطع غيار ولا أدوات واستخدام شتى الحيل التي تضمن سريان الكهرباء في الأسلاك، وقد حدث أن أحد هؤلاء العمال فقد ما لديه من أسلاك فاشترى قطعا من أنابيب المواقد من أحد متاجر المدينة واستخدمها لترقيع قطع السلك في توصيلة التلغراف.

وأصعب مشكلة عانى منها بناة التلغراف الأوائل كانت مشكلة الأنهار؛ إذ لم يكن أحد قد اخترع بعد طريقة لعزل الأسلاك ولم يكن من الميسور مدها تحت الماء لأن ذلك يؤدي إلى توصيلات قصيرة فقد إشارات مورس، فكانت الرسائل تستقبل أولا على الأسلاك من أحد الشاطئين وتنقل في القوارب إلى الشاطئ الآخر حيث يستأنف إرسالها على الأسلاك، ثم أقاموا أبرجا خشبية عالية على كل شاطئ كان بعضها يرتفع إلى مائتي قدم حتى يمكن مد الأسلاك عبر النهر، وكان ذلك ضروريا لمنع اصطدام الأسلاك بمداخن البواخر النهرية.

وعندما كانت إحدى هذه الساريات التلغرافية تسقط لأي سبب من الأسباب كانت الدخمة تتعطل لمدة أسابيع. تصور حنق الرجل الذي أنفق مبالغ طائلة ليبني أبراجا عالية عند كيوكوك بولاية أيووا ومد عليها سلكا تلغرافيا عبر نهر المسيسبي، فإذا فلاح غليظ الطبع على شاطئ النهر يكره هذا التطفل من مدينة لمدينة على عالمه الهادئ الساكن، ويرى في أزيز الأسلاك وهمهمتها شيئا يضايقه،

وكلما اشتدت الريح في وادي النهر زادت الهمهمة، وزاد معها حنقه وغيظه..

وفي ليلة لم يغمض له فيها جفن دفعته همهمة الأسلاك مع الرياح العاصفة إلى القيام بعمل بائس، فوثب من فراشه والتقط فأسه، وغادر بيته في سواد الليل، وبعد ساعة من التحطيم المضني نجح في إسقاط السارية إلى الأرض، وظلت مدن أيووا أسابيع بعد ذلك بلا رسائل تلغرافية في جرائدها سوى ما كانت تحصل عليه بالزوارق عبر المسيسبي.

ورغم هذه الصعاب كلها فقد امتدت أسلاك التلغراف إلى مدينة بعد أخرى في النصف الشرقي من البلاد، وكانت الصحف شديدة الفخر بتلقي الأخبار بالتلغراف فور حدوثها، وكانت تنشر الرسائل البرقية تحت عنوان "آخر الأنباء من البرق" أو بعنوان: "من الأسلاك الحديدية"، وكثيرا ما كانت العناوين تزدان برسوم تمثل سحابا تقطعه ومضات البرق.

وكانت صحيفة "الكورير" في مدينة لويز فيل بولاية كنتكى من أنجح الصحف المحلية في القرن التاسع عشر، ففي سنة ١٨٤٧ أعدت ترتيبات للحصول على النص الكامل للخطاب السنوي الذي ألقاه الرئيس بولك على الكونجرس، وذلك تلغرافيا من واشنطن، وكانت هذه محاولة تنم عن طموح كبير، وتكلف كثيرا بالنسبة لجريدة صغيرة في إقليم داخلي، فأعلن محرروها عن خطتهم في زهو ومبالغة، ليشدوا بذلك أعصاب قرائهم إذ كانوا يعملون أن حديث الرئيس سيكون منصبا على الحرب مع المكسيك.

ولكن أسلاك البرق، كما كان يحدث غالبا في تلك الأيام، أفسدت ما أعد من خطط محكمة، وكان أن ظهرت "الكورير" في ذلك اليوم خالية من الخبر الذي أعلنت عنه مقدما على أوسع نطاق؛ إذ انقطعت الأسلاك الطويلة التي كانت تمتد عبر نهر أوهايو في أحوج لحظة، ولكي يفي رؤساء التحرير بوعودهم كلفوا

عمال التلغراف بتلقي الرسائل على الشاطئ الآخر من النهر لنقلها عبره في زورق يصل قبل وقت الطبع، ولكن سوء الحظ حالفهم مرة أخرى إذ تجمع الضباب كثيفا فوق النهر، فلم يستطع أشجع البحارة، أن يعبر النهر بقاربه، ولم تصل الأخبار في تلك الليلة.

ومن عجيب ما يروى أن أحد المحررين الأذكياء في الغرب الأوسط أسعده الحظ بعد ذلك بسنتين فحصل على خطاب الرئيس دون أن يدفع مليما واحدا، مع أنه كان ينبغي أن يدفع الثمن، ذلك أنه بعد تركيب شبكة التلغراف بسنوات قليلة – وقبل أن تعمم وكالة "الأسوشيتدبريس" خدمتها – كانت شركات التلغراف المختلفة تجمع الأخبار من مدن قليلة وتبيعها لمن يدفع الثمن، وكان الذين يدفعون ثمن خبر ما كخطاب الرئيس مثلا، يتجمعون في مكتب التلغراف، وبينما كان العامل يسجل ما يصله من الشرط والنقط كان يقرأ الرسالة بصوت عال على الحاضرين، فيعمد كل واحد منهم إلى تدوين كلماته، وفي هذه المناسبة لم يستطع محرر صحيفة (مليووكي) أن تدبر المال اللازم لشراء خطاب الرئيس الذي يريده، ولكن هذا العجز لم يوقفه عن غرضه، فاستأجر حجرة فوق مكتب التلغراف مباشرة بمبلغ صغير، وكان بالمكتب ثقب تنفذ منه مدخنة، فأصغى بأذنه من هذا الثقب واستطاع أن يكتب كلمات عامل التلغراف من غير أن يدفع شيئا، تماما كما يشاهد الأطفال المباريات من ثوب في أسوار الملاعب.

وكان عمال التلغراف يكتبون التلغرافات الواردة بكلماتها الكاملة، وبضربات طويلة من القلم الرصاص حتى يسهل على المحررين وعمال المطبعة قراءتها، على أنه في العقدين الأخيرين من القرن التاسع عشر انتشرت الآلات الكاتبة بين عمال التلغراف.

وبعد أن انتشر استخدام التلغراف بوقت قصير، بدأ العمال في وضع

كلمات مختزلة لتسهيل عملهم، وكذلك لإرسال الرسائل بأسرع مما كانت عليه الحال في ذلك الحين، فاتبعوا في سبيل ذلك طريقة لاختزال الكلمات والجمل. كان عامل الإرسال يرسل الكلمات مختزلة، فيكتبها عامل الاستقبال كاملة، كان يرسل مثلا الحروف "ال ل" بالنقط والشرط فيكتبها عامل الاستقبال "الليلة"، ويرسل "ص س" فيكتبها عامل الاستقبال "صباح أمس"، وهكذا..

ومنذ أكثر من مائة عام استخدم عمال التلغراف حرفي .O. K بمعنى كل شيء على ما يرام، وهي عبارة يعتقد الكثيرون أنها عامية حديثة، ومع ذلك فليس هناك من يعرف مثلاً أن الرقم "٣٠" معناه انتهاء الإرسال. والأصل في ذلك كما تقول إحدى الروايات أن العادة جرت قبل ظهور الآلات الكاتبة على أن يوضع الرقم ٣٠ بالحروف الرومانية في آخر الرسالة الخطية، هكذا: xxx، للدلالة على أنها انتهت.

وقد جمع عامل تلغراف يدعى والتر ب فيلبس سنة ١٨٧٩ كل الاختصارات التي كان يستخدمها عمال التلغراف ووضعها في كتاب عرف بشيفرة فيلبس، فأصبح هذا الكتاب مرجعا يسترشد به عمال التلغراف في الصحف، ولا يزال بعضها يستخدم حتى اليوم بعد مرور أكثر من ثمانين سنة على وضعها، فإذا كتب أحدهم Seotus عرف كل عامل تلغراف بوكالات الأنباء أن المقصود هو المحكمة العليا للولايات المتحدة لأنها الحروف الأولى من عبارة:

Supreme Court of the United States

وكان هذا أحد مصطلحات شيفرة فيلبس، وهكذا كان أحد عمال التلغراف بوكالة أسوشيتدبريس إذا أرسل النص الآتي:

WASHN 8- T SOUTS TDY CMFD T STC O FV YRS D PEN IMPSD ON JOHN JONES O KX CNVCTD O STEALG SX ISTND O STA FNDS.

كتبه عامل استقبال التلغرافات كما يلي:

WASHINGTON, JULY 8- THE SUPREME COU-RT TODAY CONFIRMED THE SENTENCE OF FIVE YEARS IN THE PENITENTIARY IMPOSED ON JOHN JONES OF KANSAS CITY, CONVICF. ED OF STEALING $ 15.000 OF STATE FUNDS.

ويضم الكتاب أكثر من ٥٠٠٠ كلمة وعبارة بهذه اللغة الاختزالية التلغرافية الغريبة، ولكنها كادت تعتبر الآن في حكم اللغة الميتة، لأنه لم يعد هناك سوى عدد قليل من عمال التلغراف القدامى بعد انتشار "التليبرنتر"، أي التلغراف الكاتب السريع، وإن كانت قد بقيت بعض مخلفات من هذه اللغة تستعمل حتى الآن.

وكان من المألوف عند انتظار أخبار مثيرة أن يجتمع في مكتب تلغراف الجريدة محررون ومخبرون وسعاة يقرأون من وراء كتف العامل ما يتلقاه من كلمات، وكان من لحظات الأمجاد عند عامل التلغراف تلك التي يتلقى فيها أخبار المباريات العالمية في الكرة، فقبل انتشار التليفزيون كانت التلغرافات تنشر وصفا تفصيليا دقيقا للمباراة حركة حركة، وكلما اشتدت الحماسة في أرض الملعب على بعد مئات الأميال تضاعف الزحام حول عامل التلغراف بالجريدة مما يؤدي أحيانا إلى تلف الأسلاك، وكان عامل التلغراف يقرأ على الفور ما يكتبه كلمة كلمة.

والتشويش على عامل التلغراف وهو يقرأ أو يستقبل كان سلوكا شائنا لأنه مضطر لأن يصغي بكل عقله للشيفرة، فكان الناس ينتظرون دقات الآلة وترجمة العامل لها، وعندما تتحقق أية أهداف يعلنها العامل بشيء من التعالي والسلطان، وقد يكون بين الحضور بعض خريجي الجامعات والكتاب المشهورين، ولكن ليس بينهم من يفهم ما تقوله الأسلاك، فلم يكن أحد يعرف قبله ما يجري في تلك المباريات العالمية.

حدث في أثناء الحرب بين الولايات أن أرسلت وكالة الأسوشيتدبريس – وكانت لا تزال صغيرة ناشئة – بعض مخبريها وكانوا يسمون "وكلاء" في ذلك الوقت، إلى كثير من مناطق القتال، وكانت مهمة إطلاع صحف الشمال على الأخبار مهمة شاقة، لأن خدمات التلغراف كانت شديدة الاضطراب، وكانت هذه أول مرة يقوم فيها مندوبو وكالات الأخبار بتغطية أخبار إحدى الحروب، وهو عمل قدر له أن يتكرر بعد ذلك على نحو ما كان أحد يتصوره إن ذاك، حتى بلغ ذروته بتلك الشبكة من المراسلين الذين قاموا بتغطية أخبار الحرب بين الولايات، وأخذت واشنطن تحتفل بأعياد النصر، وتقيم الاستعراضات والمآدب والحفلات المسرحية، وحدث أن ذهب الرئيس الشاحب المكدود إبراهام لنكولن مع زوجته إلى مسرح فورد في مساء ١٤ من أبريل سنة ١٨٦٥ لمشاهدة تمثيلية عنوانها "ابن عمنا الأمريكي"، وكان مدير مكتب الأسوشيتدبريس في واشنطن، واسمه لورنس جوبرايت في حالة من الاستجمام والراحة بعد ذلك المجهود الشاق طوال سنوات الحرب في الحصول على أخبارها ونشرها من العاصمة، وكان ينفث دخان سيجارة وهو جالس في مكتبه بالوكالة يقرأ إحدى الصحف في ذلك المساء بعد انتهاء عمله. وعلى حين فجأة فتح الباب، واندفع منه أحد معارفه، وهو يلهث بعد أن جاء يعدو من مسرح فورد، ثم يصيح قائلا: "لقد أطلق الرصاص على الرئيس".

فأمطر، جوبرايت بالأسئلة، ثم كتب رسالة سرعان ما أرسلت بالتلغراف إلى نيويورك بهذا النص: إلى الأسوشيتدبريس: "أُطلق الرصاص على الرئيس الليلة في المسرح وربما كانت الإصابة قاتلة".

وبعد إذاعة هذه البرقية المزعجة على العالم أسرع جوبرايت إلى مسرح فورد، وشق طريقه وسط الحشد الذي تجمع هناك، متخطياً الجنود بثيابهم الزرقاء، وكانوا

قد تجمعوا في تلك اللحظة وأسرع إلى مقصورة الرئيس التي حدث فيها إطلاق الرصاص، وألقى نظرة عاجلة فيما حوله واستوعب المنظر كله في خياله ودون ما شاء من ملاحظات، وفيما هو واقف هناك مد أحد موظفي المسرح يده تحت أحد المقاعد والتقط مسدساً سلمه لجوبرايت، لقد كان هو المسدس الذي قتل به الرئيس، وقد سلمه جوبرايت إلى الشرطة بدوره ثم أسرع لجمع مزيد من المعلومات، ولما عاد إلى مكتبه كتب سلسلة من البرقيات الموجزة إلى نيويورك حاول فيها أن يعطي صورة دقيقة لما حدث في العاصمة الرسمية في تلك الليلة الليلاء، وحين أمكن الحصول بعد ذلك على التفاصيل كتب مقالا طويلا بعنوان "تفاصيل"، ثم أسرع إلى البيت الذي نقل إليه لنكولن بجرحه المميت، وظل هناك ساعات طويلة من الليل في انتظار أخبار جديدة.

ووصلت أول برقية من جوبرايت إلى نيويورك في اللحظة التي كانت فيها جرائد الصباح على وشك أن تبدأ في الطبع فأسرع رؤساء التحرير إلى فك الصفحات الأولى لإفساح مكان لهذا الخبر المثير، ولم تكن الصحف تنشر العناوين الرئيسية إذ ذاك بالحروف السوداء الكبيرة المعروفة اليوم، بل كانت تقتصر على نشر العنوان على عمود واحد مهما يكن مبلغ أهمية الخبر، وهكذا فتح قراء صحيفة (الهيرالد) في نيويورك جريدتهم فوجدوا بالعمود الأيسر من صفحة الأخبار ما يلي:

خبر بالغ الأهمية

الرئيس يطلق عليه الرصاص!

مهاجمة السكرتير سيوارد

وتحت هذا العنوان نشرت رسائل واشنطن بالترتيب الذي وصلت به، ولكن

بعد أن وزعت صحف الصباح بوقت متأخر أذاعت الأسوشيتدبريس البرقية التالية:

"مات ابراهام لنكولن في هذا الصباح في الساعة السابعة والدقيقة الثانية والعشرين"

وفي أثناء السنوات التي وقعت بين حروب الولايات وبين مطلع القرن العشرين اتسعت جهود الأسوشيتدبريس وشملت مطلع القرن العشرين اتسعت جهود الأسوشيتدبريس وشملت خدماتها صحفاً كثيرة في الولايات المتحدة ممتدة في ثبات صوب الغرب، في حين كانت تظهر من وقت لآخر وكالات لجمع الأخبار، فتنشب بينها جميعاً منافسات شديدة للحصول على الأخبار وكان من بين هذه الوكالات وكالة اليونيتدبريس القديمة التي تحمل اسم وكالة الأنباء الحالية نفسه ولكنها لا تمت لها بأية صلة عدا ذلك في قليل أو كثير.

وفي تلك الأيام لم يكن أحد يعبأ كثيراً بملكية الأخبار، فكان يحدث أن جريدة أو شركة أنباء تنقل أخبار جريدة أو شركة أنباء أخرى على اعتبار أنها خاصة بها. وقد اشتبه أصحاب الأسوشيتدبريس ذات مرة في أن اليونيتدبريس تفعل ذلك لأن الأخبار التي كانت الأولى واثقة أنها هي التي حصلت عليها، كانت الوكالة الأخرى توزعها على صحفها بكلمات تلفت النظر بتشابهها الشديد معها.

واتفق رؤساء التحرير في الأسوشيتدبريس على رأي واحد قائلين:

– إن هذا التشابه يحدث بكثرة لا تسمح باعتباره مجرد مصادفة، فاليونيتدبريس تسطو على أخبارنا أو تكلف أحداً بنسخها من إشارات مورس الواردة إلينا ثم ترسلها إلى الجرائد التي تتعامل معها مع تغييرات طفيفة.

كانت هذه تهمة جد خطيرة، ولكن كيف يمكن إثباتها، على أنه بعد تفكير ونقاش، اتفق رجال الأسوشيتدبريس على أن ينصبوا فخاً محكماً، فإذا لم تفطن اليونيتدبريس للفخ ظهرت سرقاتها أمام عالم الصحافة كله، وهكذا وصلت إلى مكتب نيويورك برقية من الهند حول تمرد بين رجال القبائل، وقبل إذاعة هذه البرقية بالتلغراف على المشتركين في الأسوشيتدبريس أدخل المحررون في نيويورك جملة إضافية على البرقية جاء فيها: إن زعيم المتمردين اسمه "سيهت الاوتسبيهت Siht El Otspueht" وبعد ذلك بساعات قليلة ظهر الخبر في جرائد الأسوشيتدبريس واغتبط المحررون فيها لأن الخبر نفسه أذاعته صحف اليونيتدبرس بما فيه اسم زعيم التمرد المزعوم. وسرعان ما أعلنت الأسوشيتدبريس في زهو شديد بياناً قالت فيه: "إن هذا يثبت أن أخبارنا تسرق، واليونيتدبريس تعترف بهذه القرصنة، وما على القارئ إلا أن يقرأ اسم الزعيم بالمقلوب"[٢].

وقبل سنة ١٩٠٠ بقليل توقفت وكالة اليونيتدبريس عن العمل، وظهرت وكالات أنباء صغيرة ذات نشاط محدود، ولكن الأسوشيتدبريس أصبحت تسيطر على جمع الأخبار في الولايات المتحدة، وأغضب ذلك بعض أصحاب الصحف الذين أعلنوا أن كل جريدة من حقها الحصول على الأخبار ما دامت قادرة على دفع ثمن مناسب نظيرها، واتهموا الأسوشيتدبريس بأنها تحرم كثيراً من الصحف من العضوية في منظمتها التعاونية.

وهكذا قرر ادوارد و. سكريبس وهو أحد أصحاب الصحف الأقوياء الأحرار أن شيئاً ما يجب أن يصنع لإيجاد منافس قوي للأسوشيتدبريس، وفي سنة ١٩٠٧ أنشئت برياسته وكالة اليونيتدبريس، مع وعد منها ببيع أخبارها لكل

---

(٢) عند قراءة اسم الزعيم بالمقلوب اللغة الإنجليزية تكون ترجمته (اليونيتد بريس سرقت هذا الخبر).

راغب في شرائها، ولم تكن الوكالة الجديدة تملك مالا كثيراً، ولكن القائمين بالأمر فيها كانوا يملكون ذخيرة من الأفكار، فكان المحررون المشتغلون بجمع أخبارها أقل، والوصلات التلغرافية أقل، والدولارات اللازمة لتغطية الأخبار أقل، ولكنهم عرضوا هذا كله بالوسائل البارعة والمزاحمة العنيفة، وسرعان ما أدركت الأسوشيتدبريس أن عليها أن تخوض معركة حامية. وقد استمر الصراع بين الوكالتين للسبق بأفضل الأخبار محتدماً حتي ومنا هذا بلا هوادة ولا وناء.

كارثة في الليل

في الساعات الصامتة من الصباح الباكر، من منتصف الليل حتى السادسة يكون مكتب وكالة الأنباء مكاناً ساكناً، والناس في كل مكان بالمدينة نيام، وجرائد الصباح قد حزمت أعدادها للتوزيع، وليس هناك إلا رجل واحد أو اثنان في مكاتب جرائد المساء للبدء في تنظيم عمل اليوم، ولكن وكالة الأنباء لا تعرف النوم. إن مكاتبها الكبرى تحتفظ بالموظفين طوال الساعات الأربع والعشرين، والقائمون بالنوبة التي تبدأ في نصف الليل يعملون في عالم هادئ هو عالمهم، ولا يربطهم بغيرهم من البشر إلا أسلاك التلغراف التي تصل بينهم وبين المكاتب الأخرى.

فإذا كانت الليالي هادئة راحوا يتثاءبون، أو يحلون ألغاز الكلمات المتقاطعة التي تنشرها جرائد الصباح أو يزدودون الشطائر التي يحضرونها من بيوتهم بما تيسر من أقداح القهوة التي يطلبونها من المقاهي التي تسهر طول الليل، وحتى التليفون الذي لا يكف عن الرنين في النهار يصمت ساعات كاملة، ويود الموظفون لو أنهم كانوا في فراشهم بدلا من وقفة الترقب انتظاراً للأخبار. إن هؤلاء الصحفيين الساهرين كرجال الشرطة وعددا آخر قليلا من العاملين، هم أهل الليل في المدن. أولئك الذين يحفظون الخطوط الرئيسية في الحياة الحديثة مفتوحة. والأخبار المهمة قلما تحدث في ساعات الليل ولكنها حين تحدث تتضمن غالباً كوارث على نطاق شاسع، وتكون من ثم أشق ما يستطيع رجال الأنباء تغطيته.

كان المنظر شبيهاً بهذا في مكتب وكالة الأنباء بسان فرانسيسكو في الصباح

الباكر من اليوم الثامن عشر من أبريل سنة ١٩٠٦. لم يكن بالمكتب سوى رجلين في نوبة العمل؛ فقد كانت ليلة من الليالي الروتينية المألوفة التي لا يقع فيها شيء مهم، وكان المحرر وعامل التلغراف منصرفين إلى عملهما، الأول يختار ما يرى إذاعته على شبكة ولاية كاليفورنيا، والآخر يدق مختارات المحرر بالسفرة، وفيما عدا أزيز مفاتيح مورس الرتيب لم يكن يعكر صفو الكون في المكتب شيء.

طق.. طق.

لقد اهتز البناء فجأة، وأحس الرجلان بالأرض تميد تحت أقدامهما كما يتأرجح الحطام على موج هائج، وتحول المكتب الساكن إلى عاصفة مجنونة من الطلاء المتساقط من السقف والجدران، وسقطت على الأرض ساعة حائط، وتحطم زجاج النوافذ، مرسلا سيلا منهمراً من شظاياه عبر المكاتب.

وصاح المحرر جون فنلاي: "يا له من زلزال. لنسرع بإرسال نشرة إخبارية". واستدار إلى الآلة الكاتبة يدق عليها بضع كلمات سلمها إلى عامل التلغراف بن ماكينيريني:

"نشرة عاجلة. سان فرانسيسكو، ١٨ من أبريل اهتزت سان فرانسيسكو...".

ودق العامل أسلاك تلغراف الولاية ولكن صوتا لم يصدر عنها فوثب إلى مفتاح آلة أخرى تتصل بشبكة الأخبار الرئيسية إلى الشرق عبر الولايات المتحدة، وحاول أن يرسل النشرة بلا جدوى، فصاح قائلا: "لا فائدة، إن الشبكات ميتة".

وكان المكتب خلال ذلك قد امتلأ بسحب من تراب الطلاء المتساقط وانقلب الأثاث رأساً على عقب، وذهب "فنلاي" فعاين ما أصاب المناطق

المجاورة له في المدينة من دمار، ثم عاد يدق على الآلة الكاتبة تفاصيل الخبر، الذي لم يجد بعد سبيلا لإذاعته على العالم، وأحس بخيبة أمل فظيعة، لأنه أمام أهم حادث وقع في سان فرانسيسكو خلال سنوات طويلة، ومع ذلك لا يجد وسيلة لنقله وإذاعته.

وكان رئيس عمال التلغراف في طريقه إلى بيته حين حدث الزلزال في الخامسة والربع صباحاً، فعاد يتعثر إلى مكتبه بين الأنقاض، واقترح أن يحاولوا ركوب زورق إلى أوكلند وإرسال الأخبار من هناك، وذهب مع زميله إلى الزورق على حين بقي المحرر إلى جانب آلته الكاتبة يصور في دقة تفاصيل الكارثة التي أصابت المدينة النائمة، أما في خارج المبنى فكان الهلع والضجيج، والنار تندلع في الخرائب، وتزمجر في أرجاء أكبر مدينة على الشاطئ الغربي.

ووثب عاملا التلغراف إلى أول قارب، وكان من الأفضل لهما ألا يفعلا، إذ كانت الفوضى قد عمت أوكلند أيضا، في حين سقطت االأسلاك وانفصلت المنطقة كلها عن العالم.

وكان الزلزال قد قذف بقية موظفي المكتب من فراشهم، سواء منهم المحررين وعمال التلغراف فالتفوا بملابسهم، وهرولوا إلى المكتب، فها هو ذا نبأ عظيم، وقد عرف الجميع بالغريزة أن مكانهم هو المكتب في مثل تلك اللحظة، وإن لم تكن نوباتهم تحل إلا بعد ساعات، فإن الأزمة حين تأتي يحس رجل وكالة الأنباء أنه مطلوب في مكتبه فيذهب إليه. وقد حدث هذا نفسه بعد ذلك بسنوات كثيرة في أثناء الغارات الجوية على لندن في الحرب العالمية الثانية، فكلما تعرضت العاصمة البريطانية للضرب الليلي الشديد من قاذفات ألمانيا النازية، كان المخبرون يهرعون إلى مكاتبهم في وقت راحتهم أو يتصلون بها تليفونيا ليروا هل ثمة مهمة خاصة يستطيعون القيام بها. إن روح المخبر الصحفي الجدير بمهمته لا

تتغير قط، فالأخبار يجب أن تغطى مهما حدث.

تجمع الموظفون في مكتب الوكالة في تلك الليلة الليلاء بسان فرانسيسكو ولكن أحدا منهم لم يهتد إلى وسيلة يرسل بها الأخبار، وقد حاول عاملا التلغراف في شركتين تجاريتين أن يصلحا خطوطهما فلم يوفقا، وأخيرا اكتشف أحد مندوبي الأسوشيتدبريس أن الخط التلغرافي إلى هونولولو سليم، ودفعه اليأس إلى أن يبرق بخبر الزلزال إلى جزر هاواي موجها إلى نيويورك، على أمل أن ينقله أي شخص في هونولولو بعد ذلك إلى العالم.

ثم أعلن رئيس عمال التلغراف في مكتب البريد أنه يستطيع الاتصال بشيكاغو، وهكذا وصلت أول نشرة من الأسوشيتدبريس عن زلزال سان فرانسيسكو، والنيران التي اشتعلت في المدينة إلى سائر أنحاء البلاد، وقد بدأت كما يلي:

"سان فرانسيسكو في ١٨ من أبريل– اهتزت سان فرنسيسكو بزلزال في الخامسة والدقيقة الخامسة عشرة من صباح اليوم".

وأخيراً وجد رجال الأسوشيتدبريس منفذاً للانتقال بقضهم وقضيضهم إلى مبنى تلغراف البريد، فانتقلوا إليه ولكن الحظ لم يحالفهم طويلا، إذا اقتربت النيران من هذا المكتب المؤقت وأصبح من المتعذر عليهم البقاء في وهج الحريق، ثم انهارت الأسلاك أيضا، وحاول رجال التلغراف إصلاحها ونجحوا فترة قصيرة، ثم ذهبت جهودهم هباء، فانتقل الموظفون إلى مبنى "الاتحاد الغربي"، وكان الوقت قد تجاوز الظهيرة، أي بعد حدوث الزلزال بأكثر من سبع ساعات، وخسائر الكارثة المروعة تتضخم مرة بعد أخرى، وجاء رجال الشرطة، وقرروا أن رجال الوكالة يجب أن ينتقلوا إلى مكان آخر لأن المبنى الذي لجأوا إليه لابد أن ينسف لمحاولة منع امتداد النيران.

وهكذا كان، فانصرف رجال الأسوشيتدبريس في الشوارع يجمعون أخبار الضحايا الذين حاصرتهم الأنقاض، ويزورون المستشفيات بحثا عن عدد المصابين، ويتوقفون أحيانا عن كتابة مذكراتهم ليساعدوا رجال الإنقاذ في جذب بعض المنكوبين من تحت مبنى انقض عليهم. وهكذا ظل رجال الوكالة يعملون طوال الليل والنهار، ثم بدأوا يعودون إلى مكتبهم المؤقت لكي يصوغوا أخبارهم، ثم يتفرقوا في الطرقات وراء المزيد من المعلومات. لقد وصفوا ما حدث بكل دقة وتفصيل، وقد جاء في برقية الأسوشيتدبريس ما يلي:

"بدأت المداخن تسقط، والأبنية تتشقق وتترنح فوق أساساتها، واستولى الفزع على الناس فاندفعوا إلى الشوارع، ومعظمهم بثياب النوم، فينهال عليهم سيل من الحجارة والطوب وجدران المباني التي تصدعت، وما كادت الأرض تتوقف عن اهتزازها حتى شبت النيران في كل مكان، واستجابت إدارة المطافئ لصيحات الاستغاثة في طلب الإسعاف، ولكن تبين أن موارد الحياة أصبحت غير صالحة للاستعمال من جراء الزلزال. وقد ساعد هبوب نسيم خفيف على انتشار اللهب مما أدى إلى انهيار كثير من المباني، وكان لابد من الالتجاء إلى الديناميت فزاد دوي الانفجارات المتوالية من رعب الجماهير واضطرابها".

هكذا بعيون رجال الأسوشيتدبريس عرف العالم أنباء النكبة التي حلت بسكان سان فرانسيسكو، إذ كان ما ينشر هو ما يراه رجال يقفون وسط التاريخ، ويعيشون الكارثة ويعانون أهوالها ليستطيعوا أن يرووا أخبارها، وطوال ذلك اليوم بنهاره وليله كله واصلت الأسوشيتدبريس إرسال برقياتها عن محنة سان فرانسيسكو، كلما وجدت سبيلا لذلك، وفي المساء اضطرت الوكالة إلى أن تخلى مكانها المؤقت إلى مكان مؤقت آخر، وقد وصف أحد رجال الوكالة هذا المنظر في برقية قال فيها: "أكتب لكم هذه الرسالة على عتبة أحد البيوت قرب الحي

الصيني بالمدينة، بينما استمد الضوء من وهج المباني المشتعلة". وخلال الساعات الأربع والعشرين التي تلت الزلزال الذي دمر مكتب الأسوشيتدبريس كان رجالها قد أبرقوا بما يزيد على ٢١.٠٠٠ كلمة عن أخبار الكارثة وهي كلمات تكفي لملء نصف هذا الكتاب، وبهذا تولت الأسلاك الرفيعة التي نقلت النقط والشرطات إلى الصحف في أنحاء البلاد إبلاغ الشعب الأمريكي أنباء كارثة من أفدح الكوارث التي حلت به.

وعندما يصل نبأ إلى مكتب إحدى الصحف أو وكالات الأنباء بوقوع كارثة ما، يسارع رئيس التحرير القائم بالعمل إلى تنظيم مندوبيه، كما يفعل القائد عندما يبعث بجنوده إلى ميدان القتال، ذلك أن هناك جبهات كثيرة لا بد من تغطيتها، فيجب أن يهرع المخبرون والمصورون إلى مكان الكارثة لإرسال وصف الموقع، ومقابلة شهود العيان والناجين من الموت، ويجب أن يذهب آخرون إلى المستشفيات للحصول على قوائم بأسماء الضحايا، وإلى أقسام الشرطة ليجمعوا الأخبار من القائمين بتنسيق عمليات الإنقاذ والتطهير، ويجب أن يبقى بالمكتب واحد أو اثنان من المحررين المراجعين لتلقي المعلومات التي تبلغ للمكتب بالتليفون من المخبرين، ومزجها ببعضها بعضاً لتكوين قصة متناسقة جذابة.

إن وقوع كارثة كبيرة يعني بالنسبة للمخبرين في وكالات الأنباء عملا شاقا متواصلا ساعة بعد ساعة، فهم لا يستطيعون الانتظار حتى يحصلوا على المواد كلها دفعة واحدة كما هي الحال بالنسبة للجرائد ذات الطبعتين أو الثلاث في اليوم الواحد، بل عليهم أن يواصلوا إرسال الأنباء بلا انقطاع، وهم يسمون عملهم هذا "بالخبر الجاري" أو "المتصل" لأنه يستمر ساعات طويلة بل أياما، حتى تنجلي كل الحقائق والأحداث. ورئيس التحرير هو قطب الرحى في وسط هذه الفوضى كلها، فهو يجلس إلى مكتبه يوجه رجاله كأي قائد حربي، والتليفون

لا يتوقف عن الدق، فيلتقط السماعة، ويسمع صوت أحد رجاله على الخط الآخر فيسأله: "ماذا عندك"؟

ويجيبه الرجل بتلخيص الحقائق التي جمعها، لعلها بيانات تشتد الحاجة إليها لتغطية جزء ناقص من الصورة فيدون رئيس التحرير ملاحظة أو اثنتين ثم يقول له: "سأحولك على (إيريني) للصياغة"، ثم يحول خط التليفون، فيأخذ المخبر في إملاء مشاهداته على كاتب يضع على أذنه سماعة يلتقط بها أجزاء الأخبار التي يكتبها على الآلة الكاتبة، ويتطلع رئيس التحرير إلى ما يدقه المحرر المراجع على آلته ثم يعمدان معا إلى مراجعة النسخ الكربونية لما سبق إرساله من برقيات.

فيقول المحرر: "إن رقم الضحايا هنا أكبر بكثير مما لدينا، فيحسن بنا أن نكتب مقدمة أخرى للخبر حرصاً على إبراز بعض ما رواه شهود العيان في المستشفيات".

ونظراً لأن وكالات الأنباء تواصل عملها ساعة بعد ساعة فإنها لا تستطيع أن تعود فتكتب الخبر كله من جديد كلما طرأ على الموقف تطور مهم، ولهذا تعمد بدلاً من ذلك إلى رواية آخر التطورات في صورة "مقدمة جديدة" تكتب بحيث تصلح لوضعها مباشرة فوق التفاصيل التي أرسلت قبل ذلك بالتلغراف الكاتب، ويحدث في بعض الأحيان أن تكتب للخبر الطويل المتصل خمس مقدمات أو ست خلال فترة لا تزيد على ثماني ساعات كل منها تلصق فوق سابقتها.

ويتطلع المحرر المراجع إلى ملاحظاته ثم يبدأ عمله فيدون كلمة "نشرة" في أعلى الصفحة؛ لأن هذه أخبار مهمة يجب أن تعطى أسبقية على خطوط التلغراف، ثم تأتي "المقدمة الرابعة للانفجار" عن انفجار معمل لتكرير البترول ومصرع أو محاصرة كثير من العاملين فيه، واشتداد الحرارة المنبثقة منه إلى حد

إشعال سلسلة من خزانات الزيت واحدة بعد الأخرى. وهكذا طار الخبر الأصلي القصير والمقدمات الإضافية الثلاث على أسلاك البرق، في حين جاءت تفاصيل وحقائق أخرى، لقد وصلت النار فجأة إلى منطقة سكنية، وأصبحت تهدد كثيراً من معالمها، وقد أمر رجال الشرطة السكان بمغادرتها على الفور.

عندئذ يكتب المحرر المراجع فقرة واحدة يضمنها أهم المعلومات الجديدة ثم ينزع الورقة من آلته الكاتبة فيلقي بها على مكتب رئيس التحرير، ويقرؤها هذا، ويدخل عليها بعض التصويب، ثم يصيح قائلا: "نشرة" ويوزع أحد السعاة صورة بالكربون على جميع عمال التلغراف، ويدق الجرس دقاته الخمس منبها آلات البرق الكاتب، ثم تأخذ الأخبار طريقها إلى أرجاء البلاد.

وبعد أن يضيف المحرر المراجع كل المعلومات الجديدة، يكتب في ذيل مقدمته "إليكم الفقرة السابقة... الحريق الخ"، وهذا يعني أن على محرري الصحف أن يستبدلوا بالفقرات الست الأولى من خبر الحريق المقدمة الجديدة ثم يضيفوا الفقرة السابقة، وبعد أن تلصق هذه الفقرة بالفقرات التي قبلها يمكن قراءة القصة في سهولة ويسر، كأنما كتبت كلها دفعة واحدة، فلا يكاد القارئ يرى ما أدخل على الخبر من تعديل وتحوير وراء "الكواليس" لتهيئ له الوكالة والجريدة قصة المأساة كاملة مفصلة محبوكة الأطراف.

وغالباً ما تكون للأخبار المهمة نواح متعددة يمكن تغطيتها إلى حد لا يمكن معه كتابتها كلها دون إسراف في الطول، ولهذا يقسمها رئيس التحرير إلى أخبار إضافية تضاف إلى جانب الخبر الرئيسي.

ويكتب المحرر المراجع في أعلى الورقة "تابع الانفجار"، وبهذا يوضح لمحرري التلغرافات أن هذا الخبر يتبع الخبر الرئيسي؛ فإذا ضمت الجريدة أكثر من خبر عن الموضوع الواحد وأفردت حيزا كبيراً منها إلى جانب الصور والخرائط، سمي

هذا تحقيقاً صحفياً، وإخراج تحقيق صحفي جذاب مثير عن موضوع مهم، يعتبر من أكبر المتع في حياة الصحفي.

ومن أهم التحقيقات الصحفية الضخمة التي لا يزال الصحفيون يذكروها ما حدث منذ نصف قرن تقريبا عن أول كارثة بحرية في قرن كامل من الزمان، وقد تضافرت في هذا التحقيق الصحفي جهود الأسوشيتدبريس وإحدى الجرائد الكبرى التي تملكها، وهي النيويورك تايمز.

كانت ليلة الأحد ٤ إبريل سنة ١٩١٢ من الليالي الهادئة في مكتب الأسوشيتدبريس في بوسطن، والمألوف أن الساعات الأخيرة من يوم الأحد من أقل أوقات الأسبوع ازدحاما بالأخبار، وكان كنيدي العامل على التلغراف في تلك الليلة يقضي جانبا من وقت عشائه في مقصف المكتب الذي وضع به جهاز لاسلكي، وكان الراديو اختراعا جديدا في ذلك الحين، وكان الناس من أمثال كنيدي يجدون لذة كبيرة في العبث به. وكم كانت دهشة كنيدي عظيمة حين سمع نداء استغاثة يذيعه راديو البحرية من مرسى البحرية قرب تشارلستون، ولم يكد يصدق ما سمع، فأسرع إلى حجرة الأخبار وصاح قائلا للمحرر: "إن (التيتانيك) قد اصطدمت بجبل جليد، وهي تطلب النجدة، لقد سمعت الاستغاثة لتوي في الراديو".

وكان الخبر صعب التصديق إذ كانت هذه أعظم سفينة للركاب، وكان طولها يعادل أربع عمارات ضخمة من عمارات المدن الكبرى، وارتفاعها كارتفاع أحد عشر طابقاً، وكانت هذه السفينة البريطانية الفاخرة تقوم برحلتها العذراء عبر الأطلسي من إنجلترا إلى نيويورك، وعلى ظهرها كثيرون من ذوي المكانة والجاه في هذه الرحلة الرائعة على السفينة الفاخرة. وسأله رئيس تحرير الوكالة الساهر في تلك الليلة: "أواثق أنت مما تقول...؟ لقد زعموا أن السفينة "تيتانيك" لا يمكن

أن تغرق".

وكان عامل التلغراف متأكداً، لأنه سمع محطة تشارلستون تعيد إرسال الاستغاثة نقلا عن محطة الإذاعة في كيب ريس بنيو فندلاند، وهي محطة الاستماع الخاصة بالرسائل المذاعة من السفن، وفي تلك الأيام كانت أجهزة الراديو ضعيفة نسبياً، وكان لا بد من إرسال متتابع كثير.

كانت رسالة محزنة هذه التي التقطها العامل بمحض المصادفة. هناك، في سواد الليل الجاثم على شمال الأطلسي كان عامل الراديو بالباخرة "تيتانيك" يذيع بأمر قبطان السفينة نداء الاستغاثة[٣]، وقد أذاع النداء ست مرات، ثم كرره بمختلف الصور في الدقائق العصيبة التي تلت.

كان يقول: "أسرعوا إلينا فوراً، لقد اصطدمنا بجبل جليد، إننا نغرق".

ولم يكن غريباً أن يتردد محررو الأسوشيتدبريس لحظة قبل أن يذيع نداء الاستغاثة على الصحف، مخافة أن يكون الخبر زائفاً أو محرفا، فقد كتب الكثير عن غرق السفينة التي لا ينفذ إليها الماء، وكيف أن هذا يجعل السفينة غير قابلة للغرق وكان معظم ركاب السفينة من ملاحين ومسافرين يعتقدون الاعتقاد نفسه، والواقع أنه في اللحظة التي كان المذيع يعلن فيها نداء الاستغاثة كان الركاب الذين بلغ عددهم ٢.٢٠٠ نسمة يعتقدون أن احتكاك السفينة بجبل الثلج ليس إلا حدثاً بسيطاً، لا يمكن على أسوأ الفروض أن يكون له أثر يتجاوز تعطيلهم ساعات عن الوصول إلى الميناء، ورغم ذلك مات منهم ١٥٠٠ قبل أن ينقضي الليل.

---

(٣) كان نداء الاستغاثة يومئذ مكونا من الأحرف الثلاثة .C. Q. D، وقد حل محله فيما بعد النداء الحالي .S. O. S.

ولما اقتنع رئيس التحرير بأن الخبر صحيح بعث على أسلاك الأسوشيتدبريس بنشرة إخبارية بدأت بها قصة من أعظم القصص المثيرة على مدى سنوات كثيرة، وكان نص النشرة كما يلي:

"كيب ريس، ن. ف ليلة الأحد ١٤ من أبريل (أ. ب) في الساعة ١٠.٣٥ مساء اليوم بعثت الباخرة "تيتانيك" التابعة لشركة ملاحة النجم الأبيض استغاثة إلى محطة ماركوني هنا. وجاء في الاستغاثة أنها اصطدمت بجبل ثلج، وقالت الباخرة إنها تطلب المعونة فوراً".

وبلغ الخبر دور صحف الصباح في نيويورك وقت مثولها لإخراج الطبعات الأولى ليوم الاثنين، ولم يكن يحمل سوى سطور قليلة من المعلومات، نرى ما هو مبلغها من الخطورة؟

لقد دار هذا السؤال في رأس كل رؤساء التحرير، خشية أن يكتبوا عناوين رئيسية مثيرة ثم يظهر فيما بعد أن الأمر كان خطأ، وكان واضحا في أذهانهم ما قيل من أن الباخرة "تيتانيك" لا تغرق فقد سبق أن نشروا هم ذلك في صحفهم.

إن هذه اللحظات هي التي تنضج رؤساء التحرير، فحين يصل خبر كهذا لا يستطيعون الانتظار لمزيد من المعلومات، بل يجب أن يتخذوا قراراتهم على الفور ثم يتحملوا مسئولية قرارهم. على أن معظم رؤساء التحرير بنيويورك في تلك الليلة كانوا جد حذرين، فنشروا رواية الأسوشيتدبريس تحت عناوين متحفظة ثم أضافوا معلومات أعدت في كل جريدة على حدة عن متانة الباخرة "تيتانيك" وقوتها وعن وسائل النجاة التي زودت بها وعن أبوابها التي لا ينفذ منها الماء، بل لقد تطوعت إحدى الجرائد فقالت: إن كل الذين على ظهر السفينة نجوا من الغرق.

أما في مكتب جريدة النيويورك تايمز فقد اتخذت كارفان آندا (رئيس

التحرير) قراراً آخر، فدراسته العميقة للنداءات المضطربة المذاعة من السفينة ثم انقطاعها فجأة، بالإضافة إلى غريزته الصحفية جعلته يقرر أن يفيد من الفرصة السانحة، ففي صباح الاثنين قرأ سكان نيويورك وهم يجلسون إلى مائدة الفطور العناوين الآتية في جريدة التايمز بحروف سوداء كبيرة:

الباخرة الجديدة تيتانيك تصطدم بجبل من الجليد: غرقها بمقدمتها عند منتصف الليل

ومضى يوم الاثنين بأكمله دون تأكيد رسمي من الشركة صاحبة الشأن بأن باخرتها التي نقل ٢٢٠٧ ركاب قد غرقت، بل الواقع أن المحررين الصحفيين الذين أحاطوا بمكتب الشركة طوال اليوم قد ألقى في روعهم عكس ما نشر تماما، ولكن في مساء الاثنين أمام إلحاح الصحفيين وأسئلتهم المتلاحقة اعترف موظفو شركة البواخر بالحقيقة، وهي أن أكبر باخرة عرفها العالم قد غاصت إلى أعماق المحيط، وأن الذين نجوا نقلوا إلى نيويورك على ظهر باخرة للإنقاذ "كاربائيا".

لقد شعر المحررون يومئذ بخيبة أمل شديدة، فها هو ذا أهم حدث يقع منذ سنوات طويلة، ولكن جميع الذين يمكن أن يرووا قصة هذا الحدث يعبرون الأطلسي على ظهر الباخرة "كاربائيا" ولن تبلغ هذه الباخرة مياه نيويورك قبل ليل الخميس، أي أنه لا بد من الانتظار ثلاثة أيام، إن قبطان السفينة "كاربائيا" يرفض أن يجيب عن أية استفسارات وجهت إليه بالراديو، وعبثا راحت وكالات الأنباء وإدارات الصحف تبعث الرسالة تلو الرسالة الأخرى إلى سفينة الإنقاذ.

وأخيرا أذاعت الأسوشيتدبريس رسالة إلى مشتركيها تقول فيها:

"لسنا على يقين من أننا سنتلقى أي رد من السفينة "كاربائيا" التي تصر على رفض الإجابة بكل عناد وحتى الرجاء الذي وجهه الرئيس تافت إلى السفينة

"كاربائيا" لموافاته بالمعلومات قوبل بالتجاهل التام".

لو أن الكارثة حدثت بعد ذلك بسنوات لكان في مقدور الصحف أن تستأجر طائرات خاصة تدور حول سفينة الإنقاذ وتحصل على صور لها وهي تشق طريقها نحو الشاطئ الأمريكي، وقد احتشد على ظهرها الناجون من السفينة الغارقة، ولكن الطائرات في سنة ١٩١٢ كانت في حالة بدائية لا تستطيع القيام بهذا العمل.

وبعد ظهر الخميس، أي بعد أربعة أيام تقريبا من غرق السفينة كان محررو الصحف والجمهور أيضاً يعيشون في دوامة من الاضطراب والقلق، وكان الغموض على أشده حول أسماء الذين نجوا والذين غرقوا مع الباخرة، فلم يكن قد عرف أكثر من الخطوط العامة لما وقع، وكان مقررا أن تصل السفينة كاربائيا إلى ميناء نيويورك في الساعة التاسعة والنصف من ذلك المساء، أي قبل أن تمثل صحف الصباح للطبع بثلاث ساعات لا تزيد.

وقد عمدت وكالات الأنباء، وكل صحيفة في نيويورك، إلى وضع خطط محكمة لمتابعة وصول سفينة الإنقاذ، وكان أدقها وأكثرها نجاحا في هذا المجال جريدة (التايمز). وقصة الطريقة التي استطاعت بها هذه الصحيفة العملاقة أن تروي أنباء وصول الناجين من (التيتانيك) تعد من القصص الخالدة في تاريخ الصحافة.

استأجرت التايمز طابقا كاملا في فندق قريب من المرسى الذي كان مقررا أن ترابط فيه السفينة كاربائيا، ومن هذا المكان الذي استخدم مكتباً مؤقتاً للجريدة ركبت أربع توصيلات تليفونية تتصل مباشرة بمكاتب المحررين المراجعين في دار الجريدة، وكلف ستة عشر محررا بتغطية الأخبار من الحوض حيث كانت التعليمات الصادرة إليهم تقضي بأن يجروا أحاديث مع أكبر عدد ممكن من

الناجين، وكلما حصل أحدهم على خبر هرول إلى الفندق يمليه تليفونيا على المحرر للمراجع، وحجزت تليفونات إضافية في مبنى آخر قريب وأعدت سيارات يقودها سائقون لنقل الرسائل والصور إلى المكتب الرئيسي، كما كلفت عدداً آخر من المحررين بتغطية أخبار الفنادق التي يحتمل أن ينقل إليها الأحياء الناجون، إذا تعذر الاتصال بهم في الميناء.

وبينما كانت الباخرة تخترق مياه نهر هدسون متجاوزة طرف مانهاتان في غسق الليل، تدافع أكثر من عشرة آلاف شخص إلى الميناء لمشاهدة السفينة، وتزاحم حولها ثلاثون ألفا يحاولون أن يعثروا على أقاربهم من الأحياء أو يلقوا مجرد نظرة على الناجين من كارثة الغرق، وكان على المحررين المكلفين بمتابعة الأخبار أن يشقوا طريقهم بين الجماهير الغفيرة للتمييز بين الناجين وبين الفضوليين من الناس.

وكان من المعتاد حين تصل سفينة ركاب إلى المحجر الصحي في ميناء نيويورك أن يسمح للصحفيين بالصعود إلى ظهرها ومقابلة الركاب في أثناء تهادي السفينة إلى مرساها، ولكن رجال الصحف لم يكن لهم هذا الحظ في تلك الليلة، لأن قبطان السفينة لم يسمح لهم بذلك، فظل الصحفيون في زوارقهم يحيطون بالسفينة، ويصيحون بالأسئلة من مكبرات الصوت على الركاب وهم يطلون من السفينة، ويحاولون أن يحصلوا على أخبارهم بهذه الوسيلة.

وكان المنظر عند المرسى فوضى شاملة، اختلط فيها الأحياء من ركاب السفينة الغارقة بأقربائهم الذين يستقبلونهم باكين، وموظفي الجمارك، ورجال الشرطة، والزائرين، وموظفي البواخر ومحرري الصحف ومصوريها، كانوا جميعا حشدا ضخما واحدا. ولكن كل مخبر كان يعرف مهمته بالضبط، واستمتعت (التايمز) بأهم (قفزاتها الصحفية) حين استطاع أحد مخبريها عن طريق خطأ في

شخصيته أن يرافق جوليلمو ماركوني، مخترع اللاسلكي مخترقا صفوف الشرطة إلى ظهر السفينة كاربائيا، وهناك في غرفة اللاسلكي، سمع قصة شاهد عيان على لسان عامل اللاسلكي الذي نجا من الغرق مع التيتانيك، أما العامل الآخر الذي أذاع نداء الاستغاثة فقد غاص في اليم مع السفينة الهالكة.

وفي مكتب جريدة التايمز بالمدينة صيغ هذا الطوفان من المعلومات في شكل قصص إخبارية، وكانت السرعة عاملا أساسيا، وقبل أن تمضي ثلاث ساعات على لحظة رسو الباخرة كاربائيا في الميناء، كان لا بد أن تجمع كل المعلومات وترسل بالتليفون، وتكتب صياغتها ثم تصف حروفها، وفي هذا أثمر التخطيط الدقيق ثمرته، وأمكن إنجاز كل ذلك في الساعة الثانية عشرة والنصف – وهو آخر موعد للطبع– وامتلأت خمس عشرة صفحة من عدد الجمعة صباحا بقصة غرق التيتانيك كما رواها الذين عاشوا المأساة.

ونظر رئيس التحرير "فان أندا" إلى نسخة من الجريدة لم يجف مدادها بعد، ثم ابتسم في رضا وارتياح، فهكذا يكون التحقيق الصحفي عن كارثة بهذه الضخامة. لقد كان التاريخ يصنع في تلك الليلة، وكان مخبرو الصحف هم الذين سجلوا ما صنعه التاريخ ليعرف بأمره العالم أجمع.

سير العمل في وكالات الأنباء

إن من يزور المقر العالمي لإحدى وكالات الأنباء بنيويورك يرى قاعة ضخمة تئز بالحركة، وتطن بالنقر المكتوم الصادر من عشرات من آلات "التليتيب" أو "البرق الكاتب"، وهي تلفظ لفات أوراقها الطويلة. إن عشرات من الناس يشمرون عن سواعدهم ويجلسون إلى مكاتبهم، على حين يحصر الكاتبون على الآلة الكاتبة همهم كله في عملهم. ها هم أولاء صحفيون يؤدون عملهم على نحو لا يتفق قط مع الصورة التي ترسمها لهم أفلام السينما. إنهم لا يضعون فوق رؤوسهم قبعات ألصقت بحافتها بطاقات صحفية. ولا يضعون سيقانهم على حافة مكاتبهم، ولا يتحدثون بلغة السخرية أو المزاج الثقيل. إن عملهم من النوع الدقيق المحكم المنظم، فهم أشد انشغالا بعملهم وشعورا بمسئولياتهم من أن ينصرفوا إلى مثل هذا النوع من السخف والعبث.

اسمها وكالة أنباء الأسوشيتدبريس أو اليونيتدبريس، فكل وكالات الأنباء سواء لأن مكاتبها متشابهة، إنها المركز العصبي الذي تتجمع فيه الأخبار، ثم توزع على الصحف ومحطات الإذاعة والتليفزيون في العالم كله. من هذه الحجرة تخرج البرقيات السلكية إلى كل ركن في الولايات المتحدة والرسائل اللاسلكية التي تحمل أنباء الولايات المتحدة إلى البلاد الأجنبية، وفي هذه الحجرة توجد الآلات التي تسجل عليها الرسائل السلكية واللاسلكية من مكاتب وكالة الأنباء في مختلف أنحاء العالم، وفي أحد أركانها رجال يترجمون آخر الأخبار إلى الإسبانية لتبليغها إلى أمريكا اللاتينية.

وكلمة المركز الرئيسي بنيويورك قانون تحترمه مكاتب وكالات الأنباء، إنه

أعلى مكان تصدر منه الأوامر؛ فإذا أرسل رئيس التحرير في مكتب نيويورك رسالة بالراديو إلى طوكيو يطلب خبراً ما، فإنه لا تمضي دقائق حتى يكون أعضاء مكتب اليابان القصي عاكفين على أداء المهمة المطلوبة. وتخرج رسالة أخرى إلى مكتب الوكالة في تكساس، فلا تلبث أن تضاف "زاوية" جديدة إلى خبر لم تمض سوى لحظات على إملائه تليفونياً، وكلما حصل مدير أحد المكاتب الصغرى على خبر مهم في منطقة اختصاصه أرسله وهو يدعو في صمت: "اللهم اجعل نيويورك ترضى عن هذا الخبر".

إن أية رسالة مقتضبة من نيويورك تقول: "ماذا عن الخبر الذي طلبناه؟" أو: "الطرف المنافس يذيع كيت وكيت، فأين أخبارنا؟" تثير في نفس المرسل إليه مشاعر القلق، كما أن كلمات الثناء التي يحملها البرق من نيويورك إطراءً لجهد موفق تبعث في نفسه شعوراً حاراً بالفخر والاعتزاز.

وفي المكتب الرئيسي منضدة من الخشب سوداء طولها ثلاثون قدماً، على أحد جوانبها صف من أجهزة "التليبرنتر" ذات المفاتيح يجلس إلى كل منها عامل يثقب الشريط الذي يرسل الأخبار نابضة بالحياة في الوصلات التلغرافية، وعلى المنضدة أيضاً إلى جانب كل عامل قصاصات من الورق الخفيف، كل قصاصة منها تحوي خبراً أو بعض خبر وبكل دقة وإحكام يلتقط العامل القصاصة العليا ويثبتها على "التليبرنتر"، ثم تطير أصابعه على مفاتيح الآلة تثقب حروف الكلمات على الشريط، وما إن ينتهي من قصاصة حتى ينحيها ويتناول ما بعدها.

وتستمر هذه العملية ساعة بعد ساعة، وعندما تنتهي دورة "وردية" أحد العمال يخلفه في العمل آخر طبقاً لنظام دقيق، والواقع أن كل شيء في الحجرة يجري بنظام دقيق، فهذه الآلة ترسل إلى الساحل الغربي، والآلة التي بعدها ترسل إلى الجنوب، والتي تليها إلى صحف نيويورك، وفي ساعات قليلة يقرأ ملايين الناس

في مختلف صحف العالم الأخبار التي تنقل على هذه الآلات.

وعبر المنضدة الطويلة يجلس في مقاعد المحررين صحفي شاب يرتب قصاصات الأخبار ثم يضمها تباعاً إلى مجموعات القصاصات إلى جانب كل عامل من العمال، وقد يضع القصاصات الجديدة أحيانا فوق كومة القصاصات إذا كانت أخبارها عاجلة، وأحياناً يضعها أسفلها إذا كانت أقل أهمية عن غيرها، وهكذا يستمر في مراجعة الأنباء وترتيبها في كل كومة، لأن قيمة الأخبار تتغير على الدوام.

وعند الطرف الآخر من المنضدة الطويلة تتجمع مكاتب كثيرة، وهنا يوجد قطب الرحى في عملية جمع الأخبار في كل الولايات المتحدة، وهو مكتب أخبار نيويورك؛ إذ يقوم العمال الذين يشغلون هذه المكاتب بالسيطرة على هذا الفيض المعقد من الأخبار التي تحملها أسلاك وكالة الأنباء، وعن طريق هذا المكتب تبلغ جميع الأنباء المهمة التي تقع في الولايات المتحدة بالإضافة إلى الأنباء المرسلة من خارجها، وهذه الأخيرة يعدها ويحررها قسم الشئون الخارجية بالوكالة، ثم يرسلها إلى القسم الرئيسي لتختلط بالأنباء المحلية.

إن هؤلاء الذين يعملون بمكتب نيويورك هم شرطة المرور في وكالة الأنباء، فما لم يطلق أحدهم صفارته، ويحدد الوقت الذي ترسل فيه المكاتب المنتشرة في أرجاء البلاد أخبارها، فقد يحاول كل منها إرسال أخباره في وقت واحد مع المكاتب الباقية، وتكون النتيجة فوضى شاملة، ولهذا يسيطر مكتب نيويورك سيطرة تامة على جميع التوصيلات الرئيسية.

وحين تفتح إحدى الوصلات تسجل كل المكاتب الواقعة عليها ما لديها من أخبار، وما ينتظر أن تتلقاه في الساعات التالية، وهذا ما يسمى "بالجدولة" ويمزج رئيس التحرير المسئول في نيويورك هذه الأخبار بالأخبار التي يعلم أنها ستصدر

من نيويورك أو التي ينتظر وصولها من الخارج، ثم يرسل لكل الجرائد الواقعة على التوصيلة جدولا خاصا لرئاسة التحرير، وهذا هو برنامج أخبار اليوم، إلا أنه يختلف عن برنامج الإذاعة أو التليفزيون في أنه قلما يبقى بلا تفسير.

إن أخبارا جديدة أو غير متوقعة تحدث خلال النهار، وهي أخبار تعادل في أهميتها ما أعد مقدما على أقل تقدير، كأن يحدث تمرد في سجن متشيجان أو تهب عاصفة شديدة على مدينة في أوكلاهوما أو تتحطم طائرة وهي تهبط في فلوريدا. إنها أخبار عاجلة يجب تبليغها على الفور. ولهذا نجد المكتب الذي يغطي قصتها يقتحم التوصيلة في نهاية أحد الأخبار ليدق الأجراس الخمسة، ثم يرسل النشرة.

وقد تقع في بعض الأحيان أحداث ذات أهمية بالغة لا يمكن أن تنتظر حتى إلى نهاية خبر ما. فتكون هذه أكثر اللحظات إثارة في أسلاك وكالة الأنباء. إن العامل الذي يرسل أحد الأخبار (الروتينية) يدرك على حين فجأة أنه في مكان ما على الخط اقتحم التوصيلة عامل إحدى المدن الأخرى، وهو إجراء لا يسمح به إلا في أحرج الظروف القاهرة، وتمر لحظة أو لحظتان، ثم تظهر كلمة "فلاش" على ورقة "التليبرنتر" يصحبها رنين عنيف من الجرس، وسرعان ما يتجمع المشتغلون في مكاتب وكالات الأنباء والصحف في كل مكان حول أجهزة "التليبرنتر" إذ يدركون أن أخبارا بالغة الأهمية وغير متوقعة في الطريق إليهم، ماذا عسى أن تكون؟

كانت وفاة فرانكلين د. روزفلت من تلك اللحظات المثيرة، إذ اقتحمت مكاتب وكالات الأنباء في جميع التوصيلات الرئيسية بهذه الكلمات: **عاجل- توفي الرئيس روزفلت**

كانت هذه الكلمات إرهاصا لكل محرر مسئول عن البرقيات بأن خبرا

ضخما في الطريق، وأنه لا بد من إخلاء الخط لتلقيه بسرعة، وإشارة "الفلاش" أي "النبأ العاجل" تستوجب السرعة بحيث لا ينتظر الخبر حتى يكتبه المحرر، بل يمليه مباشرة على عامل التلغراف، وعندما ينطق رئيس التحرير بكلمة "فلاش" بصوت عال يسمعه جميع عمال التلغراف على كل التوصيلات بالغرفة في وقت واحد فيتوقف كل شيء في المكتب عدا ذلك، ومع ذلك فإن إشارات "الفلاش" نادرة، ومعظم ما يشغل وقت المحرر المسئول هو الأعمال الروتينية، كالتأكد من أن كل مكتب يرسل أخباره بالنظام الصحيح، أو أن كل مكتب يرسلها إلى مكتب آخر على الأسلاك بأقل كلمات ممكنة حتى لا تشغل الخطوط أكثر من الوقت اللازم، وبحكم الرقابة على مجموعة التوصيلات التلغرافية، وجداول إرسال المكاتب الأخرى الموضوعة على مكتبه، يستطيع رئيس التحرير المسئول في مكتب نيويورك أن يبعث برسالة تقول إن على مكتب شيكاغو مثلا أن يقوم بإرسال أخباره رقم "١، ٢"، ثم يتصل بمكتب كانساس ليرسل أخباره رقم "١"، ثم تعود واشنطن فترسل مجموعة أخبارها رقم "٨، ٩، ١٠"، أما باقي الرسائل المعدة للإرسال فتوقف أو "تستبعد" لأن رئيس تحرير مكتب نيويورك يعرف مدى الوقت الذي يشغل التوصيلة والمادة الأخرى التي ينتظر وصولها، ولهذا يدرك أنه لن يستطيع أن يطلب كل ما بقى لدى المكاتب من أخبار، فيطلب حذفها.

فإذا تدخل مكتب على الأسلاك بنشرة مهمة، فالمتوقع استقبال هذه النشرة على دفعات قصيرة، وبأسرع ما يمكن، وحتى يعرف محررو البرقيات أن للأخبار بقية، يكتب في أسفل كل دفعة كلمة "يتبع"، فإذا استغرق إرسال الأخبار الجديدة وقتا طويلا وظلت مع ذلك مفتوحة؛ أرسلت إشارة من مكتب نيويورك بإخلاء الخطوط فوراً.

والذي تتاح له فرصة زيارة مكتب إحدى الصحف أو محطات إذاعة ليرى

حجرة الأخبار بها، ويرقب وسائل إحدى وكالات الأنباء، يجب أن يهتم بقراءة التوقيعات والرموز الواردة على البرقيات، فهي في ذاتها ممتعة، وإن كانت لا تنشر في الجرائد ولا تذاع على الهواء.

انظر إلى هذا الخبر مثلا

ش ك ٢٣

شيكاغو في ٩ من أبريل – ى ب ا – أدت زوبعة مفاجئة اليوم إلى تأجيل مباراة الافتتاح في موسم مباريات الكرة بين أشبال شيكاغو ومحترفي لوس أنجليس– هـ ت ٢٠٥ م.

فالذين يعرفون رموز وكالة الأنباء، يجدون في هذا الخبر أشياء أكثر من مجرد الإخبار بتأجيل مباراة الكرة، فعبارة (ش ك ٢٣) معناها أن الخبر مرسل من شيكاغو، وأن رقمه هو ٢٣ في جدول إرسال المدينة على هذه التوصيلة في هذا اليوم. وعبارة (هـ ت ٢٠٥ م) في آخر الخبر معناها أن العامل الذي أرسل الخبر هو (هـ ت) وأنه انتهى من إرساله في (الثانية وخمس دقائق مساء). وأما النقطتان التاليتان فمعناهما أن مكتب واشنطن ليست له أنباء أخرى ينتظر إذاعتها على هذه الوصلة.

وغالباً ما نراقب وكالات الأنباء بعضها بعضا، فإذا حدث أن انشغلت إحداها بخبر مهم عملت الأخرى على أن تعرف الخبر، وتشير اليونيتدبريس أحياناً إلى أخبار الأسوشيتدبريس بكلمة (روكس) نسبة إلى المدير العام لوكالة الأسوشيتدبريس منذ سنوات عديدة، وكان اسمه ملفيل ستون، و(روكس Rocks) أيضا بالإنجليزية (ستون Stone) أي صخر، فإذا أذاعت الأسوشيتدبريس مثلا خبرا عن سقوط طائرة في ولايو أنديانا، يرسل مكتب اليونيتدبريس بنيويورك إلى

مكتب إنديانا بوليس برقية عاجلة تقول: "روكس طائرة سقطت بالقرب من رتشموند، وافونا بالأسرع. ن اكس"

ويشير رجال الأسوشيتدبريس عادة إلى وكالة اليونيتدبريس باسم "اليونيبريس".

ولما كان رجال وكالات الأنباء لا يحبون التقيد بالرسميات، بل يبحثون دائماً عن أقصر طرق التعبير، فقد اعتادوا أن يسموا الأشياء بأسماء غريبة، ومن بين هذه الأشياء توصيلات الراديو التي ترسل عليها أخبار ما وراء البحار إلى نيويورك أو منها.

وتطلق اليونيتدبريس على وصلاتها أسماء بوفيري، وفليت، وبرومليه، وسيدرا، والأولان اسما الشارعين اللذين تقع فيهما مكاتبها في لندن، وقد ظلت وصلتها بين اليابان وسان فرانسيسكو وقتا طويلا تسمى "جاكاست" ولكنهم غيروا هذا الاسم فيما بعد إلى "شوشو سان" وحين بدأت وصلة (لندن– نيويورك) من سنوات كان الإرسال ضعيفا لدرجة لم يكن يعرف معها العاملون في مكتب لندن إن كانت الأخبار التي يرسلونها يمكن استقبالها في نيويورك أم لا، حتى لقد قال أحد المندوبين الساخطين ذات مرة: "إننا نرسل أخبارنا عبر الأطلنطي من أجل طيور البحر ليس إلا"، وكان ذلك حين أبرقت نيويورك تقول "إن الاستقبال ضعيف جداً"، ولذلك سميت هذه الوصلة بين لندن ونيويورك بوصلة "طير البحر".

أما الآن فإن هذه الوصلة بين لندن ونيويورك تعمل أربعا وعشرين ساعة في اليوم، لأن لندن من أشد المراكز ازدحاما بالأخبار خارج الولايات المتحدة، فمن مكتب اليونيتدبريس بلندن مثلا، ترسل أكثر من ٢٥٠ كلمة في الدقيقة يبعث بها مندوبون منتشرون في ٦٠% من سطح الأرض على الأقل وخطوط

"التليبرنتر" المستأجرة تمتد من مكتب لندن إلى كل ناحية في أوروبا، وتستقبل الأخبار من أربع وعشرين دولة، ويرسل المندوبون من أي مكان بين سوفا في جزائر فيجي وبين غيانا البريطانية في أمريكا الوسطى أخبارهم عبر لندن.

والمخبر الأمريكي حين يهبط لندن لأول مرة بعد تدريبه في مكتب الأخبار الخارجية بالمركز الرئيسي للوكالة في نيويورك يجب أن يتعلم أشياء كثيرة؛ فعليه أولا أن يبحث في صحف لندن عن الأخبار التي تهم القراء الأمريكيين، وعليه أن يعيد صياغة الأخبار الصادرة عن الوكالات البريطانية المحلية، وهو يرسل الأخبار الواردة من أوروبا إلى نيويورك، وبعض الأخبار التي يكلفه مدير مكتب لندن بجمعها لا ينشر في الولايات المتحدة، ولكنه ينشر في أمريكا اللاتينية على نطاق واسع، فوكالة الأنباء الواسعة الانتشار يجب أن تخدم دولا كثيرة، وما قد يكون أخبارا مهمة لدولة بذاتها قد لا يكون ذا أهمية لدولة أخرى.

ويحدث أن يتساءل المندوب الأمريكي الجديد، وفي ذهنه تلك المؤتمرات الصحفية التي يعقدها الرئيس الأمريكي في واشنطون "متى ينوي رئيس الوزراء أن يعقد مؤتمرا صحفيا؟ إنني أود أن أحضر مؤتمرا من هذا القبيل". ولكن هذه الرغبة قد لا تتحقق له قط، لأن رؤساء الوزارات في بريطانيا لا يعقدون مؤتمرات صحفية، فالنظم البرلمانية لا تسمح لهم بذلك؛ إذ تحتم على وزراء بريطانيا أن يدلوا بتصريحاتهم السياسية في مجلس العموم أولا.

وقد يتساءل هذا المندوب الجديد في دهشة عن الوسيلة التي تنشر بها كل هذه الأخبار عن أعمال الحكومة وآرائها إذا كان الوزراء لا يعقدون مؤتمرات صحفية؟

والواقع أن في لندن طريقتين كما يعرف كل مراسل أمريكي، إحداهما: توجيه الأسئلة في مجلس العموم؛ فالعادة أن الجلسة اليومية تبدأ بفترة أسئلة تطلب

الإجابة عنها، فيقدم أحد أعضاء البرلمان استفسارا يوجه إلى الوزير عن موقف جدير بالإيضاح، ويطلب رأي الحكومة أو خطتها في هذا الصدد، وكثيراً ما يقترح الصحفيون الباحثون عن الأخبار أسئلة على أعضاء البرلمان ليقوموا بتوجيهها إلى الحكومة.

والطريقة الأخرى للحصول على المعلومات طريقة سهلة، وكثيراً ما يستعملها المراسلون الأجانب في كل مكان وهي "المصدر العليم"، وتسير الأمور طبقاً لهذه الطريقة على الصورة التالية: إذا كانت هناك تطورات دبلوماسية مهمة في العالم، ترى الحكومة البريطانية أن تبين وجهات نظرها فيها على الفور دون الانتظار حتى ينعقد مجلس العموم، يجتمع أحد مساعدي وزير الخارجية بالصحفيين ليشرح لهم موقف الحكومة، وهو يدلي إليهم بهذه المعلومات بشرط ألا يذكروا اسمه، فيعود المراسل إلى مكتبه ويكتب الخبر لإرساله إلى أمريكا، ذاكرا فيه أنه استقى الخبر من "مصدر عليم"، وبهذه الطريقة تذيع الحكومة معلوماتها دون أن تخالف التقاليد البرلمانية.

وتتلقى نيويورك يوميا ١٠٠.٠٠٠ كلمة من كل بلاد العالم، ومن هذه المادة الضخمة يجب على محرر القسم الخارجي ومساعديه أن يختاروا الأخبار التي يرون أنها تهم القارئ الأمريكي أكثر من سواها.

وفي ركن بعيد من حجرة الأخبار توجد دولة للأخبار تختلف تماما عن غيرها وهي قسم الرياضة، وفيه يجمع المندوبون والمعلقون نتائج مسابقات الكرة بأنواعها، ويكتبون أخبارها وأحاديثهم مع أبطال الرياضة، فبعد ظهر يوم السبت في فصل الخريف يرسل عشرات المندوبين من الأكشاك الصحفية الموجودة في الملاعب وصف المباريات الكبرى في كرة القدم ليذيعها المحررون بالتلغراف إلى أقسام الرياضة بجرائد صباح الأحد.

منذ نصف قرن لم تكن اليونيتدبريس – بحكم حداثتها – تملك المال الكافي لاستئجار خط تلغرافي من شيكاغو إلى الساحل الغربي عبر ٢٠٠٠ ميل من الأرض النادرة السكان، وكانت لها صحف تشترك في أنبائها في كاليفورنيا، فكان عليها ان توافيها بالأخبار من الجزء الشرقي من البلاد، وكذلك من أوروبا.

ورغبة منها في ألا تعرف تلك الصحف أن الوكالة فقيرة، وضع رؤساء تحريرها خطة ماهرة، إذ كانوا يرسلون البرقيات العادية الرخيصة نسبيا من مكتب شيكاغو إلى مكتب سان فرانسيسكو عدة مرات يوميا من طريق شركة "وسترن يونيون" التلغرافية، ويضمنون كل برقية بعض المواد الإخبارية المهمة الواردة من نيويورك أو واشنطن أو أوروبا.

ويقوم المحرر الذي يتلقى البرقيات في سان فرانسيسكو بإعادة كتابة المواد الموجزة التي يتلقاها ويحيلها أخبارا وافية ترسل على التوصيلات التلغرافية التي تستأجرها اليونيتدبريس على الساحل الغربي، فكان رؤساء تحرير تلك الصحف يعتقدون أن الرسائل تأتي كاملة من شرق القارة كما تفعل ذلك شركة الأسوشيتدبريس الوطيدة البنيان.

وكان القيام بهذه العملية التحريرية أمرا شاقا على محرر "اليونيتدبريس" إذ كان عليه أن يضيف كثيرا من معلوماته الخاصة وكان يضطر أحيانا إلى أن يمط برقية من خمس وعشرين كلمة أو أقل إلى ما يقرب من خمسمائة كلمة، فكيف كان يتأتى له أن يكتب هذا الكثير من ذلك القليل؟ كان يفعل ذلك بنجاح لأن مكاتب اليونيتدبريس في واشنطن وغيرها كانت ترسل إليه سلفاً بالبريد فيضاً من المعلومات التفصيلية، ومنها كان ينسج بمهارة ما يدخله في الأخبار إلى جانب ما يجمعه من قراءاته الخاصة مضافا إليه ما تنشره وكالة الأسوشيتدبريس في الصحف المنافسة.

كان أكبر عمل قام به في تلك الفترة العصيبة رجال وكالة الأنباء الوليدة، اليونيتدبريس، ما فعلوه في مؤتمر اختيار مرشح رياسة الجمهورية عن الحزب الجمهوري في سنة ١٩٠٨ بمدينة شيكاغو. إذ أرسلت بالبريد مقدما أخبار أعدت بغاية العناية إلى سان فرنسيسكو، وكانت هذه الأخبار في أساسها مبنية على البرنامج الذي أعلن عنه، ومن ساعة لأخرى كلما حدث جديد في انتخاب وليام هوارد تافت كان مندوب اليونيتد بريس يرسل برقيات موجزة تضفي مسحة من الجدة على الأخبار الجاهزة، ونجحت الخطة تماما رغم كل الصعوبات، وكانت تحدث وقفات طويلة بين البرقيات الواردة من شيكاغو لقلة الدولارات المخصصة لها، فكان أحد العملاء يرفع سماعة التليفون ليتساءل: لماذا لا تحصل على جديد من البرقيات عن المؤتمر من فترة طويلة؟ ماذا حدث؟

فكان مندوب الوكالة يرد على ذلك في ذكاء قائلا بعد أن ينظر إلى جدول اخباره "كلا، ليس هناك جديد، فهم يستمعون الآن إلى فلان..." ويا له من فارق بعيد عما يحدث اليوم؛ إذ أن كل لحظة في أي مؤتمر سياسي قومي تغطيها شبكات التليفزيون.

كان زائر وكالة الأنباء منذ بضع سنوات يسمعهم يتحدثون عن "السيسي[٤]" ولا بد أنه كان يدهش من إقحام الخيل في مواد الأخبار، على أن "السيسي" في عرف وكالات الأنباء لا تفيد معناها الظاهر، فقد كانت الجريدة الصغيرة إذا عجزت عن الحصول على مئات الكلمات يوميا باستئجار خط تلغرافي، تحصل عليها بطريقة "السيسي". وكانت هذه الطريقة تتمثل أحيانا في صورة خلاصة تلغرافية وجيزة، ولكنها كانت في الغالب تأتي في صورة مكالمة تليفونية خارجية إلى أقرب مكتب مرتين أو ثلاثا في اليوم لعدة دقائق، ولعل عبارة

(٤) الفرس الصغير أو المهر– المترجم

"السيسي" هذه نشأت من أن العملية كانت صغيرة.

وقد يقوم صحفي يضع على أذنيه سماعات، بقراءة الرسائل في حين يقوم المحرر المختص في الجريدة التي تستقبلها بكتابة هذه الرسائل بأسرع ما يستطيع، وكلما أسرع المحرر في الكتابة حصلت جريدته على المزيد من الأخبار. وقراءة أخبار "السيسي" هي العملية الأولى التي كان يعهد بها إلى المبتدئين من مندوبي وكالات الأنباء، وكثيرون من مشاهير المخبرين والمحررين يذكرون أنهم بدأوا حياتهم بقراءة الأخبار بطريقة "السيسي". أما اليوم فقد كاد النسيان يجر ذيله على هذه الطريقة، لأن التليبرنتر قد انتشر استعماله على أوسع نطاق.

وموظفو هيئة التحرير الدائمون في وكالات الأنباء يسمون Staffers وهو اختصار كلمتي Staff Correspondents أي إنهم مندوبون أو محررون دائمون، أما الذين يعملون في مناطق ليس بها من الأخبار ما يبرر تعيين مندوب أو محرر يعمل كل الوقت، فيحاسبون على أساس كمية الأخبار الصالحة للنشر مما يرسلونه ويعرفون باسم "stringer" أي المراسلين أو مساعدي المندوبين، ويعتقد بوجه عام أن أصل هذه التسمية يرجع إلى الطريقة التي كانت بعض الصحف ترصد بها المبالغ المستحقة لهؤلاء المراسلين غير المتفرغين؛ إذ كانوا يحاسبون على أساس كذا (سنت) – أي واحد من مائة من الدولار – عن كل بوصة من أعمدة الأخبار التي تنشر، فكان المراسل يقيس البوصات التي نشرت له بواسطة خيط String يمده كلما زاد عدد الأخبار التي نشرت له، وكان طول الخيط في نهاية الأسبوع يبين الأجر الذي يستحقه.

ولما كان هؤلاء المخبرون غير المتفرغين يقومون بعملهم غالباً بالإضافة إلى أعمالهم الأصلية، فإنهم لا يكونون من ذوي الدراية والخبرة الوافية، وقد جرت العادة بأن ترسل وكالة الأنباء أو الجريدة محررا أو مندوبا دائما يتولى تغطية

الأحداث الكبيرة بمجرد أن يبعث المراسل المساعد أول إشارة عن النبأ الكبير.

ومن الكلمات الغريبة الأخرى التي تحير الزائر كلمة Overhead وذلك حين يقول مدير المكتب لأحد مساعديه: – لنرسل هذا الخبر إليهم Overhead!

ومعنى إرسال الخبر Overhead هو إرساله بالتلغراف التجاري العادي، بدلا من الخط التلغرافي المستأجر. وأصل هذا التعبير أن مثل هذه البرقيات تكلف وكالة الأنباء نفقات إضافية تدفعها من جيبها، أما الأخبار التي ترسل على التوصيلات المستأجرة فلا تكلف هذه النفقات، فالبرقيات التجارية تزيد من تكاليف التشغيل أو النفقات الإدارية.

ويروي عمال التلغراف بوكالات الأنباء قصة طريفة عن أحد محرري البرقيات بولاية كلورادو، وكان لم يكتسب خبرة بالعمل بعد، ولم يكن من ثم يفهم اللغة التي تستعمل في وكالات الأنباء، وكانت نتيجة ذلك أنه جعل جريدته تنشر خبرا غير صحيح أدى إلى السخرية منها، وكانت كلمة "أوفرهيد" هي التي خدعته.

فمنذ خمس وعشرين سنة تلقت إحدى صحف المساء في مدينة صغيرة بولاية كلورادو نصيبها اليومي من الأخبار الموجزة "السيسي" من وكالة الأسوشيتدبريس، وفي "عيد الذكرى" كان أهم خبر هو سباق السيارات لمسافة خمسمائة ميل الذي كان يجري في إنديانا بوليس، فلما انتهت نشرة أخبار "السيسي" لم يكن بينها خبر عن نتيجة السباق.

وكان مدير مكتب الأسوشيتدبريس في دنفر يعلم أن الجريدة تريد نتيجة السباق لتذيعه في عناوينها الرئيسية؛ فأرسل برقية تلقاها عامل التلغراف بالجريدة في ذلك اليوم، ولما كان حديث عهد بالعمل، فقد أخذ البرقية بمعناها الظاهر، وكتب مقدمة لما ورد قبل ذلك عن السباق قال فيها: "إنديانا بوليس في ٢٠ من

مايو– الأسوشيتدبريس "وبل أوفرهيد" كسب سباق سيارات إنديانا بوليس اليوم..."، وظهرت الصحيفة في مساء اليوم وعنوانها الرئيسي يقول: "أوفرهيد يكسب سباق إنديانا بوليس."، وكان الخبر خبطة صحفية بالتأكيد، لأن كل جريدة أخرى في الولايات المتحدة أذاعت يومئذ أن رابح سباق إنديانا بوليس كان اسمه "لومايز".

الصور أيضاً، أخبار

في مكتب الأخبار بكل جريدة كبيرة يرى عامل يقف على آلة يصدر عنها طنين ضعيف، ليراقب شريطا عريضا من الورق ينسحب أوتوماتيكيا على أسطوانة.

ويمتد قضيب أسود امتداداً أفقياً عبر فرخ من الورق قرب أسفل الآلة، وعلى ملف الورق وهو يرتفع في بطء بمقدار بوصات فوق هذا القضيب، يظهر رأس رجل، ثم جبهته وعيناه، ثم فمه العريض، وقد التف في بسمة خفيفة، ويد متزنة الحركات تحدد نقطة ما، وسرعان ما تسجل على ملف الورق صورة كاملة لشخصية معروفة جيدا: هي رئيس جمهورية الولايات المتحدة.

وهنا يقطع العامل الصورة الفوتوغرافية، ويسلمها لمحرر الصور الصحفية فيرسلها إلى القسم الميكانيكي لحفرها ونشرها في العدد التالي، فلا تكاد تمضي ساعتان أو أقل على عودة الرئيس من مؤتمر صحفي في واشنطن، حتى تكون صورته منشورة على الصفحات الأولى في الجرائد كلها من الساحل إلى الساحل، وهو يؤكد إحدى النقط بإشارة من يده.

إن هذه أيضاً إحدى الوسائل البارعة الحديثة السريعة التي تمتاز بها وكالات الأنباء في جمع الأخبار على ناطق واسع. إن الصور أخبار، والمحررون يتلهفون على الصور التاريخية تلهفهم على قصص الأخبار الكبرى وتطوراتها، وهذا ما دعا وكالتي الأسوشيتدبريس واليونيتدبريس إلى استخدام الوصلات التلغرافية في طول البلاد وعرضها لنقل صور الأخبار بسرعة، كما أن لهما وصلات تلغرافية لتوزيع الأخبار.

والآلة التي يقف إليها العامل في المكتب اختراع إلكتروني حديث للنسخ، فالقطعة المعدنية السوداء التي تمر من ورائها لفافة الورق قضيب تسجيل، والنبضات الكهربية المنبعثة من الظهر المكشوف من القضيب على الورق الخاص تسجل في شكل خطوط سوداء وتكون نسخة دقيقة جدا من الصورة التي ترسل من محطة إرسال على شبكة الأسلاك البرقية على بعد يصل إلى ٣٠٠٠ ميلا، وتتلقى عشرات الصحف الأخرى صورة مثلها في اللحظة نفسها.

وفي مدن أخرى كثيرة تسجل محطات معينة، على شبكة الصورة تلك النبضات الكهربية على أسطوانة تحتوي فيلما سالبا، ويحمض هذا السالب في حجرة مظلمة، وتطبع منه صور لامعة، لتصنع منها كليشيهات لطبعها على الورق، وأيا كانت الطريقة التي تؤثرها الصحيفة، فإن الصورة الخبرية تصل إلى يد رئيس التحرير بعد وقت قصير من التقاطها في مدينة بعيدة.

وهكذا أصبح التصوير الفوتوغرافي جزءا من عملية المسارعة بجمع الأخبار التي تتولاها وكالات الأنباء، لا يقل أهمية عن كتابة القصص الإخبارية، ولا يقل ما يرسل من الصور يوميا على شبكات الصور الممتدة عبر القارة عن مائة صورة لكل وكالة أنباء.

وجمع الأخبار بآلة التصوير عمل شاق وخطر في بعض الأحيان فالمصور الصحفي يجب أن يكون في الخط الأول من الأحداث حتى يستطيع أن يسجل اللحظات الحرجة بعدسته، واللحظة التاريخية تأتي فجأة، وعلى المصور في اللحظة والتو أن يضبط البؤرة وجهاز التوقيت جيداً، وأن يرفع جهاز ضبط المسافات إلى عينيه، وأن يركز عدسته على مركز الحدث، ثم يضغط على زر التصوير. إن مهمته هي أن "يجمد" قمة الحدث على فيلمه، وأن يسجل جزء الثانية من الحركة الذي يبين المعنى الحقيقي للموقف.

إن جماعة المصورين الصحفيين وهم يحيطون بإحدى الشخصيات أو بمسرح إحدى الكوارث ويحملون في أيديهم مصابيح (الفلاش) التي نبعث بموجات ساطعة من أنوارها اللامعة، هم بمثابة عيون الملايين من القراء ومشاهدي التليفزيون، وبفضل مهارتهم ويقظتهم يحس القارئ وكما أنه حاضر في لحظة الحدث الذي يشهد صورته.

إن المنظر قد يمثل لقاء باكيا بين زوجة وزوجها الذي كانت تعتقد أنه مات، أو مباراة ختامية من سلسلة المباريات العالمية، أو رجلا معلقا يتشبث في يأس بجدار مبنى عال، ويفكر فيما إذا كان من الأفضل له أن يثب إلى الأرض أو لا يثب، أو صبياً التقطته طائرة هليكوبتر من قمة جبلية تعذر عليه الهبوط منها، وما إن يضغط المصور على زر التصوير حتى يتم تسجيل الحادث تسجيلا مثيرا على صفحات المئات من الصحف.

إن القراء قد يلقون نظرة على إحدى الصور ثم يقولون: "هذه صورة رائعة"، ولكنهم قلما يدركون مدى الخطر الذي تعرض له المصور ودقة التخطيط الذي أعده لالتقاط هذه الصورة، وقلما يعرفون حدة التنافس بين المصورين لإحراز قصب السبق على أقرانهم.

والمصور الصحفي يكافح دائماً للحصول على شيئين: الاقتراب من الحادث للحصول على أنسب زاوية ممكنة للتصوير، وتدبير أسرع وسيلة للعودة إلى الحجرة المظلمة بالفيلم الذي صوره، فلكي يحصل المصور على صورة الرجل المعلق من سطح مبنى شاهق، يتعلق المصور نفسه تعلقاً خطرا بإحدى النوافذ، أو يميل بشدة على حافة السقف، ولكي يسجل صورة نار مشتعلة في غابة قد يعرض حياته للخطر وهو يتسلق جبلا وعرا شديد الحرارة ليلتقط الصورة ويهرول بها ناجياً بحياته، بينما ترسل عليه الريح جدارا هائلا من اللهب.

إن المخبر الذي يصل إلى مكان أي حادث بعد وقوعه يستطيع أن يلتقط البيانات الضرورية من شهود العيان، أما إذا تأخر المصور فسيجد أن فرصته في الحصول على الصورة قد ضاعت إلى الأبد.

والمصورون لا يدخرون جهدا لكي يكونوا أول العائدين من مكان الحادث بصورهم. مثال ذلك –وما أكثر الأمثلة– ما حدث في مؤتمر اختيار المرشح الديمقراطي لرياسة الجمهورية سنة ١٩٣٢ في شيكاغو، فقد اختير فرانكلين د. روزفلت ليكون مرشح الحزب الديمقراطي، وطار إلى نيويورك ليقبل الترشيح، وظهوره قبل سواه على شبكة الصور التلغرافية (التليفوتو) في المدن الواقعة شرقي الولايات المتحدة كان أمراً بالغ الأهمية عند وكالات الأنباء المتنافسة؛ إذ كانت الصحف مهتمة بنشر صورته على عرض صفحاتها.

وقد استأجرت الأسوشيتدبريس طائرة نقل خاصة رابطت في مطار شيكاغو على استعداد لنقل مصورها ومعه الصورة إلى قلب المدينة، وذلك لأن الطائرة تصل أسرع من السيارة التي تعترضها حركة المرور وإشاراته، فتقطع المسافة في نصف ساعة.

وسمع بذلك مصورو وكالة الأخبار المصورة الدولية، وكانت يومئذ فرعاً من فروع وكالة الأنباء الدولية – وكالة الأنباء الثالثة – في ذلك الوقت، فراحوا يعصرون رؤوسهم بحثاً عن طريقة أسرع، فتوسلوا إلى عمدة شيكاغو حتى أعارهم عربة مطافئ حمراء فاقعة حولوا مقعدها الخلفي إلى حجرة مظلمة متنقلة، أما اليونيتدبريس فلم تكن لها في ذلك الحين خدمة تصوير.

والتقط المصور صورة الرئيس في المطار ثم جرى إلى عربة المطافئ ووثب إلى المقعد الخلفي، وانطلقت سيارة المطافئ الحمراء صارخة بنفيرها وهي تنهب الأرض إلى قلب مدينة شيكاغو، وفي المقعد الخلفي جلس المصور يحمض الصور

وهو راكب ومعه المواد الكيماوية اللازمة في حقائب سوداء، وقد اعتمد في عمله على حاسة اللمس، ودقة التوقيت كما لو كان معصوب العينين، ونجحت الحيلة، ووصلت عربة المطافئ قبل طائرة الأسوشيتدبريس، فكانت صورة وكالة الأخبار المصورة الدولية هي أول صورة نشرتها الجرائد.

وتغطية أخبار البيت الأبيض مهمة ممتازة للمصورين كما هي بالنسبة للمخبرين الصحفيين، ولا تقل صعوبتها عنها مثقال ذرة، وكلما حدث حادث غير عادي في البيت الأبيض يتعلق بالرئيس، توقع رؤساء تحرير الصحف وقراؤها أن يروا صورة توضح الخبر.

ولم يكن المصورون الصحفيون فيما مضى، موضع الترحيب دائما في البيت الأبيض، كما هي الحال اليوم، إذ كان بعض الرؤساء ونوابهم يعتبرونهم آفة، وبخاصة حين كان المصورون يحاولون أن يحصلوا على صور غير رسمية لهم في أوقات راحتهم، وكل مصور يعرف أنه ليس هناك أسخف من التقاط صورة رجلين يتصافحان في جمود، أو غير ذلك من الأوضاع المصطنعة، ولهذا يحاول أن يلتقط صوراً مختلفة الزوايا في جدتها وحرارتها.

وقد حدث عندما كان الرئيس وودرو ولسن في البيت الأبيض أن أراد المصورون التقاط صور له وهو يلعب الجولف، ولكنهم لم يستطيعوا الحصول على تصريح من رجال الشرطة السرية الذين اعتبروا ذلك خروجاً على اللياقة، وألح المصورون في طلبهم دون جدوى، إلى أن جاء يوم لانت فيه عريكة رئيس رجال الشرطة السرية فقال للمصورين: "هناك مبنى قديم في جداره الداخلي ثقوب كبيرة بالقرب من الملعب، فلو ركزتم آلات تصويركم في الثقوب لحصلتم على صورة الرئيس دون أن تزعجوه"، ثم رافقهم إلى المبنى المهجور، فلما تعودت عيونهم ظلامه تبينوا أنه لا توجد ثقوب في جدرانه، وعندئذ حاولوا فتح الباب ليخرجوا،

ولكنه كان قد أغلق من الخارج، فأدركوا أنهم وقعوا في فخ محكم، ولعب الرئيس ولسن مباراته في اطمئنان، وكان المصورون يطرقون الباب، ويتميزون غيظاً وحنقاً على رجال الشرطة السرية.

إن أحداً لا يجرؤ على تجربة مثل هذه الحيلة مع المصورين في البيت الأبيض اليوم، فإنهم يتفقون مع السكرتير الصحفي على موعد التقاط الصور ومكانها، ويستمتعون بحرية لم يكونوا يستمتعون بها من قبل؛ ذلك أن الموظفين أصبحوا يدركون الدور القوي الذي تلعبه الصور في رواية الأخبار.

ومغامرات "برت برانت" المصور الصحفي بوكالة اليونيتدبريس للأنباء المصورة التي كانت تعرف من قبل باسم وكالة "آكم"، في سبيل الحصول على أول صورة لنزول الحلفاء على ساحل نورماندي سنة ١٩٤٤، مثال آخر لما يجب على المصورين أن يفعلوه، لكي تصبح صورهم جديرة بالنشر؛ ففي يوم الغزو جاء برانت إلى ساحل أوماها على الشاطئ الفرنسي، وهو إحدى النقط الرئيسية لهجوم القوات الأمريكية، وقد اندفع الزورق الذي جاء به حتى رسا على البر تحت وابل من القنابل، وانفتحت مقدمة الزورق وأسرع المصور والجنود عبر الشاطئ الرملي بحثاً عن مكان يحتمون فيه، وتنقل برانت على الشاطئ المضطرب يسجل مشهد الغزو الهائل في عشرات الصور.

لقد حصل على الصور التي أرادها فعلا، ولكن كيف يرسلها إلى لندن، إنها لا تفيد أحداً إلا إذا أرسلت، فإن الجيش لم يرتبط إلا بنقله إلى الشاطئ، أما عودته منه فهذه مشكلته وحده. وها هو ذا يقف على امتداد أكثر من عشرين ميلا من القنال الإنجليزي.

لقد وقفت هذه الأميال سداً في وجه أدولف هتلر، ولكنها لن تقف في وجه برت برانت. لقد صعد إلى زورق فارغ وطلب من القائد أن يحمله إلى مدمرة

راسية بعيداً عن الشاطئ، ورجاه أن ينقلوه إلى إنجلترا؛ فقيل له:

– آسفون.. كنا نتمنى مساعدتك، ولكن أوامرنا هي أن نحرس هذا الجزء من الشاطئ سبعة أيام.

فظل برانت يتنقل من سفينة إلى سفينة في القنال لعله يتصيد واحدة تعود به إلى إنجلترا، وكانت السفينة السابعة في طريقها فعلا إلى إنجلترا، حاملة عدداً من الجرحى في عمليات نزول القوات المغيرة، وهنا ظهرت مشكلة جديدة، فالنظم العسكرية تعتبر صور النزول "من الأسرار العليا" إلى أن يأذن بها الرقيب، ولم يكن لدى قائد السفينة أمر بأن يحمل مثل هذه الشحنة من الصور، فلم يشأ أن يتحمل مسئولية حمل الصور إلى الشاطئ، ولكنه تصرف على نحو طيب آخر، إذ حمل المصور في سفينته حتى لاحت عن بعد مدينة ويموت بإنجلترا، ثم أرسله إلى الشاطئ في زورق صغير.

بهذا أصبح برانت في إنجلترا، ولكن كيف يتم رحلته إلى لندن بغير وسيلة انتقال، وفي مواجهة تلك الحركة الضخمة من العربات الحربية؟ لقد سمع ضابط شهم من ضباط البحرية بقصته فأعاره سيارة "جيب" وسائقاً يهرع به إلى العاصمة البريطانية.

وانطلق السائق والمصور بالعربة ساعات عديدة، سائرين في الناحية الخاطئة من الطريق أحياناً ليتجنبا القوافل الحربية، حتى جاء الصباح التالي ليوم الغزو. إن أربعاً وعشرين ساعة قد مضت على برانت وهو منطلق بأقصى سرعته في هذا السباق، ورغم ذلك لم يصل إلى قاعدته بالصور التي التقطها، فتملكه اليأس وأيقن أن مصورين آخرين لا بد أن يكونوا قد سبقوه بعدة ساعات.

ولما بلغت السيارة الجيب أخيراً مكتب العلاقات العامة للجيش الأمريكي في

ميدان (جروسفنر) ذهل برانت حين علم أن صوراً ما عن جبهة القتال لم تصل بعد، وقد امتنع الرقباء بعض الوقت عن الإفراج عن الصور بدعوى أنها تكشف أسراراً حربية محظورة، وبعد جدل كثير وضعوا أختام الموافقة على ثلاث منها، ووقف برانت يراقب صوره وهي ترسل على أجهزة نقل الصور بالراديو إلى الولايات المتحدة، حيث كبرت ونشرت في الصفحات الأولى من الصحف في طول البلاد وعرضها، ثم هرول عائداً إلى شاطئ القنال، ومنه ركب سفينة متجهة إلى جبهة القتال مرة أخرى.

إن من الأشياء التي يضيق بها المصورون في تغطية أخبار الحرب أن أكثر الأماكن خطراً في جبهة القتال قلما تتمخض عن صور مثيرة، وقد يخاطر المصور بحياته في مرافقة دورية من المشاة وهو يحمل آلة التصوير بدلاً من البندقية تحت نيران المدفعية الثقيلة أو المدافع الرشاشة، ثم يتبين آخر الأمر أن صوره لا تدل على شيء كبير، وأنه كان يستطيع أن يحصل على صور "حربية" أفضل لو أنه صف بعض الجنود والدبابات في أحد ميادين التدريب الآمنة في وطنه، وطلب إلى أحدهم إطلاق بعض الذخيرة الكاذبة، وهو ما يسمى "تلفيق اللقطة".

ومشكلة المصور هي أن الصورة الجيدة يجب أن يكون لها قوامها وتكوينها، أي أن تكون لها قيمتها "الدرامية" وأن تكون بحيث يمكن نشرها في نطاق أعمدة قليلة من الجريدة، ولكن الحرب الحقيقية في مقدمة الجبهة قلما تطوع نفسها للمصور على هذا النحو، ولهذا يضطر – حتى تحت وابل النيران – لمد يد المساعدة إلى الطبيعة.

ولعل أشهر صورة في الحرب الثانية هي صورة جماعة من رجال الأسطول الأمريكي يرفعون العلم الأمريكي على (أبوجيما) وقد نشرت هذه الصورة في طابع بريد وفي عشرات الأشكال الأخرى كرمز للمحاربين حين القتال. ولكن

الغريب أن المصور الذي التقط هذه الصورة الشهيرة – وهو المصور جو روزنتال – كان يعتبرها في ذلك الحين لقطة عادية، روتينية جداً ولم يكن يظن قط أنها ستصبح بهذه الشهرة.

وقد روى روزنتال قصتها بعد ذلك فقال: "إنه كان على ظهر بارجة حربية في ميناء أبوجيما يرقب عمليات المشاة على البر، وكان القتال في هذا الغزو عنيفاً، فلمح لوناً غريباً لم يكن يتوقعه على منحدرات جبل سوريباتشي، ونظر في نظارته المكبرة ليحدد ماهيته فوجد مجموعة صغيرة من البحارة يحملون علماً أمريكياً يبدو أنهم يعتزمون رفعه على قمة الجبل. وقال روزنتال لنفسه: "هذه صورة جميلة، وحبذا لو أنهم رفعوه فعلا فوق القمة". ونادى زورقاً صغيراً بلغ به الشاطئ، وصعد منحدر الجبل في أعقاب البحارة حتى لحق بهم حاملا آلة التصوير في يده، وقال لهم: إنه يريد أن يصور عملية رفع العلم، فقال البحارة، إنهم لا يعرفون كيف ينفذون فكرتهم بعد أن وصلوا إلى قمة الجبل، فهم مثلا لا يحملون سارية العلم.. ولكن روزنتال أسرع يطوف بين الأنقاض حتى عثر على أنبوبة طويلة التقطها من حطام محطة مراقبة يابانية، فكانت هذه الأنبوبة سارية العلم.

وجمع البحارة حجارة جعلوا منها كومة يثبتون بها الأنبوبة، ثم ربطوا العلم بالأنبوبة، وأدرك المصور أنه ليس في زاوية جيدة يلتقط منها عملية رفع العلم، فساعده البحارة على أن يقيم منصة عالية من الحجارة يقف عليها ليلتقط المنظر، وأخيراً أعد كل شيء، وصعد روزنتال إلى المنصة الصخرية، وركز بؤرة عدسته، وصاح فيهم: "حسنا، هيا ارفعوا العلم". ورفع البحارة العلم، والتقط روزنتال الصورة مسجلا بذلك حدثاً تاريخياً فذاً. وفي أثناء الحرب التقط روزنتال عشرات الصور في ظروف أشد خطراً، ولكن أية صورة منها لم تقارب شهرة هذه الصورة

المرتجلة التي ساعدت فيها يقظة المصور على أن تزود الطبيعة بما كان يعوزها من هذه الإضافة الضرورية لإخراج الصورة الكاملة.

وقد ساعدت التحسينات المختلفة التي أدخلت على آلات التصوير ووسائل الحفر في السنوات الأخيرة على الحصول على صور جيدة في الصحف، وأهم هذه التحسينات إنشاء شبكات سلكية لنقل الصور عبر البلاد حتى تحصل الصحف على أحدث الصور لنشرها مع الخبر وهو طريف "طازج".

كانت الصور فيما مضى توزع على أرجاء البلاد بالبريد أو بالسيارات أو بالطائرات، فكانت تنشر في المناطق النائية بعد أيام من نشر قصصها وأخبارها، وكانت الصور تصبح "بائرة" قبل أن تصل إلى رؤساء التحرير، ونتج عن ذلك أن تغطية الأخبار بالصور لم تكن جيدة، وكانت أول محاولة لنقل الصور بالتلغراف في أواخر السنوات العشرينية وأوائل الثلاثينيات، ولكنها كانت غير كافية وغير واضحة.

فلما أعلنت معامل "بل" في سنة **١٩٣٣** أنها توصلت إلى اختراع جديد للنقل بالتلغراف، قررت الأسوشيتدبريس تنظيم شبكة أسلاكها البوتوغرافية، واعترض كثير من الناشرين في أول الأمر لكثرة النفقات، ولكن أعضاء الأسوشيتدبريس صوتوا في جانب تنفيذ المشروع مهما تكن النتائج.

إن هؤلاء الأعضاء كانوا يؤمنون بأن شبكة الصور لو نجحت لفتح نجاحها باباً جديداً في ميدان الأخبار المصورة. ولكن هل تنجح؟ كان لا بد من بناء خمس وعشرين محطة إرسال واستقبال على طول الشبكة، كما كان لا بد من تدريب العمال، وبعد شهور عديدة من التردد وضعت الترتيبات لافتتاح الشبكة في أول يناير سنة **١٩٣٥**

وقبل فجر اليوم الأول من السنة الجديدة، اجتمع المهندسون والمديرون حول شبكة الإرسال في نيويورك، وشاء حسن الحظ أن تكون هناك صورة إخبارية مهمة تجرى عليها التجربة الأولى للشبكة. وهي لقطة لجماعة إنقاذ وصلت إلى طائرة تجارية تحطمت على جبال أديرونداك التي يكسوها الجليد، وقد أخذ الستة الناجون يحيون جماعة الإنقاذ وقد كادوا يتجمدون من البرد.

نادى مهندس نيويورك كل نقط التصوير في الشبكة، وقال إن الإرسال سيبدأ ثم ضغط على زر. وقد لفت الصورة حول أسطوانة معدنية أفقية، ودارت تحت خلية تصوير كهربية، وبهذه الطريقة نقلت الصورة بالتلغراف، ثم طبعت على شريط (فيلم) في كل محطة استقبال، وبعد ثمان دقائق كانت الصورة قد نقلت من الشاطئ إلى الشاطئ الآخر، وكانت خطوة ثورية في عالم التصوير الصحفي. وقد نشرت الصحف هذه الصورة التاريخية الأولى في صدر صفحاتها إلى جانب قصة الإنقاذ.

أما اليوم فقد اتسعت شبكة الأسوشيتدبريس لدرجة لعلها تجاوزت حتى أحلام الذين أنشأوها. وبعد أن كانت تملك خمساً وعشرين محطة إرسال أصبح لها أربعمائة محطة، وحوالي ستمائة نقطة استقبال. ولنقل الصور بسرعة من المناطق النائية التي تقع فيها الأحداث، تستخدم آلات إرسال تنقله، وقد أصبحت فائدة هذه الخدمة أكبر بفضل اختراع جهاز استقبال يسجل الصورة على الوزن من السلك مباشرة بدلا مما يسببه تحميض الفيلم من تعطيل.

وقد ظهرت بعد الأسوشيتدبريس شبكات خاصة بوكالات الأنباء الأخرى، ثم اندمجت هذه كلها في بعضها وأصبحت وكالة واحدة هي اليونيتدبريس الدولية، واليوم ترسل كل وكالة للأنباء نشرات مصورة لأخبار العالم إلى مكاتب الصحف في أمريكا، مع النشرات المكتوبة.

ويبدو أنه لا حدود للمخاطر والمتاعب التي لا بد أن يلقاها المصورون للحصول على أخبار مصورة. إن بعض هذه المخاطر يتوقعها المصور أحياناً كما يحدث حين يرافق طائرة أو سرباً من الطائرات في مهمة خطرة للضرب بالقنابل من الجو، أو حين يصعد إلى أعلى "سقالة" في إحدى ناطحات السحاب الجديدة ليلتقط صورة مثيرة لسير العمل بها. ولكن الخطر يظهر أحياناً على غير انتظار، وعندما يحدث ذلك يجب على المصور أن يحتفظ برباطة جأشه، ويعد آلة تصويره للعمل، ويكون أول ما يشغله دائماً هو: "يجب أن أحصل على هذه الصورة".

وقد حدث مثل هذا الخطر الطارئ في بورتلاند بولاية ماين، وكان قد اخترع نوع جديد من "البالونات" الخاصة بالتجارب الجوية، وأراد مصور أن يحصل على صورة غير عادية توضح عملها، فأحضر ثمانية وعشرين "بالوناً" ملأها بالغاز وربطها إلى مظلة واقية، وربط المظلة بحبل آخر، وكانت الفكرة أن يرتفع إلى علو مائة قدم في الهواء، ثم يحصل على بعض لقطات هوائية "مختلفة" وهو آمن بحكم أنه مربوط إلى الأرض بحبل أمان، وكان هناك رجل مهمته أن يجذبه إلى الأرض بعد أن ينتهي من لقطاته، وتدلى المصور بكل هدوء في الهواء وراح يلتقط صوره، فإذا حبل الأمان يفزع بالانقطاع، وإذا هو فجأة يحلق نحو الفضاء.. وكان هناك قسيس يرقبه وهو يلتقط الصور، فأدرك ما حدث فأسرع إلى بيته والتقط بندقية صيد، ووثب إلى سيارة، وتابع المصور الطائر، فلما أصبح تحته تقريباً أطلق القسيس بندقيته على البالونات وكان تسديده محكماً فانفجر بعضها، وأصبح وزن المصور أكبر من أن يطير مع البالونات فهبط إلى الأرض ببطء. وبعد دقائق نهض المصور على قدميه دون أن يصيبه أذى بعد أن طار في الهواء ثلاثة عشر ميلا، ولعله الإنسان الوحيد الذي هبط إلى الأرض برصاص قسيس، ثم إنه حصل أيضاً على الصور.

وراء الخبطات الصحفية في مناكب الأرض

في مكتب اليونيتدبريس في نيويورك، في ٣ من أكتوبر سنة ١٩٣٥، دبت الحياة في جهاز استقبال البرقيات من لندن، وبدأ يدق، وسرعان ما وضع العامل فرخا من الورق في آلته الكاتبة، وراح ينقل عليه الكلمات المنبعثة من الجهاز على شريط ضيق من الورق.

كانت الكلمة الأولى هي "عاجل"، لا بد أن هناك خبراً من الجانب الآخر من العالم، رأى مكتب لندن أنه يستحق أن يدفع عنه أجر خاص للإسراع في تبليغه عبر الأطلنطي. كانت كلمات البرقية قليلة، ست كلمات ليس غير، لكنها كانت خبطة من أكبر الخبطات الصحفية العظمى في السنوات الثلاثينية المحمومة، التي كان العالم فيها يندفع دون إدراك كامل إلى الحرب العالمية الثانية، وكان المخبر الذي طير النبأ هو "ويب ميلر" أشهر مراسل خارجي بين مراسلي اليونيتدبريس.

قالت البرقية: "بدأت إيطاليا غزو إثيوبيا في الخامسة صباحا".. "ميلر"

والذي جعل من هذا الخبر شيئاً مثيراً: هو أن "ويب ميلر" أرسله من جبهة القتال مباشرة على مسافة آلاف الأميال في تلك البلاد البعيدة عن الساحل في شرق إفريقيا، وأنه سبق بوقت طويل حتى البيان الرسمي الذي أذاعته الحكومة الإيطالية في روما معلنة الحرب، فصدرت مئات الملاحق الصحفية في بلاد عديدة تحمل السطر الذي طيره "ميلر"، في حين ظل موظفو الحكومة الإيطالية أنفسهم في روما يدقون أجراس التليفون في مكتب اليونيتدبريس طالبين المعلومات عن الحرب التي شنوها هم.

لقد كانت هذه أروع قصة للعمل في ألذ مهنة – بين المشتغلين بالصحافة –

مهنة المراسل الخارجي. إنهم أولئك الذين يجوبون في زوايا الأرض ليغطوا أخبار الحروب والثورات. إن المخبرين الأشبال في أقسام الأخبار بالصحف ووكالات الأنباء يحلمون باليوم الذي يصبحون فيه هم أيضاً مراسلين خارجيين مرموقين. ويتصورون أنفسهم وقد اختلطوا بعظماء العالم، وراحوا يهرولون من عاصمة إلى أخرى، ويدفعون برسائل العناوين الرئيسية من مدن غريبة الرنين مثل سنغافورة وريكيافيك. إن هذا كله يبدو نائياً صعب المنال، ومع ذلك فإن ما يحلم به بعض هؤلاء الأشبال قد يصبح حقيقة واقعة في يوم من الأيام.

إن قصة الخبطة التاريخية التي فاز بها "ويب ميلر" من أحب القصص التي يحلو للصحفيين أن ينسجوا خيوطها، فإذا أسعد الحظ أحد الناشئين بأن يدعى إلى عرينهم، فإن هؤلاء المخضرمين يقولون له: "اصغ جيداً، فإن هذه هي الطريقة المفروض اتباعها، إن هذا هو المعنى الحقيقي لعمل المراسل الخارجي".

وقد روى ميلر معظم قصته في سيرة حياته التي كتبها بعنوان: "لم أجد سلاما" ولكنه لم ينشرها كلها"، ففي أواخر صيف سنة **١٩٣٥** هدد بنيتسو موسوليني، ديكتاتور إيطاليا، بتوسيع إمبراطوريته، بأن يغزو إثيوبيا، تلك الدولة الضخمة البدائية الغائرة في جبال شرقي إفريقيا، وقد حذرته الدول الغربية الأخرى من أن يفعل، فالإثيوبيون لم يستفزوا الإيطاليين، وكانوا فقراء في السلاح، حفاة لا يعرفون إلا الحراب ذوات الرماح في مواجهة الجيوش الإيطالية الكبيرة الحديثة الأسلحة، وكان موسوليني يرى في غزو إثيوبيا عملية سهلة يصر على أن يقوم بها، وكان كثيرون في بريطانيا والولايات المتحدة يرون من الصعب أن يتصوروا أنه سيفعل ذلك.

على أن محرري اليونيتدبريس كانوا يرون أن تلك الحرب محتملة الوقوع، ولهذا رحل ميلر من لندن إلى جبهة القتال المحتملة على بعد أكثر من أربعة آلاف ميل،

فأسرع أولا إلى روما حيث ظل أكثر من شهر يحاول الحصول على بطاقة صحفية حربية من السلطات الإيطالية، وقد قيل له: إن المراسلين الأجانب سيسافرون إلى إفريقيا جماعة بالباخرة بعد أسبوعين، ولكن ميلر لم ينتظر، كان يريد أن يحصل على أخبار يختص بها دون الآخرين ما استطاع إلى ذلك سبيلا، وكان قد سبقه في الرحيل منافس له هو "فلويد جيبونز" من وكالة الأنباء الدولية، ولكن ميلر كان يأمل أن يخدمه الحظ فيدركه.

وكانت كل السفن في البحر المتوسط محجوزة – كما قيل له – فلم يكن بها مكان واحد بأي ثمن، فشق طريقه بالتحايل إلى إحدى السفن في نابولي، وضبطه صراف السفينة؛ ولكن المراسل الحاضر البديهة لوح له بحفنة من الجنيهات الإسترلينية قائلاً: "هذه النقود لك إذا تركتني على ظهر السفنية، سأنام على أحد المقاعد فوق ظهر السفينة خلال الساعتين اللتين نعبر فيهما البحر المتوسط".

وبعد يومين كان ميلر في الإسكندرية "ميناء مصر" وقد أتيحت له بداية طيبة في رحلته البعيدة إلى إثيوبيا، ولكنه واجه أزمة أخرى، فلم تكن هناك غير طائرتين تقومان أسبوعياً من مصر إلى الخرطوم على مسافة ١.٢٠٠ ميل فوق نهر النيل، وكانت إحداهما تستعد للطيران في الثالثة من صباح اليوم التالي، وكل مقاعدها محجوزة من أسابيع.

وهنا كان على بديهته أن تسعفه مرة أخرى، فأخذ يغري مدير مكتب الحجز ويرجوه ويستعطفه ليرسله بأي شكل على هذه الطائرة، وقبل قيامها بنصف ساعة، في منتصف الليل استجاب الرجل لتوسلاته بأن أمر كل مسافر أن يترك واحدة من حقائبه، وبينما كان الركاب في طريقه إلى المطار كانوا يضجون بالشكوى لإرغامهم على ترك بعض ملابسهم، ويتساءلون: "من هو ذلك السخيف المزعج الذي سبب لنا كل هذه المتاعب؟ وما يظن نفسه؟." ولم يكن

ميلر قد جأر بالشكوى دون باقي المسافرين، ولم يكتشف أحدهم قط أنه "البطل الشرير" في هذه القصة.

كانت المحطة التالية هي مطار الخرطوم على مسافة سحيقة عبر نهر النيل في قلب إفريقيا، وقد بلغ ويب ميلر إلى هذا المدى عن طريق الحظ الحسن، والبديهة الحاضرة، ولكن بقيت أمامه آلاف الأميال من السفر في أرض وعرة غير مطروقة، وكان لديه شعور خفي باقتراب الغزو الإيطالي، فهل يستطيع الوصول إلى الجبهة في الموعد المناسب؟

وفي الخرطوم أركبه أحد الموظفين الإيطاليين إحدى طائرات موسوليني ليطير سبعمائة ميلا إلى أسمرة في إريتريا الإيطالية إذ ذاك، وكانت هذه المدينة مقر قيادة الجيش الإيطالي الذي يجري تنظيمه لعملية الغزو. وذهب ميلر يزور المكتب الصحفي بمركز القيادة في أسمرة، فوجد جيبونز هناك، وكان الرجلان صديقين، ومتنافسين قديمين، ولكن جيبونز المراسل الأمريكي أو البريطاني الوحيد في مسرح الأحداث إلى تلك اللحظة، وكان أبعد ما يكون عن الحماسة والغبطة لرؤية رفيقه الجديد؛ إذ كان لا بد أن يقتسما الخبر فيما بينهما، أما الباقون من المراسلين الأمريكيين والإنجليز فكانوا لا يزالون متخلفين عنهما بآلاف الأميال ينتظرون السفينة التي تقلهم من إيطاليا.

وكان مقر القيادة الصحفي البالغ التقشف خالياً من أي شيء ليس سوى أسرة النوم الهزازة، فكانا يكتبان رسائلهما وهما جالسان في سريريهما، وقد وضع كلاهما آلة الكتابة على حقيبته الواقفة على طرفها، وكانت أسمرة شديدة الحرارة والغبار، ترتفع حرارتها عن ١٠٠ درجة "فهرنهيت" وتزدحم بالمواطنين الذين يعيشون في فقر شديد، وقد غصت المدينة بالجيوش الإيطالية التي راحت تستعد للغزو المتعمد الرخيص، وبعد أيام من الانتظار أخطر كل من ميلر وجيبونز ذات

ليلة بأن الغزو يبدأ في الساعة الخامسة من صباح اليوم التالي. وقيل لهما:

– كونا على استعداد في الواحدة صباحا، فستأخذان طريقكما إلى نقطة مراقبة على الخط الأمامي.

واستمرا ثلاث ساعات يشقان بسيارتهما الظلام وسط قوافل "اللوريات" في طريقهما إلى الجبهة. وفي الساعة الرابعة صباحا، في تلك الفترة الباردة التي تسبق الفجر وصلا إلى ثكنة حجرية أعدت لتكون مقرا لهما، وبعد نصف ساعة نقلا إلى مركز عال للمراقبة على سفح جبل يقع على النهر الفاصل بين الحدود. عند هذا الحد كانت أعصاب الجميع متوترة من الترقب، وكان ميلر وجيبونز المراسلان الأمريكي والبريطاني الوحيدين في المكان، وجاء ضابط اتصال صحفي يقول لهما:

"إن أسلاك التلغراف الحربي إلى أسمرة مشحونة ومكتظة بالبلاغات الرسمية، فلن يسمح لأحدكما بأكثر من خمس نشرات كل منها لا تزيد على عشرين كلمة. أما باقي رسائلكما فيجب أن ترسل إلى أسمرة على مسافة ستين ميلا إلى الوراء بالدراجات البخارية (الموتوسيكلات)".

مائة كلمة فقط للمراسل، في الوقت الذي ينتظر فيه العالم كله هذه الأخبار ويتلهف على كل ما يمكن من التفاصيل، لا بد أن تحمل كل كلمة من هذه الكلمات المائة معنى كبيرا، فكيف يمكن استخدام هذه الكلمات إذن على الوجه الأكمل؟

قرر ميلر أن يكتب أول برقية له بإيجاز شديد، ويحصرها في أهم الحقائق جميعاً، وهي أن الغزو قد بدأ، وقد وجه الرسالة نفسها إلى نيويورك وروما وباريس ولندن، على أن تنقل بمختلف الخطوط السلكية واللاسلكية. ووضع ميلر أخباره بين يدي عامل التلغرافات الحربية. وإن تكن الحرب قد بدأت بعد، كما ترك

رسائل عيددة في أسمرة قبل أن يذهب إلى الجبهة، لتبليغها في اللحظة التي يعلن فيها الغزو رسميا.. وفي تمام الخامسة صباحا تحرك الجنود الطليان عبر نهر الجبهة وبدأ عامل التلغراف يدق الرسائل بطريقة مورس إلى أسمرة لترسل من هناك إلى العالم الخارجي.

وراح ميلر وجيبونز يدقان رسائلهما على الآلة الكاتبة، وقد امتطيا جدارا من أكياس الرمل، وهما يذبان "يهشان" مئات الذباب، ويرقبان بنظارات الميدان الجنود الإيطاليين وهم يخوضون ماء النهر، رافعين بنادقهم في الهواء.

وكانت درجة الحرارة قد ارتفعت إلى ١١٨ درجة في الظل، وانتشر الغبار في كل مكان، ولم يكن المراسلان قد غمض لهما جفن طول الليل. فاستبدت بهما الحرارة والعصبية والإجهاد، وفجأة أعلن أحد الضباط أن حامل البريد إلى أسمرة سيتحرك بعد خمس عشرة دقيقة، فهرع المراسلان يكتبان في عجلة ولهفة، لعلمهما أنه لن تتاح لهما فرصة أخرى لإرسال وصف المعارك قبل ساعات كثيرة، واستخدما الاصطلاحات المختصرة التي يفهمها رجال وكالات الأنباء، وكتب ميلر أكثر من ٦٠٠ كلمة في ربع الساعة، وهو ما يكفي عمودا ونصف عمود في إحدى الصحف بعد التوسع في كتابته.

وبعد أن انتهيا من رسائلهما لم يكن لدى الغريمين الصحفيين ما يستطيعان عمله، لقد كان كل منهما خبيراً عالي الكعب في فنه، وقد كتب كلاهما وصفا رائعا لهذا الحدث، وأرسل ما كتباه في وقت واحد، فأيهما يصل إلى المدن النائية في عالم الغرب قبل الآخر؟

في مثل هذه الأحوال يدعو كل مراسل ربه أن تصل رسالته قبل غيرها، على أن أحداً من المراسلين في الجبهة لن يعرف شيئاً عن ذلك قبل ساعات طويلة، قد تكون يوما أو أكثر، وذلك حين يبعث رؤساء التحرير برقيات تحمل رد الفعل

الذي كان لهذه الرسائل، ولهذا فقد أوى ميلر وجيبونز إلى فراشيهما في كوخ من الطين ودخلا في معركة خاصة مع أسراب الذباب.

كانت برقية ويب ميلر هي التي وصلت إلى نيويورك أولا، وفي الأيام التالية وصلته برقيات التهنئة في هذه الجبهة الحربية البعيدة، من أماكن كثيرة في العالم، لعل هذه تبعث أروع الأحاسيس على الإطلاق في نفس المراسل الخارجي.

إن ميلر لم يشأ بعد ذلك قط أن يكتب قصة هذا السبق الصحفي وكيف استطاع أن يحققه، مكتفياً بقوله: إن ذلك راجع إلى خبرته الفنية بطرق المواصلات العالمية، ولكن ما حدث على وجه التحقيق كان ما يلي: لقد قدر ميلر أن خطوط المواصلات الإيطالية في أسمرة مكتظة بالبلاغات الرسمية، فتتعطل من ثم البيانات الصحفية ساعات عديدة، ولهذا اتفق بصفة خاصة مع موظف إيطالي كبير، على أن يرسل نسخة من رسالته بالطائرة إلى مكان أصلح للإرسال، ومن هناك أرسلت بالطريق التجاري إلى روما على وجه السرعة.

وقد أثار وصول رسالة ويب ميلر الخطيرة إلى مكتب اليونيتدبريس في روما حركة سريعة، فلم تكن الحكومة الإيطالية قد أذاعت كلمة واحدة عن الغزو، ومن ثم كان الخبر "طازجا"، وخاصا بالوكالة وحدها. فأرسل موظف شاب بالمكتب برقية بنص الرسالة على الفور إلى نيويورك، وبيونس أيرس – كل خط ممكن – حتى عن طريق الخط الدائري حول العالم إلى نيويورك بطريق طوكيو.

وأجرى الموظف مكالمة تليفونية عاجلة مع مكتب اليونيتدبريس في برلين، إذ كان قد تبين له أخيراً أن اشتراك إيطاليا وألمانيا في محور واحد يجعل الاتصال ببرلين أسرع من الاتصال بلندن، وقال لرئيس مكتب برلين هال بيترز: "هاك خبراً حامياً من ويب ميلر". فأجابه بيتر: "حسنا" ثم التفت إلى أحد موظفيه وطلب إليه أن يطلب اتصالاً تليفونياً بلندن، وأملى بنكلي رئيس مكتب روما برقية ويب ميلر

على بيترز في برلين، في حين كان هذا يكررها بدوره على التوصيلة المفتوحة مع لندن، ومن هناك أرسلها مكتب اليونيتد بريس عبر الأطلنطي إلى نيويورك، وبذلك أرسلت برقية ويب ميلر بأربعة وثلاثين طريقا مختلفاً وكلفت مئات الدولارات، ولكن مديري اليونيتدبريس قدروا أن كل مليم أنفق في محله، فإن السبق العالمي بخبر خاص عن بداية حرب ما، شيء لا يحدث كثيرا.

وقد شهد ويب ميلر معارك كثيرة؛ وبعث بالرسائل عن أحداث مثيرة، ونال نصيبه من اللحظات التي نجا فيها من الموت بمعجزة، كنجم لامع بين مراسلي اليونيتدبريس؛ ثم تشاء سخرية القدر أن يلقى حتفه بسبب خطوة خاطئة، وهو يبرح القطار في ليلة من ليالي لندن المظلمة في بداية الحرب العالمية الثانية، دون أن تكون هناك أية غارة من العدو.

على أن حياة المراسل الخارجي ليست مثيرة دائماً بطبيعة الحال، وأحلام الناشئين من المخبرين باليوم الذي يكونون فيه نجوماً عاملين في دول أجنبية، ينسون عددا لا يستهان به من الأشياء السيئة، وأنى لمخبر لم يذهب إلى بلد أجنبي أن يعرف مثل هذه الأشياء: غرف الفنادق غير المكيفة والطعام الرديء في مدن بعيدة يسرح الخيال عند ذكرها، صعوبة التفاهم باللغات، البرقيات الغاضبة من مكتب نيويورك تطلب المستحيلات على الفور، إغلاق مكاتب التلغراف ليلا عندما يكون لدى المراسل خبر مثير، المراسلين الذين ينافسونه، ويسبقونه في الحصول على الأخبار المهمة، الرقيب الخارجي الذي يرفض أن يصرح له بإرسال الأخبار الحيوية، وأحياناً ما قد يلازم عمله من خطر يجعله يضحي بحياته في سبيل خبر قد يتبين أنه لا يستحق النشر. هذه بعض المتاعب والويلات التي تختفي وراء العناوين الكبيرة.

ثم إن المراسلين الأجانب – وإن لم يعترفوا بذلك قط – يساورهم شعور

بالحنين إلى الوطن، تماما كما كانوا يشعرون بذلك في أول ليلة لهم في المعسكر خارج منازلهم وهم صغار؛ فالغربة في سبيل مغامرة طال انتظارها متعة لا شك فيها، ولكن الأشياء والناس في الوطن تبدو أيضا جميلة رائعة، وبعيدة نائية، ورغم ذلك لا يكاد يوجد صحفي يرفض عملا في الخارج إذا عرض عليه، ومعظم المخبرين الصحفيين الأمريكيين في الخارج يعملون لوكالات الأنباء الأمريكية المتناثرة حول الأرض من هونج كونج إلى موسكو، ومن ملبورن إلى القاهرة، والقصص التي ينسجونها حول أخبارهم ومغامراتهم قصص شائقة ممتعة تكشف عن وجه العالم بما لا تكشف عنه كتب التاريخ.

حدث مثلا أن تورط أحد مراسلي الأسوشيتدبريس واسمه جيمس أ. ميلز في خبر عن ملك اليونان وحشرة البق، وهي قصة مضحكة، كادت تتحول إلى مأساة. وقصة البق جرت في مقابلة بين ميلز وبين المرحوم قسطنطين ملك اليونان بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، وقبل أن تتناثر القصة عبر المحيط الأطلسي، كانت مثار تهديد لحياة المراسل، بل وكانت فعلا ولفترة طويلة خطرا على بقاء الملك على عرشه.

كان الموقف السياسي متوترا في اليونان، وكان الملك قسطنطين يتعرض لحملة هجومية من حزب سياسي يرى إقامة جمهورية بدلا من الملكية في اليونان، وحتى يزيد الملك من شعبيته نصح له مستشاروه أن يعبر بحر إيجة إلى أزمير، وهي جزء من الأراضي اليونانية فلما زارها ملك من الملوك، وحاول ميلز عبثا أن يرافق الملك على ظهر البارجة التي حملته، فلما عجز لحق به على سفينة ملأى بالبراغيث، وتحمل بصلا له رائحة نفاذه.

وليس من عادة الملوك إعطاء أحاديث للصحفيين، ولكن الملك قسطنطين كان رجلا بدينا كبير القلب فوافق على أن يقابل ميلز في أزمير بعيداً عن جو

الرسميات، وما إن مثل المراسل في حضرة الملك، حتى بدأ الملك يشكو من انتشار البق في أزمير قائلا:

– إن المدينة كلها زاخرة بالبق.

ودهش المراسل لأن هذا لم يكن هو الحديث الملكي الذي ينتظره. واستطرد الملك قائلا:

– لم أر في حياتي أقذر من هذا المكان.

وأخذت الحماسة الملك فقال إن البق ظل يهاجمه طول الليل، وإن وزير الحربية اليوناني اضطر إلى أن يهجر البيت في سواد الليل هربا من البق. وحار المراسل في أمره، إذ لم يستطع أن يجعل الملك يتحدث عن السياسة أو عن الحرب، وهو نوع الحديث الذي ينتظر من ملك، بل كان كل الحديث عن البق، وكانت كل ملاحظات الملك عبارة عن نقد محرج لذلك الجزء من ملكه الذي جاء إليه في مهمة سياسية دقيقة.

ولم يدر ميلز ماذا يستطيع أن يفعل تماما، فقد انتهى حظه الحسن في مقابلة الملك إلى لا شيء، ولهذا قرر أن يفعل شيئاً خارجاً عن المألوف: فكتب رسالة في ٣٠٠ كلمة ذكر فيها حديث الملك عن البق، وكيف أن البق تغلب على وزير الحربية. وبعد أن أرسل ميلز برقيته بساعة، جاءه أحد موظفي القصر مذعوراً يطلب إلغاء الحديث الصحفي مع الملك خوفاً من أن يثير نشره ضجة سياسية كبيرة، وقال الموظف لميلز:

– إن حديث البق إذا جاءت به البرقيات إلى أثينا سيثير دون شك فضيحة بالغة الخطورة.

ولكي يطمئن ميلز موظف القصر أرسل برقية إلى نيويورك يقول فيها: "إن

مدير الصحافة بالقصر يريد إلغاء الحديث"، وجاءه الرد من نيويورك يقول:

– فات الأوان، وزحف البق على المطبعة.

وكان الرسول الملكي على حق، فقد أدى الحديث إلى فضيحة، إذ قرأ المراسلون اليونانيون في نيويورك قصة البق في الصحف الأمريكية، وأبرقوا بها إلى جرائدهم في أثينا، واتهم أنصار الملك الحانقون ميلز بتأليف الحديث لإحراج الملك، وحذره أحدهم، وهو من ضباط الجيش قائلا:

– إذا كنت ترى لحياتك وسمعتك قيمة، فخير لك أن تغادر البلاد، إنك عدو لنا.

وفي أثينا راح خصوم الملك يتخذون من القصة سلاحا، يثبتون به عدم صلاحية الملك وضرورة تخليه عن العرش، ولاحت في الأفق بوادر الانفجار.

وأخيرا انزعج ميلز، لأن الرواية التي كان يقصد بها المزاح "أدت إلى مثل هذه الأزمة، فالتمس مقابلة أخرى مع الملك يقدم فيها اعتذاره، ولكن هدأ من روعه أن الملك نفسه اعتبرها دعابة ضحك لها كثيرا وقال:

– لقد كانت زوبعة في فنجان، إنني معك في أن كثيرا من اليونانيين تنقصهم روح المرح.

وبقي الملك على عرشه، وحصلت الأسوشيتدبريس على قصة طريفة ضحك لها ملايين القراء.

***

وهناك قصة أروع من هذه بكثير تناولت ملكا آخر ومراسلين أمريكيين، وقد حدثت في لندن سنة ١٩٣٦. كانت قصة حب ولكنها في هذه المرة كلفت

الملك عرشه بالفعل؛ ففي خريف سنة ١٩٣٦ علم المراسلون الأمريكيون بلندن، أن الملك الأعزب إدوارد الثامن كثيراً ما يرى في صحبة سيدة أمريكية اسمها مسز آرنس سمبسون، وكان إدوارد قد اشتهر في العالم كله منذ سنوات بأنه ولي العهد الجريء، وقد مات أبوه قبل ذلك بشهور فأصبح الأمير العاشق الرشيق ملكا، وكان من المقرر أن يحتفل بتتويجه في الربيع التالي بأبهة كبيرة.

وسرعان ما تبين للمراسلين الأمريكيين في إنجلترا – كما تبين لكثيرين غيرهم – أن العاهل الجديد متعلق تعلقا شديدا بمسز سمبسون، فأرسلوا إلى الصحف الأمريكية برقيات عن صداقتهما أثارت جدلاً كثيرا: هل ينتهي الأمر بزواجهما فتكون أول أمريكية تصبح ملكة على إنجلترا؟ كان الاحتمال رائعا ومثيرا، جعل القراء الأمريكيين يتلهفون على كل التفاصيل التي يمكن أن يحصلوا عليها، فعمل المراسلون الأمريكيون في لندن بلا وناء للحصول على المعلومات. لقد كانت هذه قصة العلم الصحفية وكانت أكبر قصة غرام في القرن العشرين.

على أن الصحف البريطانية لم تنشر كلمة واحدة عنهما، فقد اتفق أصحاب الصحف على أن تظل القصة في الخفاء، على أمل أن شيئا ما قد يحدث لغرام الملك، وكانوا يخشون أن يسيء النشر إلى كرامة الأسرة المالكة البريطانية. كان موقفا غريبا، الصحف الأمريكية حافلة بقصة غرام الملك مع أمريكية من عامة الشعب، أما الصحف الإنجليزية فلا تحمل في هذا الصدد كلمة واحدة.

وسرعان ما حمي الوطيس والصراع سرا بين الملك وحكومته حول رغبته في الزواج من مسز سمبسون، وقد أصر ستانلي بلدوين رئيس الوزراء على أن الشعب البريطاني لن يقبل قط أن تكون أمريكية مطلقة ملكة عليه، ولكن الملك كان غارقا في الحب إلى أذنيه.

وكان المراسلون الأمريكيون يبذلون غاية جهدهم للوقوف على الأسرار

الداخلية للأسرة المالكة بكل وسيلة من وسائل الاتصال، وسرعان ما سمعوا كلاماً فحواه أن الملك قد يتخلى عن العرش إذا اقتضى الأمر ليتزوج من مسز سمبسون، على أن هذه الخطوة لم يكن قد سمع بها أحد في إنجلترا، فلم يكن هناك من يستطيع أن يؤكد رسميا أن مثل هذا الإجراء الحاسم سيحدث.

وظلت الاجتماعات السرية تعقد أياما عديدة، وأخذ رأي رئيس أساقفة كانتربري، وأسرعت السيارات بين القصور الملكية. كان كل شيء متوترا، غامضا، مليئا بجو الدسيسة، ومع ذلك لم تظهر في الصحف البريطانية كلمة واحدة، ورأى المراسلون الأمريكيون أن هذا وضع لا يكاد يصدقه أحد.

وذات ليلة غير أصحاب الصحف البريطانية رؤوسهم، فظهرت كل صحيفة لندنية في اليوم التالي تحمل قصة غرام الملك والخطر الذي يتهدد العرش، وتروي لملايين قرائها — بعد فوات الأوان — ما عرفه القراء الأمريكيون من أسابيع، وأصيبت البلاد كلها بالذهول.

وظل الموقف يتغير من يوم ليوم، بل من ساعة إلى ساعة، فيقول أحد المصادر التي يفترض فيها الثقة: إن الملك سيتخلى عن مسز سمبسون ليحتفظ بعرشه، ويقول آخر إن الملك قرر التنازل عن العرش، فأيهما يصدق الناس؟ أما الحصول على كلمة من الملك فكان من المستحيل، لأنه لم يكن يسمح قط لأي صحفي بأن يقابل أحد ملوك بريطانيا.

وعند هذا الحد أفادت صداقة قديمة مراسلا أمريكيا وهو هنري توستي راسل، وحققت له سبقاً ضخماً، فقبل ذلك بخمس سنوات كانت الملكة فيكتوريا ملكة إسبانيا قد اضطرت إلى الفرار من بلادها وجاءت لتعيش في إنجلترا، وكان راسل يغطي نشاطها على مدى أسابيع طويلة، فلما اختفت من العناوين الرئيسية، كان في بعض الأحيان يزورها في دارها محافظة على معرفته بها. وخطر له

خاطر ماكر هو أن يزورها مرة أخرى، فهي وثيقة الصلة بالأسرة المالكة البريطانية، ولهذا تعرف ما يجري داخلها، وكان يسرها أن تمد يد المساعدة لراسل، ومن هنا أجابت بنعم على استفساره، وقالت له بلهجة التأكيد: إن الملك إدوارد الثامن أخبر أعضاء الأسرة أن عزمه قد استقر على أن يتخلى عن العرش ليتزوج من مسز سمبسون.

واتصل راسل تليفونيا بمكتب اليونيتدبريس الرئيسي وأملى الخبر قائلا إنه استقاه كمعلومات وثيقة من مصدر يطمئن إلى صحة أخباره، ولكنه لا يستطيع أن يكشف عن مصدر معلوماته، لأنه وعد بإخفائه، فأكد مكتب لندن لمكتب نيويورك أن القصة صحيحة، وسرعان ما وزع الخبر على مختلف أنحاء العالم، وبعد ذلك بساعات قليلة أعلن إدوارد الثامن فعلا تنازله عن العرش، وفي تلك الليلة ألقى في الإذاعة أسباب هذا القرار قائلا: "... لقد وجدت أنه يستحيل على أن أحمل عبء المسئولية الباهظ، وأن أضطلع بواجباتي كملك على الوجه الذي أرضاه بلا عون ولا تأييد من السيدة التي أحبها...".

وسجل المراسلون الأمريكيون حديث الملك كلمة كلمة من الإذاعة، وأرسلوه عاجلا إلى نيويورك لتكون منه العناوين الرئيسية في صحف الصباح. وفي العالم كله حملت وكالات الأنباء عبارات الغرام، وقصة الملك الذي تخلى عن عرشه في سبيل حبه. وكان هذا بالنسبة للمراسل توستي راسل سبقا ضخما، بفضل الصداقة القديمة التي قامت بين مراسل مثابر، وملكة سابقة عرفت له جميله حين كان يروي قصتها هي نفسها قبل ذلك ببضع سنوات.

مراوغة الرقيب

إن أعدى أعداء المراسل الأجنبي رجل يمسك قلماً ضخماً من الرصاص الأزرق، ومقصاً وخاتماً من المطاط، هذا هو الرقيب، إن كثيراً من الحكومات تستخدم هؤلاء الرقباء حتى في وقت السلم للتأكد من أن أخباراً معادية أو محرجة لا تخرج من البلاد حول الحالة فيها.

ولما كانت مهمة المراسل هي أن يوافي وكالة أنبائه بالأخبار الكاملة الصحيحة والصادقة عما يجري، في حين أن مهمة الرقيب هي التحقيق من حماية حكومته حتى تبدو في صورة لائقة، فإن النتيجة غالباً ما تكون حربا خاصة يشنها المراسل على الرقيب.

يقول الرقيب مثلا "لا تستطيع أن ترسل هذا الخبر" ويضرب بقلمه على فقرات كاملة مما كتبه المراسل. أما إذا كان الخبر مرسلا بالبريد، فإن الرقيب ينتزع الجمل المعادية فتصبح ورقة الرسالة ممتلئة بالثقوب كأنها قطعة من الجبن السويسري.. ويسأل المراسل: "ولم لا؟" فيجيبه الرقيب "لأنها ضد التعليمات." وليست هناك حاجة إلى مزيد من الإيضاح، ولو كانت التعليمات لا معنى لها على الإطلاق، لأن الحكومة الأجنبية تضع القواعد التي تريدها، وما دام المراسل ضيفاً عليها، فالمطلوب منه أن يطيعها، فإذا خالف تعليمات الرقابة، وضبط بمخالفتها، أو حتى إذا كانت الحكومة لا تميل إلى أسلوبه في الكتابة، فقد يطرد من البلاد، وكثيراً ما طلب إلى المراسلين الأمريكيين أن يغادروا البلاد خلال أربع وعشرين ساعة أو يودعوا السجون، بل إن بعضهم أودع السجن فعلا.

ويحدث أحياناً أن يقف أحد المراسلين على خبر يرى أنه جدير بأن يخاطر في

سبيله بالطرد من البلاد، إذا استطاع أن يتحايل على الرقيب، ويرسل الخبر إلى العالم الخارجي، والرقابة تسير بعدة طرق، فحين يجتمع المراسلون بالرقباء لتبادل الرأي في طريقة العمل، يشرح المراسلون نوع الرقابة التي يعترضون عليها أكثر من غيرها.

وأكثر طرق الرقابة شيوعا هي أن يعرض المراسل الخبر مباشرة على الرقيب، فيقرأ الرقيب الخبر ويقص ما لا يريده منه، وما يتبقى بعد ذلك يختمه بخاتم من المطاط كتب عليه "معتمد من الرقيب"، ويسمح للمراسل من ثم أن يبرق بالخبر أو يرسله بالتليفون أو اللاسلكي، ويسمى هذا النوع بالرقابة المباشرة، وفيه يستطيع المراسل على الأقل أن يجادل الرقيب، وإن كان أمله في إقناع الرقيب ضعيفاً جداً.

وثمة طريقة أخرى هي أن الخبر الذي يريد المراسل إرساله يراقب في غرفة داخلية، ويرسل دون أن يراه مرة أخرى، بل إنه لا يعرف أي الأجزاء استبعدت منه، وغالباً ما تكون المادة التي تصل إلى وكالة أنبائه شيئاً لا معنى له على الإطلاق.

وفي بعض الدول الدكتاتورية، يقال للمراسلين: "كلا، ليست لدينا رقابة مطلقا، أرسلوا ما تريدون بملء حريتكم". ويفعل المراسل ذلك، فلا تمضي أيام على ذلك، حتى يستدعى أمام موظف حكومي، ينذره بالكف عن إرسال أخبار "معادية" وذلك إن مكتب التلغراف كان يرسل نسخا من جميع رسائله إلى الحكومة، ومثل هذه الحكومة يبدو أنها لا تفهم الهدف من تغطية الأخبار، بل لا تريد شيئا من ذلك في بلادها.

أما في الدول الديموقراطية، فليست هناك رقابة في وقت السلم، وهي تعلم أن الرقابة تحد من حرية الصحافة، وهو ما لا تريده تلك الدول، وليست هناك

رقابة في الولايات المتحدة كذلك، فحرية الصحافة من الحريات التي كفلها الدستور فلا توجد هذه الرقابة إلا بالنسبة للقوات الحربية خارج البلاد في زمن الحرب، ويجري ذلك للمحافظة على المعلومات الحيوية من أن تنشر، ولتجنب مساعدة العدو بها، وحتى في ذلك الوقت لا تقيد الدول الديموقراطية ما يقوله الشعب أو ما يكتبه عن المسائل السياسية، ما دام النقاد من غير الخونة المارقين عليها.

أما الدول الأخرى، كالاتحاد السوفييتي مثلا، فالرقابة فيها دائمة، والكلمات التي يقرؤها القارئ الأمريكي صادرة من موسكو لا بد قد مرت على الرقيب الشيوعي، ومعنى ذلك أنه لا شيء ينشر صادرا من موسكو دون أن تكون الحكومة السوفييتية قد أقرته، والحقيقة أن كل ما ينشر في الصحف المحلية في الدول الشيوعية يجب أن يحظى بموافقة الحكومة.

والمراسلون الأجانب يشحذون فكرهم بحثاً عن وسائل يتجنبون بها قلم الرقيب، وينجحون أحياناً بفضل ذكائهم ومهارتهم. حدث مرة في يولية سنة ١٩٣٦ أن وصلت إلى مكتب اليونيتدبريس بلندن من أحد مراسليها في مدريد برقية غريبة، لم يكن لها معنى ظاهر، مع أنها كانت تحمل توقيع مخبر موثوق به في مكتب الوكالة بإسبانيا، كانت الكلمات تحمل في نصها المكتوب خبراً عن والدة المراسل، وكيف أن مرضها المزمن يبدو أنه التهاب الحنجرة وأن العمة فلورا يجب أن تعود... الخ الخ. وكان نص الكلمات الأولى بالإنجليزية كما يلي:

MOTHERS EVERLASTINGLY LINGERING ILLNESS LIKELY LARYNGITIS AUNT FLORA OUGHT RETURN EVEN IF GOES NORTH LATER EQUALLY GOOD IF ONLY NIGHT…

وتحير رجال الوكالة في لندن عن سر إرسال المراسل لهذه البرقية العائلية، وإضاعة مال الوكالة ووقت رجالها بمثل هذه المسائل الشخصية، واستقر رأيهم

على أنها لا بد أن تكون رسالة شفرية (أي رمزية) ولكن كيف يمكن الاهتداء لمفتاح هذه الشفرة! وأخيراً قال أحدهم:

– اسمعوا، فلنأخذ أول حرف من كل كلمات البرقية ونضعها معا لعلنا نكون منها بضع كلمات

وبمجرد أن عثروا على هذا المفتاح لم يلبثوا أن حلوا الرسالة، وأبرقوا بها من لندن عاجلة إلى نيويورك كما يلي بالإنجليزية: **MILILLIA FOREIGN LEGION REVOLTED MARTIAL LAW DECLARED** وترجمتها بالعربية: "الفرقة الأجنبية في مليلا تمردت، والأحكام العرفية أعلنت".

هكذا عرف العالم لأول مرة أن الحرب الأهلية الإسبانية قد بدأت، وبدأ معها الصراع الذي كان مقدمة الحرب العالمية الثانية. إن الحكومة الجمهورية الإسبانية لم تشأ أن يعرف أحد أن الفرقة الأجنبية قد تمردت في مليلا بمراكش على قوادها، ولذلك أصدرت تعليماتها للرقباء بوقف أي إشارة للحالة. ولكن المراسل الأمريكي الذكي بمدريد راوغ الرقيب بأن صاغ الخبر في ثنايا برقية بدت في ظاهرها عائلية. وقد استمرت الحرب الأهلية ثلاث سنوات حتى شتاء سنة ١٩٣٩ وأخذت القوات المتمردة بقيادة الجنرال فرانكو تنتصر بالتدريج، وأصبحت نهاية الجمهورية الإسبانية قريبة التحقيق ولكن الرقابة القاسية حجبت أي إشارة عن حقيقة الموقف.

وكان مندوب اليونيتدبريس المكلف بتغطية أنباء الحكومة في برشلونة هو هارولد بيترز، وكان في بعض الأحيان يبلغ أخباره التي تجيزها الرقابة إلى لندن تليفونيا، ويقرؤها بنغمة واحدة لا تتغير لكي تسجل في مكتب الوكالة، وذات يوم راح يقرأ رسالة طويلة مملة حافلة بالبيانات الرسمية الحكومية، والبلاغات التي توحي بأن موقف الحكومة طيب جداً. وكل هذا كان قد أجازه الرقيب الذي كان

يستمع إلى الحديث التليفوني كالمعتاد للتأكد من أن بيترز يتابع قراءة النص المعتمد، واستمر بيترز في القراءة مدة عشر دقائق على أمل أن يتضايق الرقيب ويكف عن الإصغاء، وبغير أن يغير نغمة صوته دس في حديثه كلمات هي: هربت الشخصيات الكبيرة إلى فرنسا.. وقد قالها بكلمات أمريكية دارجة.

وكان لبيترز ما أراد، فإن هذا المزج بين اللغة الدارجة الأمريكية وبين رسالة وكالة الأنباء قد أخذ الرقيب على غفلة، إذ كانت الكلمات من نوع اللغة الإنجليزية التي لم يتعلمها الرقيب قط في المدرسة. فلما أعيدت قراءة التسجيل التليفوني في لندن التقطت آذان محرري المكتب الرسالة الخطيرة التي دسها بيترز في تلاوته، ومن لندن ونيويورك انطلقت برقية عاجلة تقول إن حكومة الجمهورية الإسبانية المهزومة قد فرت من عاصمتها برشلونة في اتجاه فرنسا، وانتهت الحرب الأهلية الإسبانية، وبرغم أشد أنواع الرقابة صرامة ودقة استطاع المراسلون الأمريكيون أن يروغوا من الرقباء في بداية الحرب وفي ختامها.

ولعل المراسلين الذين يقيمون في موسكو هم أشد المراسلين الأمريكيين عناء خارج أمريكا، فهم لا يستطيعون مقابلة زعماء الحكومة(*)، كما هو الشأن في واشنطن، أو حتى التحدث إلى "المصادر العليمة" كما هي الحال في لندن.

إن عليهم أن يراعوا أموراً كثيرة صغيرة، كالترتيب الذي يقف به رجال الدولة السوفييت في الاجتماعات العامة، فإذا تخلفت شخصية كبيرة عن حضور استعراض يوم أول مايو، أو أي حادث مهم آخر ثارت الشبهة في أنه أقصى عن عمله، وهذا سبب من أسباب احتفاظ المحررين بصور هؤلاء الزعماء الشيوعيين في الحفلات الرسمية، حتى يروا أي الزعماء قد تقدم مكانه قيد شعرة أو تأخر من

(*) يلاحظ أن هذا الكتاب وضع قبل ذوبان الجليد بين روساي والدول الغربية. (المترجم)

الصف، ويحتمل طبعا أن يكون الزعيم المتخلف مريضا مثلا في بيته بزكام شديد، ولكن ليست هناك طريقة يتأكد بها المراسلون من ذلك.

وقد يحدث مثلا أن تقام في الأسبوع التالي حفلة (باليه) خاصة يحضرها رئيس الوزراء السوفييتي مع أسرته الرسمية، فإذا تغيب الموظف موضوع التساؤل عن الحفلة، فهناك كل الأسباب التي تدعو إلى الاعتقاد بأنه لم يعد محل رضا، ومع ذلك لا يستطيع المراسل أن يكتب شيئا عن التطهير حتى يعلن ذلك رسميا، وقد يتأخر ذلك أسابيع. ثم إنه لا يستطيع أن يرسل القصة الحقيقية حتى لو أسعده الحظ بمعرفتها.

والرقيب هناك على استعداد دائم ليقول كلمة: "نييت" أي (لا) بالروسية، فإذا حاول أحد المراسلين الإفلات بشيء خلال مكالمة تليفونية مع بلد خارجي قطع الخط في الحال. ويحدث أحيانا أن تتاح للمراسل الأجنبي فرصة يتبادل فيها كلمات قليلة مع زعيم سوفييتي في حفل استقبال دبلوماسي، إن كان الزعيم في حالة نفسية تجعله على استعداد للكلام، ولكن عندما كان ستالين يقبض على زمام الحكم بيده الحديدية في أثناء الحرب العالمية الثانية كان ذلك نفسه مستحيلا، ورغم أن صور ستالين الضخمة كانت تبرز وجهه في كل مكان في الاتحاد السوفييتي كله، فإن ستالين قلما كان يرى في حفل عام إلا من بعيد في المناسبات الرسمية.

ولهذا كان رئيس التحرير في مكتب نيويورك إذا اقترح على مراسله مقابلة ستالين، كان المراسل يهز كتفيه في ضيق، فهذا مطلب لا أمل في تحقيقه. إن ستالين لم يكن يرضى أن يتحدث إلى جمع حاشد من المراسلين في مؤتمر صحفي، فما بالك إذا حاول واحد منهم أن يحصل على حديث صحفي خاص؟

وقد حدث أن أرسل مكتب نيويورك لوكالة أنباء الأسوشيتدبريس برقية إلى

مدير مكتب الوكالة بموسكو هنري كاسيدي تقول: "ما دام ستالين يرفض أن يتحدث إليك، نرجو أن تقدم عددا من الأسئلة، وانظر لعله يرد عليها".

ولم يكن عند كاسيدي أي أمل، ولكن كان عليه أن يطيع أمر نيويورك، فكتب خطابا إلى ستالين طلب فيه من الزعيم المطبق الشفتين أن يرد على ثلاثة أسئلة، ولم يبذل أية محاولة خاصة لتسليم الخطاب باليد إلى مكتب ستالين، إذ كان لا بد أن يمنى بالفشل إذا حاول اجتياز حرس الكرملين، فاكتفى بأن يلقي بالخطاب في أحد صناديق البريد.

وقبل منتصف الليلة التالية بقليل تلقى كاسيدي مكالمة "تليفونية" تطلب منه الذهاب فورا إلى مكتب الأخبار الخارجية "بالقوميسارية"، وكانت حالة الظلام سائدة بسبب الحرب، وكان رجال الشرطة يملأون الشوارع ليمنعوا مرور المشاة، إذ لم يكن يسمح لأحد بأن يسير في شوارع موسكو في الليل إلا بترخيص خاص.

ومشى كاسيدي في الظلام متخطيا عدة عمارات في طريقه إلى مكتب الصحافة، فأوقفته الشرطة في الطريق ليقدم ترخيصه، ولم يكن لديه أية فكرة عن سر استدعائه بهذا الأسلوب الغامض، كل ما كان يعرفه أنه قد يتلقى أوامر إبعاده من البلاد، فقد سبق للروس أن فعلوا ذلك مع مراسلين أمريكيين لغير سبب ظاهر، وبعد الإخطار بوقت قصير.

وفي مكتب الأخبار الخارجية دعي لمقابلة موظف قال له في إيجاز: "إن الوثيقة التي تنتظرها موجودة هنا". ومد كاسيدي يده، وكم كانت دهشته حين رأى نفسه يمسك خطابا موقعا عليه من ستالين. كان الخطاب باللغة الروسية على ورق أبيض ناصع خال من أي عنوان في أعلاه.

وفحص المراسل الورق بسرعة، فرأى والدهشة مستولية عليه، أن الخطاب

بدأ جافا بعبارة: "يا مستر كاسيدي" وقد كتب ستالين إجابات موجزة عن كل سؤال من الأسئلة الثلاثة.

لقد وجه ستالين في إجاباته نقداً عنيفاً للجهود الحربية التي يبذلها حلفاؤه الغربيون، وحثهم على فتح جهة ثانية في أوروبا، وكانت الجبهة الأولى هي التي هاجمت فيها جيوش هتلر القوات الروسية. إنه خبر مهم فعلا، فهذا زعيم دولة كبرى معادية للمحور يهاجم سياسة حلفائه علنا، ويرى أن يقدم هذا الهجوم في حديث صحفي على صورة سؤال وجواب، على نحو لم يسبق له مثيل. وزاد من أهمية الموضوع، أن ستالين لم يكن قد قال شيئا ما علنا منذ وقت طويل، وأن الدبلوماسيين الغربيين كانوا يحاولون عبثاً أن يعرفوا ما يدور في رأسه من تفكير.

وها هو ذا ما يفكر فيه، على "فرخ" من الورق في يد مراسل أجنبي، كل ما فعله أنه ألقى خطابا عاديا في صندوق بريد عادي فأصابت الرمية، وقد أسرع كاسيدي فكتب رسالة واعتمدها من الرقيب، لأنها رسالة مصدرة من ستالين نفسه، فلم يجرؤ أحد من الرقباء على رفض الإذن بمرورها.

ولما وصلت رسالة كاسيدي إلى العالم الحر، أثارت ضجة هائلة، فناقشها مجلس العموم في لندن، واستدعى السفير الأمريكي في روسيا بالطائرة إلى واشنطن لمناقشة مغزاها، وفي اليوم التالي نشرت الحديث جريدة "برافدا" وهي جريدة الحزب الشيوعي بموسكو، وأذاعته كل الجرائد الإقليمية في روسيا بأمر من الكرملين. وهكذا حصل كاسيدي على سبق صحفي عالمي لأن حسن حظه شاء له أن يقدم خطاباً في لحظة كان الزعيم السوفييتي في أثنائها في حالة تدفعه إلى اتهام حلفائه علناً وعلى رؤوس الأشهاد.

وبعد ذلك وجدت مصلحة البريد بموسكو أن صناديقها تمتليء بخطابات من مراسلين آخرين إلى ستالين، ولكن الصاعقة قلما تقع مرتين في مكان واحد،

فكانت الخطابات تؤخذ طبعاً إلى حيث كان كاسيدي يفترض أن رسالته ستؤخذ إلى سلة المهملات في الكرملين.

والرقابة في موسكو قاسية — فيما عدا حالات نادرة كزيارة دبلوماسية لأحد كبار الرسميين الأمريكيين – حتى إن كثيراً من الأخبار الروسية تغطي في لندن حيث تلتقط من البيانات الرسمية التي يذيعها راديو موسكو، وذلك على محطات الاستماع على الموجة القصيرة الخاصة بوكالات الأنباء. ولما كانت معظم أخبار موسكو لا تعدو على أي حال أن تكون خلاصة للبيانات الرسمية، مع قليل جداً من تعليقات المراسلين شرحا لما وراء الأخبار، فقد كانت هذه الرسائل المنقولة عن الإذاعة وسيلة لتغطية معظم الأخبار بوجه عام تغطية معقولة.

في كل ليلة من ليالي الحر بالعالمية الثانية كان راديو موسكو يذيع البلاغ الحربي للقيادة السوفيتية العليا، وكان المترجمون عن الروسية في مكاتب وكالات الأنباء بلندن يدونون البلاغات جملة جملة، وهي تذاع على الهواء ثم ينقلونها بالتلغراف الكاتب "التليبرنتر" إلى مكاتب الصحف في (فليت ستريت) شارع الصحافة هناك، وهذه بدورها ترسل زبدتها إلى نيويورك بالتلغراف (المستعجل) المضاعف الأجر.

وهكذا كانت جرائد أمريكا تنشر آخر التحقيقات عن جبهة القتال السوفييتية دون أن تتلقى كلمة واحدة من المراسلين الأمريكيين في موسكو مباشرة، إذ أن رسائلهم بسبب تعطيل الرقابة لها من ناحية، وبطء توصيلها من ناحية أخرى، لا تصل إلى نيويورك إلا بعد عدة ساعات من نشر البلاغات الرسمية في الصحف الأمريكية.

وكان المراسلون يعلقون خرائط كبيرة لروسيا على جدران وكالات أنبائهم لمعرفة المدن المغمورة التي تذكر في النشرات الحربية، فمع أن روسيا كانت من

الناحية الفنية شريكة للولايات المتحدة، إلا أنها لم تكن تسمح للمراسلين الأمريكيين بالذهاب إلى جبهة القتال فيها، فكانت كل أخبارهم تعتمد على التقاط إذاعة موسكو بدقة وسرعة. ورغم أن المترجمين عن الروسية من محطات الاستماع بلندن لم تكن تذكر أسماؤهم قط على الأخبار التي يلتقطونها، فإن عملهم جدير بكل تقدير، لما بذلوا من جهد في وقوف الولايات المتحدة على المجهود الحربي الروسي.

وإلى جانب الرقابة كان المراسلون الأمريكيون يعانون من مشكلة أخرى هي المواصلات، فالمراسل في خارج أمريكا لا يسأل نفسه فقط: "كيف أحصل على هذا الخبر قبل منافسي؟" بل يسأل نفسه أيضاً: "كيف أرسل الخبر إلى المكتب الرئيسي للوكالة قبلهم؟".

إن جزءاً كبيراً من عمل المراسل هو أن يعرف كيف تعمل وسائل المواصلات السلكية واللاسلكية في الخارج حتى يستطيع إرسال أخباره إلى نيويورك بأسرع طريقة ممكنة، وكثير من قفزات "خبطات" السبق الصحفي المشهورة يرجع إلى أن المخبر أرسل أخباره بطريق أسرع من الطريق الذي اتبعه منافسوه.

ومنذ الحرب العالمية الثانية تستخدم وكالات الأنباء توصيلات إذاعية مقفلة بالإيجار من مكاتبها الرئيسية مباشرة إلى نيويورك، ومع ذلك فإنه حين تكون هناك أحداث كبرى في بلد ناء قصي، يهرع إليه المراسلون، فإن مشكلة البحث عن طرق مواصلات سريعة إلى لندن ونيويورك لا تزال في مثل أهميتها في الأيام السالفة التي بدأ فيها عمل المراسل الأجنبي.

ومن الحيل التي يلجأ إليها المراسلون الأجانب الخبر الواحد بنصه من عدة طرق، كما فعل ويب ميلز من إثيوبيا، ويحدث أحياناً أن يكون أطول طريق حول العالم هو أسرع طريق في توصيل الرسائل التلغرافية، وقد حققت إحدى وكالات

الأنباء انتصارات صحفية مهمة على منافساتها من لندن في الحرب العالمية الأولى لأن مديرها تبين أن خط نيويورك– لندن كان غالباً ما يزدحم بأشياء أخرى تعطل إرسال الأخبار، فكان إذا حدث خبر مهم أرسله عاجلا بأجر مضاعف من لندن إلى بيونس أيرس التي تتابع إرساله على الساحل الغربي لأمريكا الجنوبية إلى نيويورك، ومرة بعد مرة ظهر أن الرسالة عن هذا الطريق كانت تصل إلى نيويورك قبل الرسالة التي ترسل من لندن إلى نيويورك مباشرة. وإن كان ذلك الطريق يبلغ ثلاثة أمثال الطريق المباشر، لأنه لم تكن هناك حركة ثقيلة على خط أمريكا الجنوبية، ولكن الكلمة الواحدة كانت تكلف أربعة دولارات.

ونظراً لارتفاع أجور البرقيات وضع المراسلون لغة مختصرة لهم سموها "اللغة البرقية" (Cablese) ومعناها حذف ما لا لزوم له من الكلمات وربط بعضها ببعض ما أمكن، فبدلا من أن يقال: "إنني ذاهب إلى المدينة" – وهي جملة من أربع كلمات – يقال: "أتجه للمدينة"، وهي كلمتان فقط، وحين تصل البرقية إلى نيويورك يصوغها المحررون في المكتب بلغة إنجليزية جيدة قبل إذاعتها على الأسلاك.

واستخدام اللغة البرقية يوفر كلمات أيضاً باستخدام كلمات لاتينية، فإذا أرسلت طوكيو رسالة إلى نيويورك لتذاع منها إلى بيونس أيرس مثلا، بدأت بهذه الكلمة (probaires) وعند حلها تصبح (pro) مكان (for) و(baries) اختصار لبيونس أيرس، فهي كلمة واحدة بثلاث كلمات.

وفيما يلي النص الإنجليزي الكامل لنموذج برقية فعلية باللغة البرقة المختزلة، وهي مقتبسة من رسالة صحفية حول مؤتمر دبلوماسي في أوروبا، صيغة بأسلوب الاختصار البرقي توفيرا لأجرها وهذا نصها:

GENEVA GROMYKO SIDETRACKED WESTERN BID PROGUARANTEE FREE ACCESS WEST BERLINWARD

STOP THREE WESTERN MINISTERS IN NINETY MINUTE SECRET SESSION ASKED PROGUARANTEE AS TEST SOVWILLINGNESS REACH COMPROMISE AGREEMENT BERLIN STOP EISENHOWER WARNED HE WOULD REFUSE GO SUMMITWARD UNLESS SOVIETS WITHDREW THREAT TO ISOLATED CITY AND ITS EXPOSED SUPPLY LINES.

وعندما تفك الاختزالات في هذه البرقية تصبح كما يلي:

GENEVA Soviet Foreign Minister Andrei Gromyko sidetracked yesterday a Western bid for a guarantee of free access to West Berlin.

The three Western ministers in a 90- minute secret session asked for the guarantee as a test of soviet willingness to reach a compromiee agreement in the Berlin crisis.

President Eisenhower warned that he would refuse to go to a summit meeting unless the Soviets withdrew their threat to the isolated city and its exposed supply lines.

وهكذا تحولت برقية مختزلة في ٤٨ كلمة إلى رسالة مستفيضة من ٧٧ كلمة مع توفير بعض الدولارات.

وبسبب تعطيل الرقابة وبطء المواصلات تحرص الأقسام بمكاتب وكالات الأنباء في نيويورك على أن تعرف بالدقة الوقت الذي قدم فيه مندوبها رسالة لتبليغها إليها، ولكل وكالة، رموزها الخاصة بها في التوقيت على أساس ٢٤ ساعة، يضع بها المراسل أول كلمة في برقيته، فيكتب مراسل اليونيتدبريس مثلا ٢٣١٥١، ومعنى ذلك أن الرسالة سجلت في اليوم الثالث والعشرين من الشهر في الساعة الخامسة عشرة من اليوم، وفي الدقائق العشر الأولى من الساعة، ولوكالة الأسوشيتدبريس نظام يختلف قليلا عن ذلك.

وعندما تصل رسالة من بلد خاضع لرقابة شديدة، يراجع محرر بمكتب نيويورك وقت التسليم على وقت الإرسال، وقد يكشف ذلك أحيانا عن تأخير لعدة سناعات، وقد يكون ليوم كامل، وربما كان لهذا معناه عند حدوث تطورات

كبيرة في الأخبار، ولهذا يكتب المحرر المراجع عبارة "تأخر بسبب الرقابة". ومن السهولة بمكان أن نتبين أن المراسلين بكفاحهم ضد الرقابة وضد مشكلة المواصلات في الوقت نفسه يقع عليهم عبء كبير.

في أثناء حملة شمال إفريقيا في الحرب العالمية الثانية مثلا أقام الجنرال أيزنهاور مركز القيادة العليا للقوات المتحالفة في مدينة الجزائر، ولأسابيع طويلة ظلت المؤتمرات الصحفية اليومية، عن سير القتال تعقد في فندق سان جورج، وهو فندق سياحي مزخرف على طراز القصور المراكشية، يقع على جبل يطل على ميناء الجزائر، ولسبب لم يتبينه أحد قط جعل مركز الرقابة الحربية في فندق صغير على بعد ميلين من الميناء، وكان الطريق بين الفندقين كثير المنحنيات والمنعطفات، ويمتد مسافة عبر الميدان العام الرئيسي الذي يتنزه فيه الجزائريون دون اعتبار للسيارات المارة في الطريق.

وفي كل يوم كان المتحدث الحربي يعطى آخر أخبار العمليات في الجبهة، كما كان الجنرال أيزنهاور بنفسه يدعو المراسلين أحيانا إلى مؤتمر صحفي يعقده بمكتبه، وبعد كل اجتماع كان المراسلون المتنافسون يجلسون أمام آلات الكتابة بفندق سان جورج ليكتبوا النشرات و"الملحقات" عن أهم تطورات الأحداث في الحرب، ثم ينطلقون بسرعة جنونية إلى مكتب الرقيب في سياراتهم الفرنسية الصغيرة؛ وما إن تعتمد رسائلهم حتى يتسلقوا سياراتهم مرة أخرى ليعودوا إلى فندق سان جورج فوق الجبل، وكان مكتب سلاح الإشارة الحربي الذي ترسل منه الرسائل إلى الولايات المتحدة، لا يبعد أكثر من مائة ياردة عن مكان المؤتمر الصحفي، ومع ذلك كان لا بد من أن يقوموا برحلة الأميال الأربعة المجنونة مع كل خبر قبل أن يرسلوه.

والتنافس شديد دائما بين الأسوشيتدبريس واليونيتدبريس، وكانت كل من

الوكالتين ترى أن سبقها بأخبار جبهة القتال مسألة بالغة الحيوية، فكان مراسلو كل من الوكالتين يحاولون أن يجدوا طرقاً يوفرون بها ثواني قليلة من كل شوط "مشوار" إلى هنا وإلى هناك، فكانت إحدى الوكالات يصل رجالها أحياناً إلى مكتب سلاح الإشارة قبل رجال الوكالة الأخرى. وذات يوم تلقى مراسلو اليونيتدبريس برقيات حماسية من مكتب نيويورك تهنئهم لأنهم سبقوا الأسوشيتدبريس بخمس عشرة دقيقة، في خبر مهم عن الموقف في جبهة القتال، واستطاعت بذلك أخبار اليونيتدبريس أن تظهر بعناوين كبيرة في طول البلاد وعرضها، ولكن رجال اليونيتدبريس لم يصارحوا مكتب نيويورك قط بأن المسألة كانت مجرد حظ لا نتيجة سرعة ولا تخطيط. أما ما حدث فهو كما يأتي: استأجر مراسلو الأسوشيتدبريس سائقا جزائريا لسيارتهم ظنا منهم أن وقوف سائق خارج مكتب الرقيب مع ترك محرك السيارة دائرا قد يكسبهم بضع ثوان في العودة إلى الجبل.

ولما أسرع رجال الوكالتين ينزلون السلم من مكتب الرقيب في ذلك اليوم جروا إلى سياراتهم، ومضى رجال اليونيتدبريس بسيارتهم الستروين إلى الجبل وهم يقودونها بأنفسهم، وفيما هم يمرون بسيارة الأسوشيتدبريس في الطريق رأوا منافسيهم، واقفين وهم يتميزون غيظا عند منحنى الشارع، ووسائلهم في أيديهم، ذلك أن السائق الجزائري كان قد انصرف لتناول فنجان من القهوة ومفاتيح السيارة في جيبه. هكذا توقفت الوكالة الكبيرة للأنباء عن تغطية أخبار الحرب في شمال إفريقيا توقفاً تاماً، على حين كان مراسلوها يذرعون المقاهي والبارات في غضب وحنق بحثا عن سائقهم في حي "القصبة".

كذبوا الخبر

حين ترتكب إحدى وكالات الأنباء خطأ، فإن هذا الخطأ يمكن أن يتحول إلى فضيحة، فالخطأ لا ينشر في جريدة واحدة، بل في مئات الجرائد، ويذاع من عشرات محطات الإذاعة والتليفزيون.

على أن هذا لا يقع كثيراً، لأن وكالات الأنباء منظمات ذات كفاية رائعة في جميع الأخبار، وفي كل يوم يذيع محرروها مئات الألوف من الكلمات التي ليس فيها إلا أخطاء قليلة جداً، ومع ذلك فقد يحدث خطأ ما، فتوزع أخبار فيها خطأ شنيع، والتوزيع سريع إلى درجة تجعل سحب الخطأ مستحيلا على الإطلاق، فيكاد يكون مؤكدا أن الخبر الخاطئ قد نشر في الصحف، أو أذيع بالراديو في مكان ما قبل تداركه.

وهناك خبران خاطئان خطأ شنيعاً من هذا القبيل، لا يكاد يذكرهما رجال وكالات الأنباء حتى تمسهم رعدة خفيفة لمجرد تذكرهما.

أولهما: خبر الهدنة الزائفة الذي أذاعته اليونيتدبريس، فأثار مظاهرات ابتهاج شعبية في أواخر الحرب العالمية الأولى، قبل أن ينتهي الصراع الجبار فعلا. والثاني: كان حكما خاطئا وزعته الأسوشيتدبريس في المحاكمة المثيرة الخاصة بخطف ابن الطيار لندبرج وقتله، وهي قصة تتبعتها مختلف بلاد العالم بشغف شديد في السنوات الثلاثينية. وكان سبب حدوث الخطأين مزيجا من عدة ظروف غريبة، بالإضافة إلى الرغبة الجامحة عند كل من الوكالتين المتنافستين في السبق بالأخبار.

كان روي هوارد المدير العام ليونيتدبريس موجودا بباريس في الأيام الأولى

من نوفمبر سنة ١٩١٨ حين أجبرت جيوش الحلفاء بعد حرب دامية طوال أربع سنوات، جيوش القيصر على التقهقر، وكان الأمل من ثم في نهاية الحرب كبيرا.

كان هذا هو الشأن في باريس حين ركب هوارد القطار إلى برست، الميناء الفرنسي على ساحل الأطلنطي، الذي كانت تبحر منه سفن النقل الحربية إلى الولايات المتحدة، وكان دوارد قد زار العاصمة الفرنسية ليشرف على تغطية أخبار الحرب لليونيتدبريس، واتخذ طريقه إلى نيويورك ليشرف على إذاعة أخبار نهاية الحرب من المكتب الرئيسي للوكالة.

وفي ميناء برست، في صباح السابع من نوفمبر قابله ضابط من المخابرات العسكرية الأمريكية، كانت لديه تعليمات بمرافقة الصحفي الكبير إلى مركز القيادة، فإذا هذا الضابط يقول لهوارد: أخبار طيبة، أليس كذلك؟.. فسأله هوارد: عن أي الأخبار تعني؟.. فقال الضابط: لقد وقعت الهدنة.

وأثار الخبر انتباه المراسل، فلم يكن مثل هذا الخبر معروفا في باريس حين غادرها بالقطار منذ ساعات قلائل، وقد تذكر أن برست كانت نقطة إرسال البرقيات إلى نيويورك، فكل الأخبار التي ترسل من باريس إلى نيويورك كانت تأتي على خطوط التلغراف الفرنسية الأرضية البطيئة وغير المأمونة إلى برست، لنقلها لاسلكيا، فإذا حصل هوارد على ما يؤكد الخبر كان هناك احتمال في أن يسبق أخبار باريس إلى نيويورك بأن يرسل الخبر من برست مباشرة.

وراح هوارد يتنقل من موظف إلى موظف في برست بحثا عما يؤكد خبر توقيع الهدنة، وحوالي الساعة الرابعة بعد الظهر، دخل مكتب الأميرال هنري ولسن قائد عام القوات البحرية الأمريكية في فرنسا، فوجد الأميرال متهللا وهو يمسك في يده بيانا ثم يقول:

– لقد وقعت الهدنة.

فسأله هوارد: أهذا خبر رسمي؟

فقال الأميرال: أستطيع أن أقول إنه رسمي؛ فقد تلقيت الخبر على وصلتي الخاصة من السفارة الأمريكية بباريس.

وفي الميدان العام الذي يجاور المكتب كانت فرقة موسيقية تلعب أدوارا لجماعة من البحارة والفرنسيين، وفي أثناء حديث الأميرال مع هوارد، أرسل الأميرال نسخة من إعلان الهدنة إلى الجمهور الموجود في الميدان، ولم تمض دقائق حتى سمع الناس في مكتب البحرية عاصفة مدوية من هتاف الجمهور، وانطلقت الفرقة الموسيقية تعزف دورا يقول: "ستكون لنا ليلة ممتعة بالمدينة الليلة".

وكتب هوارد نص الرسالة الواردة من باريس إلى الأميرال، ومضى بصحبة ياور الأميرال مخترقا صفوف الجمهور المحتفل بالمناسبة ليرسل برقية من مكتب الأميرالية، وقدر طبعا أن الهدنة لا بد قد أعلنت في باريس في ذلك الوقت، وأن أخبارها ستذاع من هناك، ولكنه قرر أن يتبع ما يعتقد رجال وكالات الأنباء أنه احتياط طيب، فيرسل الخبر إلى نيويورك على أي حال، فقد تسمح ظروف الإرسال عبر الأطلنطي بأن تصل برقيته قبل غيرها، ويعرف هذا الاحتياط بأنه "حماية" للخبر.

وكتب برقيته بنفس كلمات رسالة الأميرال من باريس تقريبا، وهو يحلم بأن هذه الكلمات القليلة ستثير ابتهاجا وحماسة في أرجاء الولايات المتحدة.

يونيبريس

نيويورك

عاجل– وقعت الهدنة بين الحلفاء وألمانيا في الحادية عشرة صباح اليوم، وتوقف القتال في الثانية بعد الظهر، واستولى الأمريكيون على سيدان صباح اليوم.

هوارد

سيمز

ويونيبريس: هو العنوان التلغرافي لليونيتدبريس، وسيمز: هو لقب مدير الوكالة في باريس، وكانت التعليمات تقضي بإضافة لقبه إلى كل البرقيات المرسلة إلى نيويورك لتحصيل أجرها هناك.

وهال هذا المراسل أنه لم يكن هناك رقباء في ذلك الوقت في مكتب التلغراف ليختموا له البرقية بالخاتم الرسمي، فقد ذهب الرقباء جميعا إلى الميدان العام ليشتركوا في الابتهاج الصاخب بإعلان الهدنة، ولهذا دخل "الياور" إلى الحجرة الخلفية التي ترسل منها التلغرافات إلى نيويورك، ووقف إلى جوار العامل حتى انتهى من إرسال برقية هوارد العاجلة إلى نيويورك.

وكان عامل التلغراف قد أرسل مئات من برقيات اليونيتدبريس بتوقيع سيمز، وكان يعرف أن سيمز بباريس، ولذلك وضع تلقائيا كلمة باريس في أول البرقية، ظنا منه أن الخبر أصلا منقول من العاصمة الفرنسية، ولذلك حين وصلت برقية هوارد العاجلة إلى مكتب اليونيتدبريس بنيويورك، اعتبرت صادرة من باريس، ووزع الخبر على الصحف على أنه وارد من باريس.

وملأ الخبر أسماع مدينة نيويورك قبل الظهر تماما فطبعة جرائد المساء ملاحق ضخمة، وفي برودواي في ساعة الغداء تجمعت جماهير غفيرة تحتفل بالمناسبة، ومن الطبقات العليا بالعمارات راح الناس يلقون الورق، وأشرطة "التكرز" وأدلة

التليفون الممزقة، ومحتويات سلال المهملات، فملأ ذلك كله الجو بما يشبه "البرد" وسارت الطوابير الاستعراضية المرتجلة في الشوارع تموج ساعات طويلة، في طول البلاد وعرضها، حيثما كانت جريدة من الجرائد التي تستقبل أخبار اليونيتدبريس تنشر النبأ العظيم، كانت هذه المظاهرات الصاخبة المبتهجة تتكرر، ووزعت الصحف آلافا وآلافا من ملاحقها، فاشتراها الناس بتحمس شديد.

إلا أن خبر الهدنة وقع في مكان ما وقع الصاعقة، فقد رأى رجال الأسوشيتدبريس أنفسهم يواجهون الحقيقة المرة الرهيبة، وهي أنهم فيما يبدو قد خسروا قصب السبق في أهم خبر من أخبار القرن العشرين، فراحوا يطلون بوجوه متجهمة من النوافذ إلى الاحتفالات الضخمة التي تملأ الشوارع، وفي أيديهم أكداس من الرسائل التي تدفقت عليهم من الصحف التي تملكها الوكالة، وقد جاءت من شتى أنحاء البلاد تسألهم:

"أذاعت اليونيتدبريس خبر الهدنة، فأين أخبارنا؟.. ماذا جرى للأسوشيتدبريس؟ أرسلوا أخبار الهدنة فورا، إن الصحيفة المنافسة تبيع آلافا من الأعداد، ونحن لا نبيع شيئا".

وراح رجال الأسوشيتدبريس يراجعون كل ما صدر يخطر بالبال، ومضت ساعة بعد ساعة في انتظار أن يدق التلغراف كلمة عن الهدنة من مكاتب الأسوشيتدبريس في الخارج، ولكن شيئا لا يصل، ولم تسفر المكالمات التليفونية مع وكيل وزارة الخارجية عن أية نتيجة، ولم تجد الأسوشيتدبريس أية معلومات يمكنها أن تروي شيئا عن الخبر الذي اكتسحت به اليونيتدبريس مختلف أرجاء البلاد.

واشتد التوتر في مكتب نيويورك، ووقف المديرون جماعات يسيطر عليها القلق، فلم يحدث قط أن هزمت الأسوشيتدبريس مثل هذه الهزيمة النكراء، وأخيرا

وبعد عدة ساعات عديدة عصيبة أرسلت الأسوشيتدبريس نشرة على كل أسلاكها تقول:

واشنطن في ٧ من نوفمبر– أذيع رسميا من وزارة الخارجية في الساعة الثانية والربع مساء اليوم أن الألمان لم يوقعوا شروط الهدنة.

ولكن هذا التكذيب الرسمي لم يكسر حدة التحمس الذي انطلق في كل مكان، وإن كان قد هدأ الحال قليلا في بعض المدن.

وفي نفس الوقت في برست أرسل الأميرال ولسن رسالة إلى هوارد الذي كان يتناول عشاءه في مطعم عام، بأنه تلقى رسالة أخرى من باريس تقول إن خبر الهدنة ليس رسميا على كل حال، وإن أخبار الهدنة على حد قوله "لا يمكن تأييدها". وتضايق هوارد من هذا التغيير في العبارات، فأرسل برقية عاجلة إلى نيويورك يبلغها هذا التطور الجديد، وكانت قد مضت ساعتان، غير أن اليونيتدبريس استطاعت على الأقل أن تصلح الخطأ قبل أن يحدث ضرر كبير.

على أن خطأ آخر حدث عند هذه النقطة؛ فقد تضايق كبار الرسميين في واشنطن من خبر الهدنة الوارد من باريس لما عرفوا أن الهدنة لم توقع بعد، ولهذا أرسلوا أمراً إلى الرقيب الحربي في نيويورك بأن يحول إليهم أية برقية تصل من هوارد بدلا من أن يسلموها لمكتب اليونيتدبريس كما هو الواجب، ومن ثم لم يتلق مكتب اليونيتدبريس التصحيح المرسل من هوارد إلا في اليوم التالي.

وعند هذا الحد كان رجال الوكالتين المتنافستين في ورطة شديدة: فالأسوشيتدبريس كانت موضع استياء عملائها من الصحف، لأنها لم توافها بأية أنباء عن الهدنة بالرغم من أنها أرسلت تكذيبا رسميا من واشنطن لخبر توقيع الهدنة. أما اليونيتدبريس فقد أذاعت خبر الهدنة المثير، ونشر في جميع أنحاء

البلاد، ولكنهم في مواجهة هذه التكذيبات الرسمية من واشنطن، تأكدوا أن خطأ خطيراً قد حدث، ومع ذلك فإن خبر السلام قد جاء من مدير الشركة العام، وهو رجل خبير ومراسل مسئول لا يمكن أن يبعث برسالة ما عن علم بزيفها. ثم إنه لم تصلهم منه كلمة تصحح الخبر الأصلي، ومن هنا تمسكوا بالخبر، وكان التوتر شديدا بالنسبة لكل رجال الوكالتين في تلك الساعات الأربع والعشرين.

أما بالنسبة للشعب فقد كانت هذه رغم ذلك فترة احتفال ومرح، فترة أربع وعشرين ساعة من الابتهاج والاترياح، لأن ما سموه "الحرب في سبيل إنقاذ الديمقراطية" قد وضعت أوزارها.

وفي اليوم التالي –٨ من نوفمبر– بدأ الناس في بطء وتردد يدركون الحقيقة، وهي أنهم احتفلوا بنهاية حرب ما زالت مشتعلة؛ فالمدافع لا تزال تطلق نيرانها، والجنود ما زالوا يقتلون في خنادق فرنسا الموحلة. أما الهدنة الصحيحة فلم توقع إلا بعد ذلك بثلاثة أيام، في ذلك اليوم التاريخي، الحادي عشر من نوفمبر، وهو اليوم الذي لا تزال تقام فيه دقيقة صمت وصلاة في الساعة الحادية عشرة من الصباح كل عام. ولما وقعت الهدنة الحقيقية كان الاحتفال أقل تحمساً من الاحتفال بالهدنة التي أذاع خبرها روي هوارد ببرقيته السابقة على ميعادها، والتي تكونت من خمس عشرة كلمة.

كيف جاء خبر الهدنة الزائف؟ لقد قضى هوارد وقتاً طويلا، وبذل جهداً شاقاً للوقوف على سر هذا الخطأ، لقد تصرف هو كمراسل أجنبي خبير بمثل هذه الظروف، ومع ذلك وجد الناس يتهمونه صراحة بأنه مزيف للأخبار.

والواقع أن هوارد كان ضحية الظروف، ضحية خليط من الخطأ في النقل ووجود معلومات رسمية زائفة بطريقة غامضة لم يوضح مصدرها توضيحاً كافياً قط.

وقد أذاع الأميرال ولسن بياناً ذكر فيه أنه هو الذي أعطى هوارد الخبر "الرسمي" عن الهدنة بحسن نية، وأن هوارد أبلغ الخبر إلى نيويورك بحسن نية كذلك، وأن الإعلان الذي تلقاه الأميرال إنما جاء إليه من الملحق البحري بالسفارة الأمريكية في باريس، وأن السفارة بدورها قد تلقته في حديث تليفوني على خطها الخاص من وزارة الخارجية الفرنسية.

وبعد ذلك بسنوات، تحدث فيها هوارد مع المتصلين بالموضوع، وصل هوارد إلى الحقيقة التالية وهي أن "الرسمي الفرنسي" المزعوم الذي نقل خبر الهدنة تليفونياً إلى السفارة الأمريكية، كان في الواقع جاسوساً ألمانياً راقب الرقم الخاص بالسفارة، ونشر الخبر الزائف لأسباب تتعلق بالدعاية.

ومهما يكن من أمر هذه الأسباب، فإن خبراً زائفاً من خمس عشرة كلمة أرسل عبر الأطلنطي، كان سبباً في قيام موجة من الاحتفالات التي لا تنسى في تاريخ أمريكا.

***

والغريب أن نهاية الحرب العالمية الثانية قد أدت إلى ضجة أخرى من وجهة النظر الصحفية، وكانت الأسوشيتد بريس في هذه المرة هي مبعث الجدل. وما حدث لا يمكن أن يسمى خطأً لأن مراسل الأسوشيتدبريس قد ارتكبه عن عمد؛ ولأن ما أذاعه كان صحيحاً، وقد كان مدار الجدل هو ما إذا كان من حقه أن يذيع خبرا ينقض بإذاعته عهدا بينه وبين جيش الولايات المتحدة، وبينه وبين منافسيه في الوكالات الأخرى.

ففي أواخر ربيع سنة ١٩٤٥ كانت جيوش الحلفاء تخترق ألمانيا من الغرب، والقوات الروسية تحدق بها من الشرق، وأدرك الناس جميعا أن الحرب قد قاربت

النهاية، وذات يوم أبلغ سبعة عشر مراسلا في مركز قيادة الحلفاء بباريس أنهم سيؤخذون في مهمة "خارج المدينة".

وبعد أن حملتهم طائراتهم (س– ٤٧) أخبرهم المندوب الصحفي للجنرال أيزنهاور أنهم في طريقهم لحضور أهم لحظة في الحرب – لحظة تسليم ألمانيا. وذكر لهم أن هناك اتفاقا بين رؤساء حكومات الحلفاء على أن أخبارهم لن تذاع قبل ساعة معينة بعد يوم، وكان المراسلون جميعا خاضعين للنظام العسكري فلم يعترض أحد منهم على الأمر.

ولما وصل المراسلون إلى مدينة (رامس) الفرنسية، رأوا جماعة من القواد يمثلون ألمانيا المهزومة، وهم يوقعون شروط التسليم، وبسرعة كتبوا مئات الكلمات عن هذا المشهد التاريخي، فلما هبطت بهم طائراتهم في باريس تسابقوا بسيارات الجيب من المطار إلى مكاتب وكالات الأنباء، يحاول كل منهم أن يبلغ أخباره في اللحظة التي تتوقف فيها الرقابة، وقد توسلوا واستعطفوا لإطلاق سراح أخبارهم فوراً، ولكن توسلاتهم رفضت كلها.

واستولت موجة من الذهول والغضب العاصف على ستة عشر مراسلا من السبعة عشر بعد ذلك بساعات قليلة، فقد وصلت إليهم برقيات غاضبة صاخبة بالراديو من المكاتب الرئيسية لوكالاتهم تقول: إن الأسوشيتدبريس تذيع خبر التسليم في (رامس) وإن رواية الأسوشيتدبريس سببت نشر ملاحق للصحف في العالم كله، وإن مذيعي الراديو يعلنون الأخبار في لهجة الابتهاج والفرح، وإن الاحتفالات بدأت في عشرات المدن، ورغم ذلك لم تصل كلمة واحدة عن هذا الخبر من باريس إلا لوكالة الأسوشيتدبريس.. فماذا حدث؟

دلت التحريات على أن إدوارد كنيدي مراسل الأسوشيتدبريس في الرحلة إلى رامس قرر بعد عودته إلى باريس أن يتجاهل عهده بالاحتفاظ بالسرية، وهو

العهد الذي قطعه على نفسه للقيادة المتحالفة العليا، وكان من رأيه أنه بانتهاء الحرب الأوروبية ينتهي السبب في وجود الرقابة. وقد استطاع أن يحصل على مكالمة تليفونية بلا رقابة مع مكتب الأسوشيتدبريس بلندن وروى له خبر الاستسلام، واعتقد الرقباء في لندن أن الخبر قد روقب واعتمده الرقيب في باريس، ولهذا أذنو بتبليغه إلى نيويورك.

وقد راحت الأسوشيتدبريس في أول الأمر تفاخر بسبقها العالمي في إذاعة أخطر نبأ حربي، ولكن بعد أن ظهرت كل الحقائفق، وبعد أن أذاع الجنرال أيزنهاور بيانا يتهم فيه الوكالة بنقض العهد ويندد بما حدث، أوقفت الأسوشيتدبريس كنيدي عن العمل، واعتذرت رسميا عن سلوكه هذا المسلك.

حربان عالميتان، وهدنتان، ومعركتان صحفيتان، ومع ذلك، بعد الحادث بسنوات، لا يزال المراسلون الذين حضروا التسليم في رامس عاجزين عن التحدث حول قصة هذا الخبر دون أن يستولي عليهم الغضب.

***

ولعل الفترة التي أعقبت الخبر الزائف عن الهدنة كانت أشق فترة وأتعسها في تاريخ اليونيتدبريس، كما أن منافستها الأسوشيتدبريس مرت بمرحلة عصيبة كانت تتمنى لو لم تمر بها قط، وهي مرحلة الحكم الخاطئ في إحدى المحاكمات التاريخية التي اشتهر بها القرن العشرون.

كان طيران تشارلس أ. لندبرج وحده عبر الأطلنطي من نيويورك إلى باريس في طائرة صغيرة ذات محرك واحد في سنة ١٩٢٧ من أهم قصص المغامرات المثيرة في تلك السنوات العشرينية، وقد أصبح لندبرج بفضلها بطلا عالميا.

وفي ليلة أول مارس سنة ١٩٣٢ فوجئ العالم بخبر يفيد أن طفل الطيار

الشهير قد خطف، وأنه أخذ من المهد في حجرته بمزرعة لندبرج في نيوجرسي، واستمر البحث عدة أيام عن الطفل المخطوف الذي لم يتجاوز عمره تسعة عشر شهرا، وعن خاطفه، وكانت تفاصيل البحث هي أهم الأخبار التي يتلهف عليها الجمهور، فكلفت الأسوشيتدبريس ثمانية من مندوبيها وثلاثة من مصوريها بالبقاء في مدينة هوبويل الصغيرة بنيوجرسي، على مقربة من بيت لندبرج.

وانتشرت الشائعات والأخبار الزائفة والاستنتاجات الخاطئة، فقال أحدها: إن الطفل قد أخذ في قارب من ماساشوستس، فقام لندبرج بالبحث الدقيق في المنطقة كلها بالطائرة دون جدوى، وفي ليلة من ليالي أوائل أبريل ترك الطيار الشهير فدية قدرها ٥٠.٠٠٠ دولارا في مقبرة في حي برونكس بمدينة نيويورك بناء على تعليمات وصلت إليه في رسالة من الخاطف، وكانت هذه التطورات تمثل العناوين الرئيسية واحداً بعد الآخر. على أن الخبر اليقين لم يظهر إلا بعد ذلك بعشرة أسابيع، فقد عرف الصحفيون من مركز شرطة الولاية أن الطفل وجد ميتا في غابة على بعد خمسة أميال فقط من بيت لندبرج. من الذي خطف الطفل؟

لقد ظل هذا اللغز غامضا عامين ونصف عام، حتى صدر بيان في سنة ١٩٣٤ بأن نجارا في برونكس قد قبض عليه متهما بالجريمة، وإن اسمه برونو رتشارد هوبتمان، وأنه وجد في حوزته جزء من الفدية عند القبض عليه.

كل ذلك جعل محاكمة هوبتمان بتهمة الخطف والقتل من أهم أخبار المحاكمات في القرن العشرين، وقد أنكر المتهم ارتكابه للجريمة. وقال إنه ضحية بريئة للظروف فيما يتعلق بحيازته لبعض مال الفدية.

وكانت المحاكمة تجرى بمحكمة فليمنجتون بنيوجرسي، وهي مدينة صغيرة مغمورة ما كان يحتمل قط أن تكون موضع اهتمام العالم، فإذا هي تحتل الصدارة في الصحف الأمريكية أياما عديدة ويهرع إليها مئات الصحفيين والمصورين بحثا

عن الأخبار، وعن مكان ينامون فيه، وافتتحت وكالات الأنباء مكاتب كاملة المعدات في فليمنجتون جهزتها بأجهزة التلغراف الكاتب المتصلة بالتوصيلات الرئيسية، وهو امتياز لا يعطى إلا لأكبر المكاتب في البلاد.

وكان التنافس بين وكالتي يونيتدبريس، وأسوشيتدبريس للسبق بتطورات المحاكمة، أشد وأعنف من المعتاد، وكان قصب السبق طبعا مرتبطا بأسبقية الحصول على قرار المحلفين وإذاعته.

وكان للأسوشيتدبريس سبعة مراسلين يغطون أخبار المحاكمة، وعدد من عمال التلغراف للإبراق برسائلهم، واتخذت مقرها الرئيسي نصف مكتب رئيس المدينة الذي يقع خارج مبنى المحكمة مباشرة، أما مكتب اليونيتدبريس فكان في الدور الأول خارج الشرفة المتصلة بقاعة المحكمة مباشرة، وكانت المشكلة الكبرى أمام وكالتي الأنباء المتنافستين هي توصيل الخبر من غرفة المحاكمة إلى أجهزة البرق الكاتب خارجها. فكان المندوبون يكتبون الأخبار في مقاعد الصحافة بقاعة المحاكمة، ويحملها السعاة عبر الممر، ثم إلى خارج الباب ليسلموها لمركز القيادة المؤقت، وهناك يتولى محرر تصحيحها وتسليمها لعامل البرق الكاتب لإرسالها على "توصيلة" الأخبار الرئيسية.

على أن القاضي أعلن أنه في اللحظات الأخيرة من المحاكمة، وذلك عند عودة المحلفين بقرارهم إلى المحكمة، ستغلق أبواب القاعة، فالعواطف كانت ثائرة، والقاضي لا يريد مظاهرات، ولن يبرح المراسلون وغيرهم قاعة المحكمة قبل أن يصدر القاضي أمره لرجال الأمن الذين يحرسون الأبواب بفتحها، وذكر القاضي أيضاً أنه لن يسمح بأية أجهزة ميكانيكية داخل القاعة.

كيف يستطيع المندوبون إذن إرسال أخبارهم العاجلة إلى خارج الأبواب الموصدة، فكروا في كل وسيلة ممكنة. قرر بعضهم التلويح بمنديل من النوافذ إلى

مساعديهم في الخارج طبقا لشفرة خاصة تدل على الحكم، ولكن الخطة فشلت لأن الموظفين أرخوا الستائر على النوافذ جميعها.

وقررت الأسوشيتدبريس واليونيتدبريس طريقة أبسط، فأقامت كل منهما مندوبا داخل الأبواب الموصدة. في الطابق الأول لليونيتدبريس، وفي الطابق الأرضي للأسوشيتدبريس، ومهمة هذا المندوب أن ينفذ من ثقوب الباب قصاصات ورق تحمل الحكم، ويجري السعاة بهذه الأوراق إلى مكاتب الوكالة لتأخذ منها طريقها إلى الصحف.

ولكن مدير مكتب الأسوشيتدبريس لم يجد في هذه الطريقة وحدها الكفاية، إذ خشى أن يمنع الحراس المندوبين من إنفاذ رسائلهم من ثقوب الباب، ورغم أن القاضي منع السماح بأية أجهزة ميكانيكية فقد قرر أن يكمل تغطيته للأخبار بجهاز إرسال سري على موجة قصيرة داخل قاعة المحكمة.

وفي ليلة الحكم جلس عامل إذاعي في المحكمة يخفي تحت معطفه جهاز إرسال بالنقط والشرط، وفي الطابق العلوي للمحكمة ودون أن يعرف أحد، ركب مدير الأسوشيتدبريس جهاز برق كاتبا يتصل بتوصيلة الأسلاك الرئيسية، وجهاز استقبال لاسلكيا، فالعامل المختص في الطابق العلوي يتلقى الإشارة بالراديو، ويذيع محتوياتها مباشرة على أسلاك الأخبار، ثم تذاع أخبار مندوبي الأسوشيتدبريس من مكتبها بالطابق الأرضي بعد أن تفتح أبواب قاعة المحكمة.

وقدمت قضية هويتمان للمحلفين قبيل ظهر يوم ١٣ من فبراير، وظل المحلفون طوال فترة بعد الظهر وحتى وقت المساء يتداولون حول مصير النجار المتهم، ولم يكن يسع المندوبين سوى الانتظار.

وفي نحو الساعة العاشرة مساء جاءت الدلائل تشير إلى أن المحلفين قد

وصلوا إلى قرار، فهرع المندوبون يأخذون أماكنهم في قاعة المحكمة، وأقفلت الأبواب، وبدأ كل منهم يعد خبره حول القرار الذي صدر، مع أن المحلفين كانوا لا يزالون في حجرتهم المغلقة يتداولون، وفي هذه اللحظة المثيرة انطفأت جميع أنوار الغرفة، وراح المندوبون خلال الدقائق القليلة اللازمة لإعادته يشعلون عيدان الثقاب، ويحاولون أن يكتبوا في ضوئها المرتعش، وكان جو القاعة مليئا بالتوتر والترقب، وألقى الظلام غير المتوقع جوا من الاضطراب على كل شيء.

وفي العاشرة وثمان وعشرين دقيقة بدأ جرس القاعة يدق وهي الإشارة التقليدية في محكمة فليمنجتون إلى أن المحلفين قد وصلوا إلى قرار في محاكمة القاتل، وفي الوقت نفسه تقريبا ظهرت على أسلاك الأسوشيتد بريس البرقية التالية.

عاجل

"فليمنجتون– قرار المحلفين الإدانة والمؤبد".

وكانت عشرات من جرائد الصباح في البلاد كلها تنتظر هذه البرقية حتى تدفع بملاحقها إلى الشوارع، وكان الكثير منها قد أعد عناوين رئيسية لكل الاحتمالات في انتظار كلمة من فليمنجتون قبيل الطبع.

وفي مكتب الأسوشيتدبريس خارج المحكمة رأى مدير المكتب الإشارة العاجلة على جهاز البرق الكاتب الخاص به، وعرف أنه من مساعده الذي يختبئ في الدور العلوي، واستولى عليه شعور بالابتهاج والزهو، فقد انتصرت بفضله الأسوشيتدبريس على غريمتها. كانت أبواب قاعة المحكمة لا تزال مغلقة، ولكن الأسوشيتدبريس تلقت الخبر العاجل، وفي الحال أرسل نشرة أضاف إليها بعض البيانات اللازمة لكتابة العناوين الرئيسية، ودق النشرة على جهاز البرق الكاتب

بالدور الأرضي.

وفي الطابق الأول في الحجرة الواقعة وراء شرفة قاعة المحكمة رأى هاري فرجسون مندوب اليونيتدبريس إشارة عاجلة إليه على جهاز اليونيتدبريس من نيويورك موقعة من إيرل جونسون مدير عام الوكالة يقول فيها:

"أذاع الطرف الآخر في برقية عاجلة أن هويتمان أدين وحكم عليه بالسجن مدى الحياة"

"أيرل جونسون– نيويورك"

وأحس فرجسون – والأرض تميد تحت قدميه – أنه قد هزم، فأسرع ينفذ مذكرة من الباب المقفل إلى سيدني ويبل أحد مندوبي اليونيتدبريس، داخل حجرة المحاكمة، وبعد لحظات قليلة تلقى من ثقب الباب الرد التالي:

"لا يزال المحلفون خارج قاعة المحكمة، فإذا كان خبر الأسوشيتدبريس صحيحاً فالوداع، وقد كان من حسن حظي أن أعمل حتى اليوم. سيدني ويبل".

لم يكن المحلفون قد عادوا بعد إلى قاعة المحكمة، ومع ذلك كانت الأسوشيتدبريس تذيع قرارهم، وكانت الصحف في البلاد كلها تستعد لطبع مزيد من أعدادها. لقد هزمت اليونيتدبريس هزيمة منكرة، كان ذلك التفكير كله يثقل رأس فرجسون. ماذا كان عساه أن يفعل! وهكذا ظل ينتظر جالسا خمس عشرة دقيقة مرت وكأنها عنده خمس عشرة ساعة.

وفي الطابق السفلي بدأ اغتباط هنري موربي رئيس مكتب الأسوشيتدبريس يستحيل إلى قلق مرهق، وجاءت مذكرة من مندوبي الأسوشيتدبريس عن طريق عقب الباب تصف عودة المحلفين إلى القاعة، وفجأة تبين له أن قرارهم لم يعلن

بعد، وأن خطأ قد حدث في جهاز إذاعته السري غير المشروع.

لم يكن أمامه إلا حل واحد ولو أحدث اضطرابا لا نهاية له هو أن يرسل البرقية العاجلة التالية:

"عاجل –كذبوا الحكم على هويتمان–، فهو خاطئ"

ولكن البرقية الخاطئة ظلت قائمة إحدى عشرة دقيقة، وهي فترة طويلة سمحت لصحف الأسوشيتدبريس في البلاد كلها بنشر ملاحق وتوزيعا حاملة الحكم الخاطئ، ومع ذلك لم يكن القرار قد صدر بعد، وكانت الثواني أجيالا في نظر المسئولين في كلتا الوكالتين.

وجاء القرار أخيرا، وأنفذ مندوبو الوكالتين الحكم من عقب الباب، وكان يقضي بإدانة هويتمان بالقتل مع سبق الإصرار والحكم تلقائيا "أوتوماتيكيا" بإعدامه.

وما إن وصل خبر الحكم، حتى بدأ المسئولون في الأسوشيتدبريس يحققون في السبب الذي جعل وكالتهم التي تفخر بدقتها ترتكب هذا الخطأ الجسيم، وفي اليوم التالي شاع أمر جهاز الإرسال السري، ولكن لم يستطيع أحد قط أن يعلل سر الخطأ.

كانت الشيفرة التي اتفق عليها بالنسبة لجهاز الإرسال من داخل المحكمة إلى الطابق العلوي هي شيفرة مورس، فالرقم ١ للحكم، بالإعدام، والرقم ٤ للإدانة مع السجن مدى الحياة، والرقم ٧ للبراءة. والرقم ٩ للخلاف بين المحلفين، وقد قال العامل الذي كان بالدور العلوي: "لقد تلقيت الرقم ٤ مرتين على جهاز الاستقبال، فأرسلت تلك الإشارة العاجلة".

ولكن المندوب الذي تولى الإرسال من داخل المحكمة أكد أنه لم يرسل الرقم

٤ قط، وهناك ارتياب في أن العامل في الطابق العلوي قد سمع حرف ٧ (ف) الذي يشبه الرقم ٤ في شيفرة مورس من جهاز إرسال آخر غير مشروع في القاعة.

ومهما يكن تعليل الأسوشيتدبريس، فقد ارتكبت خطأ شنيعاً، وارتكب مدير المكتب الذي حضر المحاكمة مخالفة صريحة للقواعد التي تسير عليها وكالات الأنباء في علاقاتها بعضها ببعض. وأقام جهاز إذاعة سرية دون الحصول على موافقة نيويورك، فأوقف موبري عن عمله، وفصل عامل الطابق العلوي. أما رجال اليونيتدبريس فقد شعروا بارتياح كبير لهذه النتيجة مضافا إليها السؤال المحرج:

"ترى ماذا كانت النتيجة لو أن ما نشرته الأسوشيتدبريس كان صحيحاً؟"..

من حيلهم في الحصول على الأخبار

لو كانت الأخبار كلها تأتي سهلة جاهزة للاستعمال كأنها هدية رشيقة من هدايا عيد الميلاد، لفقدت عملية جمع الأخبار كثيراً مما فيها من المتعة والبهجة، ولهذا فإن الصحفيين المتمرسين يرون أن نصف متعتهم يتحقق بالتفوق على منافسيهم، وعلى أولئك الذين يحاولون أن يخفوا الأخبار عنهم.

إن مدير الوكالة الحازم (الحمش) يقول لمندوبيها: "عليكم بإحضار هذا الخبر، وإحضاره على وجه السرعة". فيكون هذا أكثر من أمر لهم واجب التنفيذ، إنه تحد للمندوب، ومواجهة التحدي بنجاح من أكبر دواعي الرضا والارتياح في الحياة.

إن المندوب يجد نفسه أحياناً في حالة عجز تام، فهو لا يكاد يجد منفذاً إزاء تلك التكذيبات الرسمية، أو ذلك (الكورسي) المثبط للهمم الذي لا يعرف سوى عبارة "لا تعليق"، حتى ولو كان المندوب على يقين من أن هناك شيئاً يستحق أن يكون خبراً، فإذا كان المندوب كسولا بليداً استسلم وسكت، وعلل عجزه لرئيس التحرير بشتى الأسباب والأعذار، أما المندوب البارع حقاً فحاشاه أن يفعل. إنه يحاول أن يجد جهة أخرى يرجع إليها تليفونياً، أو أسلوباً جديداً يغري به مصدراً آخر على الإدلاء بالمعلومات.

ولكل مندوب قصص يرويها عن نجاحه وأمجاده، وكيف أنه سبق بالخبر زميلا آخر. ربما كانت القصة هي حصوله على أخبار مؤتمر سياسي سري، باستخدام إحدى الوسائل السمعية على باب حجرة ما في أحد الفنادق، كما حدث لمندوب إحدى الوكالات في اجتماع للحزب الديموقراطي عقد لاختيار مرشح

الرياسة في الولايات المتحدة، وربما روت القصة كيف منح المندوب منافسيه من استخدام كشك التليفون الوحيد في المنطقة في أثناء سعيه وراء خبر مهم، بأن كتب لافتة على الكشك بأنه في أثناء سعيه وراء خبر مهم، بأن كتب لافتة على الكشك بأنه "معطل". أو قد يكون شق طريقه إلى مكان فيه أخبار مهمة مستعصية، بأن علق شارة رخيصة اشتراها بدريهمات معدودة وراح يتكلم بسرعة ليوهم الحراس بأنه موظف كبير، أو قد يكتشف أن شخصاً ما قد يمتنع عن الإدلاء بالخبر تليفونياً، ولكنه يدلي بالخبر إذا تظاهر المندوب بأنه رجل جاء لإجراء معاينة. إن هذه أشياء حدثت فعلا.

إن معظم الأخبار المهمة أمكن الحصول عليها بالجهد الشاق ومراجعة المصادر، حتى أكثرها استعصاء يمكن الوصول إليه لو استخدم المندوب ذكاءه، وقليلون جداً من المندوبين يلجأون إلى وسائل شائنة للحصول على أخبارهم. فإن معظم مديري وكالات الأنباء لا يريدون أن يلجأ مندوبوهم للغش، ولكنهم يريدون منهم أن يثابروا، وأن يبتدعوا دائماً أساليب ماهرة للحصول على الحقائق.

في الأيام التي وقعت بين الحربين الأولى الثانية كان رئيس الحكومة البريطانية هو رامسي ماكدونالد، ولم يستطع المراسلون الأمريكيون في لندن قط، أن يحصلوا على فرصة التحدث إليه، وإن كانوا في شوق شديد إلى تلك الفرصة بسبب نزاع مالي بين أمريكا وإنجلترا، وكان الخلاف في تلك الأيام يدور حول ما إذا كان من حق بريطانيا أم لا، أن تتوقف عن سداد الديون التي اقترضتها من أمريكا في الحرب العالمية الأولى، بسبب عجزها عن الاستمرار في الدفع، وهذا شيء كان لا بد أن يهز النفوس على جانبي الأطلنطي إن حدث.

وكان مراسل أمريكي شاب لوكالة الأنباء الدولية اسمه بييرج. هاس. ويناديه أصدقاؤه باسم "بيت"، قد واتته فكرة ماهرة رأى أن يجربها. كان يعلم أن رئيس

الوزراء يصحو مبكراً ليمارس رياضة المشي قبل الإفطار في حديقة سان جيمس قرب مقره الرسمي (١٠ دوننج ستريت) حوالي السادسة والنصف صباحاً، وفي أثناء تلك الرياضة كان يقف إلى بركة فيها بط يطعمه، فبدأ بيت هاس يمارس الرياضة نفسها في الحديقة نفسها، وغالباً ما لا يكون في الحديقة غيرهما في تلك الساعة المبكرة من النهار.

وبعد أيام قليلة عقد المراسل الأمريكي مع رئيس الوزراء البريطاني أواصر المعرفة، وهما يلقيان فتات الخبز للبط، فتمشيا معاً، وكان ماكدونالد مهتماً بالرأي العام الأمريكي بالنسبة للشئون الدولية، فوجه إلى هاس أسئلة كثيرة.

وذات صباح سأل رئيس الوزراء المراسل الأمريكي عن رأيه فيما يكون رد الفعل عند الأمريكيين إذا لم تواصل بريطانيا سداد قروضها، فاقترح هاس أن يثار الموضوع مقدماً بصفة غير رسمية في الصحف الأمريكية لتمهيد الرأي العام للخبر، أملا منه طبعاً في أن يكون الخبر من نصيبه.

فقال له رئيس الوزراء: "قابلني هنا بعد يومين وسنرى ما سيكون".

وفي الصباح المحدد كان هاس مشغولا بإطعام البط حين درج إليه رئيس الوزراء، فسار معه، وظلا يمشيان حتى (١٠ دوننج ستريت) دون أن ينطق بكلمة واحدة عن موضوع ديون الحرب، فاعتقد هاس أن كل صحوه مبكراً ذهب مع الريح، وأخيراً قال رئيس الوزراء: "حبذا لو تناولت الفطور معي".

كانت هذه دعوة ثمينة حقا؛ ففي الوقت الذي لا يستطيع زملاء هاس مجرد رؤية رئيس الوزراء، نجد بيت هاس الذكي يشاركه في فطوره وحده في ذلك البيت العتيد، مقر رؤساء الحكومة في بريطانيا.

وفي أثناء الإفطار استعرض ماكدونالد كل متاعب بريطانيا المالية، ثم أفضى

إلى هاس بالسر الكبير وهو أن مجلس الوزراء في اجتماع خاص في الليلة السابقة قرر التوقف عن سداد ديون الحرب للولايات المتحدة، وكان الخبر على درجة عالية من السرية، ومعرفته فيها فضيحة كبرى لرئيس الوزراء لأنه يترك الأسرار "تتسرب" قبل إعلانها في البرلمان، فيستطيع هاس أن يرسل الخبر لصحفه بشرط أن يعد بعدم الإشارة إلى مصدره.

وترك هاس مقر رئيس الحكومة بأقصى ما استطاع من هدوء، ثم اندفع إلى مكتبه في فليت ستريت وأرسل البرقية التالية إلى نيويورك:

"قال لي شخصياً مصدر موثوق به إن مجلس الوزراء قرر في اجتماع خاص ليلة أمس التوقف عن سداد ديون الحرب للولايات المتحدة".. مصدر موثوق به حقاً، فهو رئيس الوزراء نفسه، وليس شخصاً أقل منه، ولكن هاس لم يجرؤ على أن يقول ذلك.

وأثار الخبر ضجة في الولايات المتحدة، وأرسلت وكالات الأنباء المنافسة سيلا من الاستفسارات الحانقة التي تعرف أحياناً بالصواريخ إلى مكاتبها بلندن. ولكن المراسلين الآخرين لم يجدوا من يؤكد لهم الخبر، بل وجدوا الكثيرين الذين ينكرونه من الرسميين البريطانيين.

وأبرقوا إلى وكالاتهم يقولون: "خبر زائف تماماً". "لا كلمة صادقة فيه". "لقد كتب الخبر من عندياته ليتصيد العناوين الرئيسية..." الخ الخ.

وإزاء هذه التكذيبات الرسمية تهجم المراسلون الآخرون على هاس، واتهموه بالحماقة لاعتماده على مصدر لا يعرف قيمة الموضوع الذي يتحدث عنه. واستولى القلق على رجال مكتبه في نيويورك، فأمطروه بالأسئلة عن مصدر الخبر، وبعد يوم أو أكثر لم يكن قد صدر بيان رسمي بذلك، فبدأ هاس نفسه يقلق

باعتبار أن خطأ قد حدث.

ولكن الطمأنينة عاودته حين نهض رئيس الوزراء ماكدونالد في البرلمان وأعلن ما قاله هاس تماماً من أن بريطانيا ستتوقف عن سداد ديونها.

وأحرز بيت هاس سبقاً على صحف العالم كلها لمجرد أنه أعمل فكره بعض الشيء أكثر من غيره، وبمجرد أنه استيقظ من نومه قبل منافسيه، ولم يقلل من شأن انتصاره سوى أنه لم يجرؤ على أن يقول لمنافسيه إن مصدر خبره هو رئيس الوزراء نفسه.

***

وفي أثناء نظر قضية خطف ابن لندبرج فازت الأسوشيتدبريس بسبق كبير على منافستها الكبرى، اليونيتد بريس، لأن أحد رجالها فكر تفكيراً سريعاً، وكان مصدر الخبر في هذه المرة حاكم ولاية نيوجرسي.

كان الطفل قد اختفى منذ شهرين بالرغم من البحث الذي يعتبر من أدق ما حدث في تاريخ شرطة أمريكا، وفجأة، وعلى غير انتظار، جاءت رسالة من مكتب الحاكم في ترنتون بنيوجيرسي تقول: إن رئيس شرطة الولاية يريد أن يجتمع بكل مندوبي وكالات الأنباء في بيت لندبرج في ظرف ساعة، فلابد أن هناك شيئاً مهماً.

على أن فرانك جاميسون رئيس مكتب الأسوشيتدبريس، بدلا من الاندفاع إلى مكان الاجتماع مع غيره من المندوبين توقف ليفكر قليلا. ثم أرسل مندوباً آخر إلى الاجتماع. واتصل تليفونياً بشخص ليست له علاقة مباشرة بالاجتماع – وهو المحافظ مور – وكان منطقه في ذلك أنه إذا كان لدى رئيس الشرطة خبر مهم فلا شك أنه قد أطلع المحافظ عليه.

وتبين أن المحافظ كان في طريقه بالسيارة إلى مدينة أخرى، ولكن جاميسون انتظر، وقد ساورته الوساوس بأنه ربما أخطأ التقدير، وأنه كان ينبغي أن يذهب مباشرة إلى الاجتماع الصحفي، وأخيراً أمكنه الاتصال بالمحافظ تليفونياً، وسأله: "هل هناك جديد في موضوع قضية لندبرج؟"

فأجابه مور: "لم أسمع جديداً منذ غادرت مكتبي، على أني سأحاول أن أعرف وأتصل بك".

وانتظر جاميسون هذه المحادثة التليفونية على أحر من الجمر، حتى وصلت آخر الأمر، وقال المحافظ: "إنه لخبر فظيع يا فرانك، إن طفل لندبرج وجد ميتاً..."

فاستدار جاميسون وصاح في خط تليفوني آخر مفتوح على مكتب نيويورك: "عاجل– طفل لندبرج وجد ميتاً".

وبعد أن أذاع جاميسون خبره الكبير على صحف الوكالة، ركب سيارة أجرة إلى الاجتماع الصحفي في (جاراج) بيت لندبرج، وأقفل رئيس الشرطة أبواب المكان حتى لا يتسلل أحد المندوبين في أثناء قراءة بيانه الطويل فيسبق غيره من المندوبين بغير حق.

ولم يشر جاميسون – وهو حبيس مع غيره – أية إشارة إلى أنه يعرف ما سيعلنه رئيس الشرطة، وأنه أذاع الخبر في طول البلاد وعرضها، وكلما طال بقاؤهم في (الجاراج) طالت مسافة سبقه الصحفي الكبير...

وانتهى الاجتماع آخر الأمر، وهرع مندوبو وكالات الأنباء الأخرى إلى التليفون يبلغون الخبر، ليستقبلوا بأصوات غاضبة من رؤسائهم الذين راحوا يسألونهم عن سبب هزيمتهم النكراء أمام الأسوشيتدبريس، فلم يسعهم سوى أن

يعترفوا في استسلام وخضوع بأن زملاءهم تغلبوا عليهم بسعة الحيلة.

***

وكثيراً ما يكتب السبق الصحفي لمن يتظاهر بأنه يعرف عن موضوع معين أكثر مما يعرفه عنه فعلا، وبذلك يطمئن مصدر الخبر ويتكلم بلا تحفظ، فاعتقاده أن المراسل يعرف الحقائق الرئيسية فعلا يهيئ للمصدر أنه يؤكد بحديثه ما يتشكك فيه المراسل، وبذلك يعطي الخبر كله بمنتهى السذاجة.

ورجال وكالات الأنباء يستطيعون أن يرووا كثيراً من القصص عن نجاح هذه الحيلة، ومن أمتع ما حدث في هذا الصدد ما جرى في مصر حول مومياء أحد ملوك المصريين القدماء:

ففي سنوات السلم بين الحربين الأولى والثانية كانت أخبار البحث عن مقبرة الملك توت عنخ آمون وعمرها ٤٠٠٠ سنة يحتل مكانا بارزا في الصحف. وكان الطلاب الأمريكيون يتفكهون بأخبار "الملك توت" في حين تروي الصحف قصصا طويلة حول تاريخه، وأصبحت المقبرة همزة وصل رائعة بين الأزمنة القديمة والعالم الحديث. على أن تغطية أخبار الحفريات في المقبرة الملكية القديمة كانت صداعا يؤرق وكالات الأنباء والصحف الأمريكية، لأن وكالة نشر برياسة الصحيفة اللندنية (التيمز) دفعت لرجال الآثار القائمين بالحفر ١٠٠.٠٠٠ دولارا، مقابل احتكار أخبار الحفريات؛ فكان كل ما يكشف عنه العلماء يسلم أولا فأولا لجريدة التيمز، أما الأربعون مراسلا الآخرون في موقع المقبرة القديمة فلم يكن أمامهم سوى أن يتسكعوا حول المكان في الحر الشديد، وهم يتذمرون، إذ لم يكن يسمح لهم بالنزول إلى المنطقة التي يجري فيها الحفر أو الحصول على أية بيانات من العلماء عند عودتهم إلى ضوء النهار.

وكان السؤال الكبير الذي يريد الناس على جانبي الأطلنطي أن يعرفوا جوابه هو: "هل دخلوا فعلا مقبرة الملك توت؟ وهل وجدت مومياه فعلا فيها بعد كل هذه القرون الطويلة؟"

وكان فالنتين وليامز مراسل الأسوشيتدبريس يقف مع غيره من المراسلين، يفكر في طريقة يخترق بها مؤامرة الصمت هذه، حتى رأى مصريا يخرج من الحفريات ويمشي إلى إناء به ماء بارد للشرب. ومضى وليامز بدوره إلى إناء الماء وشرب منه، ثم دخل في حديث مع الموظف المصري، قال خلاله:

– هل لك أن تساعدنا على تسوية خلاف بيننا، إننا نتجادل حول ما إذا كنتم وجدتم تابوتا واحداً أو تابوتين داخل المقبرة، فهل لك أن تقول لنا الكلمة الحاسمة؟

فأجابه المصري في دهشة: تابوتين؟. كلا طبعاً، وجدنا تابوتاً واحداً.

فقال وليامز وهو يتظاهر بالبراءة ومجرد الاستطراد في حديث عابر: تابوت توت عنخ آمون؟

فقال المصري: نعم، نعتقد ذلك، فالخاتم الملكي على التابوت ما زال سليما.

– وهل تعتقد أن التابوت يضم مومياء الملك؟

فأجاب المصري: عندنا من الأسباب ما يجعلنا نعتقد ذلك.

وقال وليامز كلاما معناه أن الموضوع ممتع وشكر محدثه، ومضى عنه في بطء، وما إن عاد المصري إلى الحفريات حتى وثب المراسل في سيارته وأسرع إلى مكتب البرق، وحصلت صحف الأسوشيتدبريس في بلاد كثيرة على عناوين رئيسية تقول: إن القبو الملكي الخاص بالملك توت عنخ آمون فتح، وإن مومياه

وجدت في تابوت عمره ٤٠٠٠ سنة. وهكذا نشرت صحف الأسوشيتدبريس الخبر قبل صدور أي بيان رسمي عنه بوقت طويل.

إن العبرة ليست فقط بالأسئلة التي يوجهها الصحفي، بل بالطريقة التي يوجهها بها كذلك.

إن أمثال هذه الوسائل التي يستخدمها المندوبون هي مجرد "تكتيكات" ماهرة للحصول على خبر هام والسبق به، وقلما يسيء الصحفي استخدام حقوقه وامتيازاته، غير أن بعض المندوبين، لسوء الحظ، عرفوا بتزييف الأخبار اعتمادا على طريقة "المصادر العلمية"، فهم ينسجون من خيالاتهم أخبارا تبدو صحيحة وينسبونها إلى "المصادر العليمة"، ويجن جنون منافسيهم في نيويورك فيمطرون زملاءهم في كل مكان بالسؤال: "لماذا لم نحصل على هذا الخبر؟".

ولكن منافسي صاحب الخبر لا يستطيعون متابعة مصدره، وغالباً ما يكون في الخبر بعض الصحة مما يتعذر معه تكذيبه أو إنكاره، والمراسلون يسمون هذا النوع من الحصول على الأخبار بأنه "النقل من الحائط الغربي"، على اعتبار أن المراسل قد استدار بنظره إلى جدار خال إلى أن واتته فكرة الخبر الزائف.

***

ويحدث ذلك أحياناً على سبيل الفكاهة، فمن زمن غير بعيد كان أحد الصحفيين الأوروبيين المتقاعدين يعمل في لندن قبل الحرب العالمية الثانية، فاعترف بأنه "الأب الحقيقي" لوحش (بحيرة نيس) الخرافي. وذلك أنه في أحد الأيام الخالية من الأخبار، ألف قصة عن سكوتلاندا مضمونها أنه تلقى خبراً، بأن وحشاً بحريا مسحورا رئي في مياه بحيرة نيس، وهي بحيرة في مرتفعات سكوتلاندا، فنشرت صحيفته الخبر في مكان بارز ونقلته عنها صحف أمريكا وإنجلترا.

وبعد أسابيع قليلة ظهرت قصة أخرى عن أن بعض الناس رأوا الوحش، وذهب المراسلون الأمريكيون إلى البحيرة ليقابلوا المواطنين المقيمين حولها، وقال بعضهم، وهو يتخذ مظهر الجد، إنهم رأوا في ماء البحيرة أشياء غريبة، وراحت صحف لندن تناقش الموضوع مع علماء الطبيعة، وسرعان ما أصبح الوحش شخصية دولية، ثم أدرك معظم الناس أن ما نشر عن ذلك غير صحيح، ولكنهم استمتعوا بجانبه الفكاهي، ومع ذلك فإنه حتى اليوم يذهب السائحون إلى بحيرة نيس لمجرد أن مراسلا أحس بالملل والضيق فاخترع من ربع قرن قصة وحش في البحيرة.

والأخبار غير الموثوق بها لا تكون شائعة في أوقات السلم، أما في أوقات الحرب فقد شاع منها الكثير، لأن الرقابة ورداءة المواصلات كثيرا ما جعلتا مراجعة المصادر المسئولة أمرا بالغ الصعوبة.

***

في أثناء حملة شمال إفريقيا كان يعمل كثير من المراسلين في الجزائر، وكان من بينهم مراسل واسع الخيال نرمز له باسم "جورج" وحدث ذات يوم أن سمح للمراسلين بالتحدث إلى ضباط الغواصات، ولكن لم يسمح لهم بدخول أية غواصة، وبالتالي لم يحصلوا على أخبار كافية فأرسل معظمهم برقيات موجزة.

أما (جورج) بخياله الواسع فلم يقنع بذلك، فأرسل بالراديو خبرا مستفيضا جعله صادرا من على ظهر غواصة بريطانية في مكان ما في البحر المتوسط وملأ الخبر بتفصيلات عجيبة عن ضرب الغواصة لسفن الأعداء بالطوربيد، ولم يكن "جورج" شخصية محبوبة تماما حين أرسلت مكاتب نيويورك إلى مراسليها تقول: لماذا لا تشتركون في هذه المغامرة وتحصلون على أخبار مثيرة بصيغة المتكلم على غرار هذا التحقيق الصحفي؟

وبعد بضع شطحات أخرى من خيال "جورج" كوصف معركة تحت وابل ثقيل من القنابل الألمانية، بينما كان "جورج" جالساً بكل أمان في غرفة الصحافة، وليس لديه مصدر غير البلاغ الرسمي القصير يتخذ منه أساسا لقصصه المثيرة كشاهد عيان، ذاع اصطلاح "بساط جورج السحري" في الدوائر الصحفية، فكلما تلقى مراسل، استفساراً من رؤسائه في نيويورك حول إحدى هذه القصص، أبرق في الحال قائلا: "إنه جورج يركب بساطه السحري من جديد!!"

على أنه من حسن الحظ أنه لم يوجد كثيرون من أمثال "جورج" بين المراسلين الأمريكيين في الخارج. ورجال الصحافة لا يحبون المخرفين، واختيارك مراسلا في الخارج شرف لك، والذين يختارون لهذا الشرف يحرصون على أن ينقلوا لبلادهم ما يصادفهم من أخبار بمنتهى الأمانة، حتى لو استوثقوا أن رؤساءهم لن يستطيعوا مراجعة ما يرسلونه من أماكن نائية.

ومعظم المراسلين يقومون بعملهم في جد، ويعملون على تغطية أهم الأخبار التي يستطيعون الوقوف عليها بأمانة وسرعة، وحتى تكون مراسلا ممتازا يجب أن تكون عيناك مفتوحتين وأن تفيد من الفرصة إلى أقصى حد حين تواتيك، كما أن ذلك يقتضيك التفكير مقدما، ومحاولة تذكر ما يهم قراءك حقا أن يسمعوه.

لهذا كان النساء في الصحافة أحياناً أفضل من الرجال، لأنهن يذكرن كل التفصيلات الدقيقة التي تهم السيدات، غير أنه ليس هناك سيدات كثيرات يعملن في هذا الميدان، وإن كانت العاملات فيه قد برعن براعة تامة في الكشف عن الأخبار.

وقد اتخذت المرأة مكانها حتى كمراسلة حربية في الحرب العالمية الثانية أولا، ثم في الحرب الكورية، ففي الحرب الضروس في شبه الجزيرة الشرقية هذه كانت المراسلات يذهبن حيثما يذهب المراسلون الرجال، وكن يحتمين في الخنادق،

ويركبن سيارات الجيب في طرق تلقى عليها القنابل بعنف، ويرافقن دوريات المشاة ويرسلن أخبار مغامراتهن كاملة في سرد مفصل رائع. وكلما قامت إحدى الفتيات المراسلات بعمل جريء، وصفت بأنها "نيلي بلاي" أخرى، لأن هذه المرأة التي كادت سيرتها تشبه الأساطير، أصبحت رمزا للسيدات العاملات في ميدان جمع الأخبار.

كانت نيلي بلاي تظفر بخبطاتها الصحفية الشهيرة منذ قرابة خمس وسبعين سنة، عندما كان الناس جميعا – بما فيهم النساء – يعتقدون أن مكان المرأة هو البيت، ومع ذلك لم يستطع أحد حتى من زملائها الرجال أن يثنيها عن عزمها، وهذا ما جعل اسمها مشهورا حتى الآن.

وأشهر مغامراتها كانت رحلتها حول العالم، ففي تلك الأيام التي لم تكن الطائرات قد اخترعت فيها بعد، لم يكن الناس يسخرون من قصة جول فيرن "حول العالم في ثمانين يوما"، أو يعتبرونها نكتة لطيفة قديمة، فالرحلة الوهمية حول العالم التي قام بها بطله الخيالي فلياس فوج، كانت تعتبر رحلة غير معقولة، لأنه ليس هناك شخص حقيقي عرف بأنه قام برحلة حول العالم في هذه الفترة القصيرة.

على أن نيلي بلاي أرادت أن تثبت أن الرحلة ممكنة، فقامت بها لحساب جريدة وورلد World النيويوركية التي تولت نشر كل خطواتها بالخرائط والتفاصيل، وقد أبحرت نيلي إلى أوروبا من مدينة جيرسي في نوفمبر سنة ١٨٨٩ وليس معها سوى حقيبة واحدة في رحلة طولها ٢٥.٠٠٠ ميلا، وكتبت تقول: "سأقوم بالرحلة في خمسة وسبعين يوما".

وظل الناس يرقبون رحلتها في شك، وكانت رسائلها ترد الواحدة بعد الأخرى إلى جريدتها من أماكن بعيدة: لندن.. باريس.. البحر المتوسط.. وفي

فرنسا زارت جول فيرن الذي استقبلها بحفاوة بالغة، ولكنه شك في أنها تستطيع أن تقوم بالرحلة التي قام بها البطل الذي ابتدعه خياله، وراحت الصحف الأمريكية تنشر خرائط لسباقها مع الزمن، وهو سباق سريع في ذلك الحين، بطيء إلى درجة مضحكة في عصر الطائرة النفاثة.

وانتقلت نيلي من سفينة إلى سفينة، يقابلها سوء الحظ أحياناً لانقطاع صلتها بالجريدة، وتواجهها عواصف تؤخرها، ويخيل إليها أنها قد تعني هزيمتها، تماماً كما حدث في مغامرات فلياس فوج. وقد أثارت مغامرتها هذه أشد الاهتمام في الولايات المتحدة، حتى راح ألوف من الناس يراهنون على الوقت الذي تستغرقه.

ولما وصلت السفينة التي تقلها من الشرق إلى سان فرانسيسكو اجتمع لتحيتها خلق كثير، فقد كانت نيلي يومئذ أكثر من مراسلة صحيفة، كانت بطلة في وطنها. وكانت رحلتها بالقطار صوب الشرق من سان فرانسيسكو إلى نيويورك رحلة العودة الظافرة، وكانت الحشود في انتظارها مرحبة مهنئة في كل محطة من المحطات، ونزلت أخيراً من القطار في مدينة جيرسي بعد أن أتمت دورتها حول العالم في ٧٢ يوما و٦ ساعات، وعشر دقائق وإحدى عشرة ثانية.

أما اليوم ففي الطائرة النفاثة تستطيع المراسلة الصحفية أن تدور حول العالم في أقل من اثنتين وسبعين ساعة، ولكنها لن تستمتع بنصف ما استمتعت به نيلي، ولن يحفل بمغامرتها أحد. إن على مراسلي الصحف في هذه الأيام أن يحصلوا على أخبارهم بوسائل أخرى.

المراسلون يذهبون إلى ميدان القتال

منذ مائة عام حين قامت الحرب بين الولايات، ركب المراسلون الصحفيون في وكالة الأسوشيتدبريس الناشئة يومذاك وفي غيرها من صحف الولايات الشمالية، من واشنطن عربات تجرها الخيول ليراقبوا معركة "بول ران" كانوا كأنهم في الطريق إلى نزهة خلوية، فقد أخذوا معهم سلال الطعام، وتوقعوا أن يرقصوا ابتهاجا بنصر سهل تحرزه ولايات الشمال.

واحتشد في أعقاب جيش الاتحاد مئات من المتفرجين للمتعة بهذا العرض المجاني، ولم يكن أحد من المتفرجين – عدا نفر قليل من الصحفيين – يدرك ما في تلك الحرب من وحشية وضراوة بل اعتقد الكثيرون أن الحرب ستنتهي من أول المعركة.

وقد سارت الأمور بادئ ذي بدء في جانب ولايات الشمال فتقدم جنودها عبر الريف في فرجينيا وأعلامهم مرفوعة في شجاعة، وانسحبت القوات الكونفيدرالية أمامهم، وأثارت الضجة أحد مراسلي الأسوشيتدبريس، وحركت حماسته أصوات المدافع والبنادق، ورؤية الصفوف الزرقاء وهي تكتسح ما أمامها، فركب إلى واشنطن في سرعة مذهلة يحمل خبر النصر الكبير الذي حققه جيش الشمال، حتى إذا وصل إلى مكتبه كانت قد استولت عليه الحماسة إلى حد لم يستطع معه أن يكتب شيئا، فعهد بمذكراته إلى مدير مكتب الأسوشيتدبريس، وأرسل هذا إلى صحف الوكالة صورة براقة مشرقة عن النصر الشمالي الضخم.

وفجأة توقفت جيوش الشمال أمام مقاومة حامية من الجنوب وانهمرت على

صفوفها نيران الأسلحة الصغيرة والمدافع، وانتشر الذبح كالبرق بين قواتها، وقبل أن يتبين أحد ما حدث، راح الجنود والمراسلون والمتفرجون يتقهقرون في غير انتظام، وبذلك تحلو اليوم الذي بدأ بنصر لأهل الشمال إلى كارثة مروعة.

وعاد المراسلون يتعثرون في طريقهم إلى واشنطن، بعد أن ضاع منهم في الزحام ما كان معهم من طعام وغيره. وقد هزهم وأفزعهم إلى حد غير قليل منظر القتل الجماعي الذي رأوه يحدث وجهاً لوجه أمام أعينهم.

وعندما علم مدير الأسوشيتدبريس بما حدث بعث برسالة مسهبة ودقيقة حول هزيمة الشمال، ولكن صحف الشمال في صباح اليوم التالي لم تنشر إلا خبر الانتصار الذي لم يحدث، أما الخبر الصحيح المزعج فقد أوقفه الرقباء.

من ذلك الحين أصبح من المعترف به أن مهمة المراسل الصحفي خطرة مرهقة، ومع ذلك ففيها كثير من المتعة، وهي أيضاً ضرورية جداً، فبغير مراسلين في الحرب لا يستطيع الشعب أن يعرف مصير جيوشه وأبنائه.

وقد اشتهرت أسماء مراسلين كثيرين بسبب أخبارهم من جبهة القتال، وأصبحوا على كل لسان في كل بيت، نذكر منهم: ريتشارد هاردنج ديفيز في الحرب الأمريكية الإسبانية، وفلويد جيبونز في الحرب العالمية الأولى، وإيرني بايل في الحرب العالمية الثانية وكثير من المراسلين الأمريكيين، ومنهم إيرني بايل، فقدوا أرواحهم في جبهات القتال من فرنسا إلى كوريا، وهم يجمعون الأخبار لإرسالها إلى مواطنيهم.

وفي كل حرب أمريكية منذ سنة ١٨٦١ كان مراسلو وكالات الأنباء في الصفوف الأمامية، وحيثما يوجد جنود الولايات المتحدة أو طياروها أو ملاحوها في المعركة، يوجد مراسلو وكالات الأنباء الأمريكية، ويصحبهم عادة مندوبون عن

الصحف الكبرى. على أن هؤلاء "الخصوصيين" – كما يحلو لمراسلي وكالات الأنباء أن يسموا هؤلاءا لمندوبين عن الصحف – حين يعجزون عن الحصول على الأخبار، فإن قراء صحفهم يحصلون مع ذلك على الأخبار الرئيسية عن طريق الوكالات.

ولندن هي البؤرة التي تغطي منها وكالات الأنباء معظم أخبار العالم، فالأخبار ترد إلى مكتب لندن، من روما، ومن استكهولم، ومن فرانكفورت، ومن مدريد، ومن مدن أوروبية أخرى كثيرة، ومن أفريقيا، ومن بعض أجزاء آسيا، وفي لندن تفحص الأخبار، ويختار أهمها ليرسل على "التوصيلة" السريعة إلى ينيورك، أما التي لا تهم القارئ الأمريكي فقد توجه إلى أمريكا الجنوبية أو الهند، أو غير ذلك من الدول في مختلف أنحاء العامل.

في أثناء الحرب العالمية الثانية كان نظام الإرسال هذا يجتاز امتحاناً عسيرا بسبب هجمات العدو، ولكنه لم يتوقف في لندن قط حتى في أحلك ساعاتها، وكانت الأخبار تحت رقابة شديدة، ولا تحمل إلا بعض الواقع في معظم الأحوال، ومع ذلك كانت تصل دائما إلى أمريكا لتعطي الشعب فيها صورة عن سير الحرب التي يخوضونها.

***

دق جرس على حائط مكتب وكالة الأنباء بلندن ثلاث دقات قوية، وأسرع محرر الأخبار يسلم على عجل برقية لعامل (التيكر) يرسلها إلى نيويورك، ثم نظر إلى أعلى فرأى ضوء التنبيه الأحمر في سقف الحجرة، ووصل الصوت المدوي الذي ظل يتزايد ويرتفع عدة ثوان، إلى درجة جعلت النوافذ تتأرجح خلف أسلاكها الواقية. وفجأة توقف الدوي.

كان كل من في الغرفة قد انبطح فوراً على الأرض، وفي فترة السكون أسرع المحررون، وعمال البرق الكاتب، والرقباء، والمراسلون، وسعاة المكتب، يلتمسون النجاة تحت المقاعد والمناضد. كانوا يحسون أن الضربة هذه المرة ستكون قريبة جداً.

ودوى هدير كقصف الرعد.. لقد سقط صاروخ ألماني من طراز ف– ١ الذي عرف بالقنبلة الطائرة، على شارع لا يبعد سوى مائة ياردة من المكتب، فانهارت واجهة مبنى قديم في شارع الصحافة (فليت ستريت) الذي يقع في قلب مدينة لندن، ودفن تحت الأنقاض كثير من الناس، وتطايرت سحب الغبار في الشارع. وتناثرت الأوراق والشظايا في الطرق الجانبية، وفي مكتب وكالات الأنباء تأرجحت الخرائط المعلقة على الجدران، واصطكت أغطية (التيكر) المعدنية.

وما إن زال الخطر حتى أسرع رجال وكالة الأنباء إلى آلاتهم الكاتبة، واستأنفوا عملية إرسال الأخبار المعتادة، من كثير من بلاد العالم إلى مكتب نيويورك، ومع ذلك فإن المراسلين الأمريكيين لم يرسلوا كلمة واحدة عن الانفجار نفسه! فهنا كانت قصة خبر مثير، ولكنها قصة لا يستطيع أن يكتبها أحد، إذا كانت لندن في حرب، والرقيب الحربي لا يريد أن يكتب شيئا يعرف منه العدو أثر صواريخه الشيطانية، وأين وقعت بالتحديد.

وقد بدأت عملية تعذيب مدينة لندن في سنة **١٩٤٠** حين أخذت التشكيلات الألمانية من قاذفات القنابلة تمطر المدينة بآلاف القنابل الحارقة والمتفجرة، وفي كل ليلة حين الغارة، كانت صفارات الإنذار تملأ ظلام المدينة، كانت المدينة سوادا حالكا: ستائر سوداء حول كل نافذة، المشاة في الشوارع يسيرون في الظلام لا يستعينون إلا بمصابيح كشافة صغيرة، يوجهونها إلى الأرض، وحتى إشارات المرور الحمراء والخضراء، كان يظللها غطاء من المعدن لا يترك منها

سوى خيط رفيع من النور.

وسرعان ما جاءت قاذفات القنابلة يهز السماء عجيجها غير المنتظم، فزلزلت الأرض بمكاتب الصحف (بشارع الصحافة) وأسرعت عربات المطافئ في الشوارع إلى حيث ألقيت القنابل، وفي وسط هذا الهول كله لم يكن يسمح للمراسلين في لندن بأن يبرقوا إلى أمريكا سوى رسالة موجزة تقول: "أطلقت إشارات الإنذار في منطقة لندن". وبعد أن تنتهي الغارة يسمح لهم بأن يرسلوا أخبارا عامة، ولكن بغير تفصيلات جغرافية.

وكانت تتنازع المراسلين مشاعر متضاربة، فهم يحسون بالحيرة وخيبة الأمل، إذ يعيشون في وسط أخطر أحداث العمر، ومع ذلك لا يستطيعون أن يكتبوا إلا أقل القليل، ولكنهم يحسون أيضا أن من حق الرقيب أن يؤدي واجبه، فلو أن الألمان تبينوا من الأخبار مكان سقوط القنابل في إحدى الغارات، لأمكنهم أن يصمموا غاراتهم التالية بدقة أعظم.

كان المراسلون يذرعون الشوارع ليلا خلال الغارات، ويحتمون بمداخل البيوت حين يسمعون صفارات الإنذار، ليجمعوا مواد شائقة عن الهجوم على أكبر مدينة في الدنيا، وكانوا يختلطون في المخابئ المزدحمة القذرة بالأسر التي تلتمس فيها المأوى بعد أن دمرت بيوتها، وكثيرا ما كانوا يجندون أنفسهم لمراقبة أسطح المباني وصب الرمل والماء على القنابل الألمانية المحرقة التي تتساقط من حولهم، ويرقبون في أسى بالغ بعض المباني الأثرية القديمة تلتهمها النيران، فلا تبقي منها ولا تذر.

وحين بدأ الحصار بهذه الصواريخ الطائرة، تمكن المراسلون الأمريكيون من المران على العيش في ظلال هذه الأسلحة الفتاكة الفريدة في نوعها، تعرفوا كيف يحكمون من الصوت القادم على القنبلة. وهل تقترب منهم أو لا تقترب، وأدركوا

أن الضجيج العالي إذا توقف فجأة، فمعنى ذلك أن القذيفة ستسقط مستقيمة.

وقد جاء مع الصواريخ الطائرة في أواخر شهور الحرب سلاح فتاك ألماني آخر، ضربت به لندن، الصواريخ من طراز ف-٢، وكانت تلقى مباشرة وبغير إنذار على الإطلاق، وكان هذا الصاروخ يحفر في الأرض حفرة عميقة، ويدمر كل شيء في نطاق عدة أمتار. كما كان يسقط بسرعة هائلة إلى حد سماع دويين: أحدهما حين يصطدم صاروخ ف-٢ بالأرض، والثاني على سمافة أبعد، يسمع بعده بعدة ثوان. أما هذا الدوي الثاني فهو "صوت" السلاح وهو يرتطم بالهواء الجوي منطلقا بسرعة أبطأ من سرعة الصاروخ نفسه.

ولما وصلت أخبار هذا الطراز الغريب من الانفجارات في ضواحي لندن إلى (شارع الصحافة) أسرع المراسلون إلى الضواحي، وكان الانفجار قد حدث في وقت لم يسبقه أي إنذار بغارة، وحفر السلاح حفرة عميقة في الأرض بصورة لم تكن تحدث بفعل القنابل الطائرة، كان هذا نوعا غريبا جديدا حقا من أنواع الهجوم.

وسأل المراسلون مدير الرقابة: "ماذا نستطيع أن نكتب عن هذا السلاح؟"

فأجابهم: "ولا كلمة".

وظلت الصحف عدة أيام لا تنشر شيئا عن متفجرات الموت الجديدة، ولا يعرف السكان في لندن ما يقذفون به سوى أنه سلاح شديد الفتك، وأخيرا سمح للمراسلين بأن يبرقوا برسائل عامة عن الصاروخ ف-٢، ولكن دون أن يذكروا أي تفاصيل: لا أين سقط. ولا كيف كان أثر سقوطه على المواطنين.

قنابل وصواريخ ورقباء، خبر مثير خطير لا يروى عنه إلا النزر اليسير. كانت هذه دنيا المراسلين العظيمة في زمن الحرب.

***

إن قصص البطولة والعزم، قصص الخطر والمرح والمأساة التي تكمن وراء رسائل المراسلين من جبهات القتال، كثيرة تكاد لا تنتهي، وبعض روائعها لا يمكن أن يروى، لأن أصحابها لم يرجعوا ليرووها. وهناك قصص أخرى كان أصحابها لا يضعونها، ولكن القدر كان رحيما بهم، فعادوا بقصص تدل على الخطر الذي يجب أن يقتحمه المراسلون في سبيل الحصول على الأخبار.

هناك مثلا ليو "بيل" ديشر، الذي تسلق فوق ساقه هو نفسه فعلا لينجو من الموت بعد أن أطاحت به سفينة حربية أثناء معركة بحرية في الحرب العالمية الثانية.

كان ديشر على ظهر سفينة حربية صغيرة كانت قبل ذلك من سفن حراسة السواحل الأمريكية، اسمها "والتي" تراف قوات الغزو المتجهة إلى شمال إفريقيا، وكانت السفينة غاصة بالجنود والبحارة والفدائيين وتسير في طريق متعرج في بحر هائج مع البوارج الكبرى وحاملات الطائرات لتتجنب هجوم الغواصات الألمانية، فسقط ديشر في الماء وأحس ألماً قاتلا في عقبه. وعندما كشف عليه الطبيب قال له:

– لقد كسر عقبك، ولابد أن أضع له جبيرة من الجبس، وعليك أن تستخدم عكازتين، وحين تصل إلى جبل طارق، فخير لك أن تبرح السفينة.

ورفض ديشر، وقال إن عليه مهمة لا بد أن يؤديها، فقد كان المراسل الوحيد على ظهر هذه السفينة، وواجبه أن يروي للعالم ما حدث، فالسفينة "والتي" – الصغيرة التي ليس بها أسلحة تذكر – عانت مصيرا هو أسوأ مصير عانته سفينة أخرى، كان عليها أن تجتاز حاجزا ثقيلا من السلاسل أحاط بميناء وهران، وأن تفاجئ أسطول حكومة فيشي في مرساه هناك. كانت المغامرة هائلة، ومع أن السفينة "والتي" نجحت في اختراق هذا الحاجز، إلا أنها أصيبت عشرات

الإصابات المباشرة من مدى قريب، فاشتعلت فيها النيران، وغاصت بنيرانها في الميناء.

وكان بيل ديشر قد ربط حزام النجاة المنفوخ حول صدره، ولكنه ظن أن ثقل جبيرة الجبس قد يدفعه إلى بطن الماء، فلف حول الجبيرة حزام نجاة آخر، وكان جسده قد امتلأ بشظايا قنابل الأعداء، بل لقد نفذت إحداها في حزام النجاة حول صدره فمزقته، ولما خرج من السفينة الصريعة إلى الماء، كان رأسه وجزؤه العلوي تحت سطح الماء، وإزاء شدة ألمه ومعاناته أدرك أن شيئا غريبا يحدث في بدنه، إذ لم يستطع أن يرفع رأسه فوق الماء لأن رجله المشلولة الحركة بقيت صامدة فوق رأسه وكان يحاول جاهدا أن يستعيد توازنه.

وبدأ ديشر بغريزته يتسلق ساقه هو نفسه حتى يصل إلى حزام النجاة، وببطء وعناء فك رباط الحزام، فسقطت ساقه بالجبيرة تحت سطح الماء، واستطاع باستعادة وضعه الطبيعي أن يسبح رغم شدة الألم إلى مرساه في الميناء.

ومن فراشه في المستشفى العسكري روى ديشر قصة السفينة كشاهد عيان لاثنين من المراسلين. أحدهما من اليونيتدبريس والآخر إنجليزي. وفي الصباح التالي نشرت أخباره بعناوين كبيرة في صدر الصحف الأمريكية، ومنح ديشر وسام "القلب الأرجواني" لإصابته في الميدان.

وقبل أن تنتهي الحرب العالمية الثانية حصل كثير من المراسلين على وسام "القلب الأرجواني"، كما أن قوائم الشرف تضم أسماء كثيرين ممن فقدوا حياتهم في الميدان كمراسلين حربيين.

ووضع المراسل الحربي وضع فريد، فإن واجبه أن يرى أقصى ما يستطيع أن يراه من عمليات الحرب، من أقرب نقطة يستطيعها، ومع ذلك فهو لا يعتبر

محاربا، ولا يفترض فيه أن يحمل سلاحا يحمي به نفسه. إن النار تطلق عليه، ولكنه لا يستطيع أن يرد على الطلقة بمثلها. إن عليه أن يقترب إلى أقصى ما يمكنه من عمليات القتال حتى يحصل على أخبار مثيرة، ولكن عليه دائماً أن يعود إلى مركز المواصلات ليبعث برسالته ثم إن وكالته ترسل إليه برقيات تستحثه على أن يغطي جزءاً خطيراً من الجبهة، وأن يكتب عن أشياء يراها بعينيه، ثم تراجع الوكالة نفسها فتقول في آخر رسالتها: "ولكن لا تعرض نفسك لأخطار لا داعي لها".

إن المراسلين الحربيين المرافقين للجيوش الأمريكية يحملون رتبة ضابط، أي إنهم يعاملون كالضباط، ويلبسون ثيابا كثيابهم، فيما عدا أنهم يحملون شارات المراسلين على ثيابهم العسكرية، بدلا من شارات الرتب العسكرية.

والمراسل في جبهة القتال يعيش عيشة المحاربين، لفة فراشه في العراء أو في مبنى مهجور إن أسعده الحظ، ووعاء غسيله هو خوذته، وقد يحلق ذقنه في الصباح إن سنحت له فرصة. وبعد الإفطار يتجه إلى ضابط المخابرات الخاص بالفصيلة التي يتبعها، فيروي ضابط المخابرات للمراسلين ما حدث ليلا في الجبهة، وما ينتظر أن يحدث ويدرسون معا خريطة تبين مواقع الأعداء والحلفاء. وضابط المخابرات في وصفه لمواقع القتال يشبه المدرب الذي يرسم لفريقه خطة مباراة في كرة القدم.

وضابط المخابرات يتحدث إلى المراسلين بصراحة تامة، فهو يعرف أنهم حلفوا اليمين بطاعة النظام العسكري، وأنهم لا يمكن أن يكتبوا عامدين شيئا يضر قوات بلادهم، ثم إن رسائلهم تعرض على الرقيب في مقر قيادة القاعدة قبل إذاعتها من مسرح الحرب إلى صحفهم.

فإذا وقع حدث مهم في الليل، وكانت هناك طريقة لنقل رسائلهم بتلغراف

الجيش أو مع رسول، أسرع المراسلون يكتبون أخباراً موجزة على آلاتهم الكاتبة، ثم يخرجون في سيارات الجيب عادة لاصطياد أخبار أخرى، قد يذهبون إبل أحد مواقع المدفعية ليرقبوا مبارزة بالمدافع، أو قد يغادرون سياراتهم ويزحفون مع فرق من المشاة ليلقوا نظرة شاهد عيان على الحرب في أكثر المواقع الأمامية خطراً حيث قد يكون الإنسان المستقر في خندق فوق التل عدواً متربصاً لقتل أي شخص يرفع رأسه لحظة فوق سطح الأرض. وعلى المراسل أن يذكر دائماً أدق تفصيلات عمله، فعليه أن يكتسب الأسماء التي يرسلها للوكالة كتابة صحيحة، وأن يتحرى من فعل هذا، ولماذا؟ وأن يتصيد التفاصيل الشائقة بألوانها بحيث تساعد القارئ على أن يرى ما يحدث بعين الخيال.

والمراسل حر غالباً في أن يذهب إلى حيث يشاء ما دام لا يضر بذلك مواقع الجيش، فقد يتوغل بعضهم في المواقع الأمامية ليجدوا أنفسهم محاصرين تحت وابل من رصاص العدو، وما لم يكونوا محظوظين فقد ينتهي أمرهم إلى معسكر أسرى لدى الأعداء وفي المساء يتوجه المراسلون إلى معسكراتهم ليقوموا بالجزء الأهم من عملهم، وهو كتابة الأخبار. ومن مذكرات دونوها، ومن آخر ما لا يزال عالقا بذاكرتهم من أنباء المخابرات، يكتب المراسلون الحربيون على الآلات الكاتبة رسائلهم اليومية، وغالبا ما يمتد عملهم إلى الليل، يكتبون في ضوء المصابيح أو القناديل المتراقصة.

وتحمل هذه الأخبار عادة من الخطوط الأمامية إلى مراكز القيادة الخلفية بواسطة ساع حربي، فإذا توافر تلغراف أو تليفون يملكه الجيش، ولم يكن مزدحما بالأعمال العسكرية، طيرت الرسائل بوساطته إلى مركز القيادة العامة لعرضها على الرقيب. وقد حدث بين الحين والحين خلال الحرب العالمية الثانية أن لجأ مراسلو وكالات الأنباء في سباقهم للحصول على الأخبار من الخطوط الأمامية إلى

الوسائل التي استخدمها دانيل كريج في جبهة القتال منذ مائة عام، فكانوا يبعثون برسائلهم إلى المراكز الخلفية مربوطة بسيقان الحمام الزاجل.

ويلحق بعض مراسلي وكالات الأنباء بمراكز القيادة العليا، لإذاعة البلاغات اليومية الرسمية وكتابة أخبار العمليات الشاملة. والمراسل في الخطوط الأمامية يشبه إلى حد كبير جندي المشاة، فهو يعرف تفاصيل دقيقة عما يجري حوله، كما يعرف كيف تتصرف قوات العدو المحدقة به، ولكنه لا يستطيع أن يحيط "بالصورة الكاملة"، أو المنظر العام لما يجري على طول جبهة القتال كلها. وعادة ما يكون رجال مراكز القيادة مهتمين بالذهاب إلى الميدان بأنفسهم، وعندئذ تكلف وكالات الأنباء رجالها بتناوب العمل بين خط القتال ومركز القيادة.

والمراسلون الذين يتجولون بين الخطوط الأمامية واثقون تماماً من أن كل يوم جديد يحمل شيئا غير منتظر –كمداعبة مع الموت – حين يكونون على مدى إطلاق النار، أو مغامرة شاذة، أو مسابقة حامية في الجري نحو جماعة من الجنود يروون قصة نادرة من قصص الشجاعة أو المخاطرة. إن هؤلاء المراسلين هم همزة الوصل بين الجنود وبين أسرهم.

وحين تسير الأمور سيراً حسناً وتتقدم القوات تقدما حثيثا، يجد المراسلون أنفسهم من وقت لآخر في مواقف غريبة، كما يحدث حين تتقدم جماعات من جنود الأعداء اليائسين من وراء الأشجار والأعشاب ليسلموا أنفسهم للمراسلين، ظنا منهم أنهم ضباط. وحينئذ ينصرف المراسلون عن عملهم الصحفي ريثما يجدون واحداً منهم يقبل حراسة هؤلاء الأسرى الذين كانوا في غنى عنهم. وقد حدث غير مرة أن جماعة من المراسلين المتحمسين الراكبين في سيارة جيب لملاحقة وحدة مسلحة في تقدمها، حدث غير مرة أن وجدوا أنفسهم يحتلون وحدهم إحدى مدن الأعداء. والخط الأمامي الفعلي في الحرب الحديثة

يكون في بعض الأحيان مرنا بحيث لا يكاد أحد يعرف على وجه اليقين أين يكون.

فلو أن مراسلا أخطأ في منحنى أو توغل في الطريق أكثر قليلا مما ينبغي، فإن هذا المراسل غير المسلح قد يجد أنه هو نفسه الخط الأمامي، وقد حدث ذلك بالفعل، فقد وقع موقف مضطرب من هذا القبيل في المحيط الهادي في نهاية الحرب العالمية الثانية، إذ كانت القنبلة الذرية قد سقطت على هيروشيما، وأذاعت اليابان بيان التسليم، وبدلا من الغزو الشامل الذي أعده قواد الحلفاء للهجوم على اليابان طارت طلائع أمريكية بسلام إلى طوكيو، وكانت مهمتها تسلم المدينة، ووضع الترتيبات لكي يوقع الجنرال دوجلاس ماك آرثر وثائق التسليم رسميا بعد ذلك بأيام قليلة.

وعلى متن أولى طائرات السلاح الجوي التي هبطت هناك كان يوجد مراسل يركب خفية، هو "الجاويش بوب برايس"، وكان يكتب لإحدى مجلات سلاح الطيران، ولم يكن مكانه في طوكيو في تلك الأيام، كما لم يكن لديه إذن رسمي بأن يكون هناك. فاتجه إلى يوكوهاما، وهي مدينة كبيرة أخرى على مقربة من طوكيو، وقدم نفسه لمدير شرطة يوكوهاما. وسرعان ما وجد نفسه يعامل على أنه بطل من الغزاة وأنه ضيف الشرف. ولم يجد غضاضة قط في قبول هذا كله بسرور، فهو لا يستكثر على نفسه شيئاً. ثم إن مدير الشرطة أصر على أن يعامل هذا الغازي بالاحترام اللائق بمكانه ولاسيما أنه الأمريكي الوحيد في المدينة كلها، كما تبين بوب برايس فيما بعد.

وهكذا أعطي برايس غرفة جميلة في أحد الفنادق، وأقيم له عشاء رسمي، ودعاه مدير الشرطة لمرافقته في نشاطه الرسمي، واستمر ذلك ثلاثة أيام، وأخيراً "اكتشفت" القيادة العليا مدينة يوكوهاما، فوصل إليها عشرات الضباط ومئات

الجنود يتسلمون زمام المنطقة ويضعون ترتيبات التسليم الرسمي المدينة وجاء مراسلون آخرون من طوكيو ليقوموا بوصف الاحتفالات الرسمية.

وسار كل شيء طبقا للتقاليد العسكرية السليمة، فتقرر أن يتسلم أحد أمراء البحر سيفا تقليديا من رئيس الشرطة كرمز على أن يوكوهاما وضعت نفسها في أيدي الأمريكيين.

وبدأت المراسم بأن وقف الجميع "وقفة انتباه" في أثناء قراءة شروط التسليم بصوت عال، ووقف برايس وغيره بالقرب منهم يدونون ملاحظاتهم ويرقبون، وكان المقرر أن يتقدم رئيس الشرطة عند نقطة معينة ويسلم سيفه للأميرال، وقد فعل ذلك بجد وصرامة وسيفه في يده، ثم انحنى للأميرال وقال له:

– إنني بعد إذنكم أسلم مدينة يوكوهاما لصديقي العزيز بوب رايس!

واستدار بشدة من الأميرال المذهول إلى برايس، فانحنى له مرة أخرى، ووضع السيف في يد المراسل.. ها هو ذا مراسل "فتح" مدينة كبيرة بمفرده، وبغير أدنى أثر لمعركة، وها هو ذا دليل آخر على أن أغرب الأشياء تحدث لرجال الصحافة!

وراء الأخبار بالليل والنهار

إن جمع الأخبار وروايتها عمل مثير، والذين يقومون به قوم لا يعرفون قط على وجه الدقة ما عسى أن يقع بعد لحظات، سواء في وقت السلم أو في جبهات القتال، وقد حدث أن تبين أحد المراسلين في حرب كبيرة بأوروبا أنه في محاولة النجاة بنفسه فقد كل أوراقه، فاضطر أن يكتب مذكرات دقيقة على أظافره بقلم الحبر، وفي مؤتمر دبلوماسي كبير خلال الحر البارد عقد في جنيف بسويسرا، تزاحم الصحفيون العالميون في لهفة شديدة على بيان وزعته إحدى الدول الكبرى، واستطاع أحدهم أن ينتزع نسخة من البيان ليهرول بها إلى التليفون فسقط على الأرض إذ كان سرواله قد سقط إلى عقبيه في وسط الشد والجذب.

إن مراسلي وكالات الأنباء – رجالا ونساء – يعملون في العالم كله ٢٤ ساعة في اليوم لاقتناص الأخبار مستعدين لمواجهة المجهول في أي لحظة، ولاستخدام كل ذرة من ذكائهم في تقديم أخبارهم للناس بأسرع ما يمكن، إن عملية جمع الأخبار تستمر اليوم كله على مدار الساعة ليل نهار.

عندما زار نيكيتاخروشوف الولايات المتحدة، استخدمت وكالات الأنباء وسائل الاتصال الحديثة لتكون تحت تصرف مراسليها في تلك المناسبة التاريخية، وكانت محطات الراديو والتليفزيون والصحف كلها متعطشة لكل ذرة من الأخبار عن رحلة الزعيم السوفييتي وحاشيته.

وقد خصصت اليونيتدبريس أكثر من خمسين من رجالها لتغطية أخبار وصول رئيس الوزراء إلى واشنطن، وكان كل منهم يحمل تعليمات مكتوبة من مدير

المكتب تدله على المكان الذي يذهب إليه وفي أي وقت، وكيف وأين يتصل بمكتب الوكالة وتراوحت وسائل الاتصال هذه بين تليفون على بعد أمتار من المكان الذي تهبط به طائرة خروشوف، وبين تليفون مثبت في سور عبر الشارع يواجه البيت الذي ينزل فيه، وخط تليفوني مفتوح من سقف مبنى عمليات المطار إلى مكتب اليونيتد بريس، وركب مراسل اليونيتدبريس في البيت الأبيض "ميريمان سميث" عربة وكالة الأنباء التي تتبع سيارة خروشوف والرئيس أيزنهاور وكان يحمل معه جهاز إرسال يتحدث منه إلى سيارة من سيارات اليونيتدبريس مجهزة بتليفون لاسلكي، وتسير في الشوارع الموازية للموكب الرسمي، وكانت هذه السيارة تواصل تبليغ ما يمليه سميث إلى المكتب الرئيسي بنيويورك. ثم ركب سميث بعد ذلك طائرة هليكوبتر، تبع بها خروشوف والرئيس الأمريكي، وهما يشاهدان واشنطن من الجو.

على أن عمل المراسل ليس دائماً عاجلا ولا خطيرا، فكل مراسل له ساعاته من العمل الروتيني في البحث عن أخبار طريفة يبلغها حين تكون الأخبار قليلة. إن الذين لن يتقنوا عملهم قط هم أولئك الذين يجلسون في انتظار وصول الأخبار إليهم، أما الذين يريدون أن يصنعوا الشهرة لأنفسهم فهم الذين يخرجون سعيا وراء الأخبار.

"اخرج دائما ونقب عن الأخبار.. تحدث إلى الناس.. اخلق أفكارا جديدة من عندك". هذا ما ينصح به المراسل القديم زملاءه المراسلين الناشئين.

إن عامل السرعة يحلق دائما فوق رأس المراسل، فهو لا يستطيع أن يجلس ليدير الخبر في رأسه أياما، حائرا في أحسن طريقة لكتابته، بل عليه أن يسلمه لقرائه بأسرع ما يمكن، فالخبر الذي لا يتجاوز رأس المراسل لا يساوي شيئا، ولا تكون له أية قيمة حتى يبلغه لقرائه. والمراسلون الذين يعملون في صحف العواصم

يفكرون دائما في آخر موعد للطبعة التالية، أما أولئك الذين يراسلون وكالات الأنباء، فعليهم أن يذكروا أن لديهم موعدا نهائيا في كل دقيقة، وأن منافسيهم النشطين يعملون جهدهم ليسبقوهم في نشر الأخبار.

والمراسل لا يحارب الوقت فحسب، ولا يحاول أن يسبق زملاءه فحسب، بل عليه أيضا أن يحصل على الخبر بدقة. فالكلمة المطبوعة قوية غاية القوة، وقد تؤذي الأبرياء، كما قد ترفع مظالم فادحة، وعلى الذين يستخدمونها مسئولية ثقيلة هي أن يستوثقوا تماما من أن أخبارهم صحيحة، وأنهم ينقلونها بأمانة وإنصاف، وهناك مثل قديم في دنيا الصحافة يقول: "احصل على الخبر أولا، ولكن أولا احصل عليه صحيحا". وقد يكون ذلك صعبا في بعض الأحيان.

***

وعلى الرغم من سرعة توزيع وكالات الأنباء الأمريكية للأخبار فهي تعمل جاهدة على أن تزيد من هذه السرعة، فبدلا من أن ترسل أخبارها بطريقة مورس اليدوية عدة مئات من الأميال كل مرة، ثم تتابع إرسالها إلى مسافة أخرى محدودة، تستخدم هذه الوكالات الضخمة في إرسال أخبارها الآن على بعد عدة آلاف من الأميال طريقة البرق الآلي الكاتب (التليبرنتر الأوتوماتيكي) عبر الأرض والبحر، فلا يتطلب إرسال الخبر حول العالم سوى ثوان قليلة.

ومع امتداد نشاط الإنسان إلى الفضاء، ظهرت مشكلات جديدة عويصة في جمع الأخبار، على أن فن المواصلات الآن يتعرض لتغييرات جوهرية لا يعرف الخبراء على وجه الدقة في أي اتجاه ستمضي؛ فالتجارب التي ترجى لإطلاق إشارات لاسلكية من القمر توحي بوسائل جديدة لإرسال البرقيات التجارية والإخبارية من أي مكان على وجه الأرض إلى مكان آخر، وقد يأتي كذلك اليوم الذي تستخدم فيه الأقمار الصناعية السابحة في الفضاء حول الأرض في نقل

الأخبار. إن إرسال آلات من صنع الإنسان إلى الفضاء قد فتح أمام البشر بعدا جديد في الحياة لم يبدأوا بعد في تفهم معناه، ولعل الاتصال الذي يكاد يتم في الحال عبر العالم يكون واحدا من مظاهر هذا التطور.

ترى حين يصل أول إنسان للقمر، فكيف يصل تقريره عن رحلته إلى القراء على الأرض، وأي الوكالتين سيكون لها أول مراسل خاص في القمر، أو على الأقل في كوكب صناعي يركبه البشر؟

أتكون الأسوشيتدبريس أم اليونيتدبريس؟ كانت هذه الأسئلة فيما مضى تبدو من السخافة بمكان، ولكن أبحاث الفضاء تتقدم بسرعة جعلت القائمين على أمر وكالات الأنباء يفكرون فيها تفكير جديا غاية الجد.

أم ترى أول مراسل من الفضاء سيكون صحفيا غير أمريكي على الإطلاق، بل مراسلا لوكالة أنباء أجنبية منافسة؟ لو حكمنا بما حققه الروس من أعمال باهرة في بحوث الفضاء قد يكون أول مراسل ممثلا لوكالة تاس، وهي وكالة الأنباء الرسمية السوفييتية.

إن وكالات الأنباء الأمريكية ضخمة، إلا أنها لا تسيطر على جمع الأخبار في كل مكان في العالم. فهناك وكالات أنباء قوية أخرى، بعضها ينافس الوكالتين الأمريكيتين منافسة عنيفة، ولها مراسلون في واشنطن يوافونها بأخبار الحكومة الأمريكية. أشهر هذه الوكالات عند الأمريكيين رويتر الوكالة البريطانية التي توزع أخبارها على الممتلكات البريطانية في العالم كله، وكذلك في كثير من الممتلكات غير البريطانية، وتوقيع "رويتر" يظهر على البرقيات في عدد قليل من الصحف الأمريكية الكبرى.

وثمة وكالة غير أمريكية أخرى قوية هي (فرانس بريس) الفرنسية، وهناك

عدد قليل من الدول الصغيرة لها وكالات أنبائها التي تركز على جمع الأخبار وتوزيعها داخل حدودها كإيطاليا والنرويج، وكان لوكالة الأسوشيتدبريس فيما مضى نظام لتتبادل الأخبار مع بعض هذه الوكالات غير الأمريكية، ولكن وكالة اليونيتدبريس كانت تتجنب ذلك دائماً.

وهناك فارق مهم بين الوكالات الأمريكية ومنافساتها غير الأمريكية، هو أن هذه الوكالات الأجنبية تتلقى إعانات مالية من حكوماتها، أما اليونيتدبريس والأسوشيتدبريس فهما بعيدتان كل البعد عن نفوذ الحكومة وسلطانها. وتقابلهما في ذلك وكالة تاس التي تستخدمها الحكومة السوفييتية أداة لتوزيع برقيات الدعاية، وتوجه أخبارها الوجهة التي تتفق مع وجهة النظر الشيوعية، وقليل من الوكالات الأجنبية يملك وسائل نقل الأخبار الكثيرة بالسرعة التي تنقلها بها الوكالات الأمريكية.

***

وبغض النظر عن كل ما ينتظر من تطورات في وسائل التبليغ وعن مناطق الفضاء التي تصل إليها الوكالات التي يصنعها الإنسان فإن المراسل الفرد سيظل الجزء الأهم في عملية جمع الأخبار لوكالات الأنباء. إن الأخبار ميدان لا يمكن أن تحل فيه الآلة محل الإنسان، وأفضل أجهزة المواصلات في العالم لا يساوي شيئاً، ما لم يكن هناك مخبرون يتصفون باليقظة والمغامرة لجمع الأخبار وإرسالها على هذه الآلات.

لقد زاد تعطش الإنسان للأخبار في السنوات المائة الأخيرة، وشاركت برامج الإذاعة والتليفزيون الصحف في ذكر ما يجري داخل الوطن الصغير والكبير، وفي العالم كله، وهي أيضاً تحصل على تلك الأخبار من وكالات الأنباء.

ومن الأيام الغابرة التي كانت ترسل فيها الأخبار بواسطة الحمام الزاجل، إلى زمن استخدام تلغراف مورس ذي المفاتيح النحاسية، إلى الزمن الحاضر الذي تستخدم فيه أجهزة البرق الكاتب، عملت وكالات الأنباء الأمريكية في نشاط وقوة لتطلع الناس على ما يجري في العالم الذي حولهم، وسيتسع عملها بطبيعة الحال حين يصل الإنسان إلى عوالم الفضاء الغامضة.

حين يدق جرس البرق الكاتب دقاته الخمس العاجلة، وتتحرك مفاتيح الصندوق السحري بحروف كلمة "نشرة"، فذلك إيذان بنجاح إحدى مغامرات جمع الأخبار، وفي مئات من قاعات أقسام الأخبار يرقب المحررون لفات الورق التي تدور في جهاز البرق الكاتب بكثير من الفضول واللهفة في انتظار الخبر التالي: هل يأتي من واشنطن، أو من باريس، أو من أديس أبابا، أو من موسكو، أو من هونج كونج؟ إنهم يعرفون على كل حال أن جديداً في طريقه إليهم، وأن أحد مراسلي الوكالة قد كشف عن خبر مثير يسرع بتبليغه إلى العالم كله.

الفهرس